مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف
المهندس شاكر محمد حبيب

قدم له:
د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد الثاني

من بداية سورة البقرة (١٧٧) وحتى الآية (٣٣) من سورة آل عمران

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com

دار الفكر

الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب:11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888

بيروت لبنان

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة: ١٧٧ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بالنصب، وقوله تعالى في آية البقرة: ١٨٩ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ [البقرة:١٨٩] بالرفع، فما دلالة الرفع ودلالة النصب؟ وما الفرق بينهما نحوياً؟

الجواب:

١ـ التعبير أصلاً مختلف ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة:١٧٧]: البِرَّ: خبر (ليس) منصوب مقدَّم؛ لأنَّ خبر (ليس) يجوزُ تقديمه، و﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة:١٧٧] مصدر مُؤَوَّلٌ بمعنى التوليةِ في محل رفع اسم (ليس)، وخارج القرآن معناها (ليست توليتُكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرَّ).

٢ـ الثانية: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾[البقرة:١٨٩] لا يصح لغةً في الآية الثانية أنْ يقول ليسَ البِرَّ.

هذه الباءُ تدخل على الخبرِ مثل (خبرِ ليس، وما، لا، وكان المنفية) ولا تدخل على الاسم، كما في الآيات: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[آل عمران:١٨٢] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾[التين:٨] و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[البقرة:٨] والباء لا تدخل على الاسم أصلاً.

٣ـ الآية الأولى يمكن أنْ يقال فيها: ليس البرُّ أو ليس البرَ؛ لأنه يمكن أنْ يكون هناك تقديم وتأخيرٌ، لكنّ الآية الثانية لا يمكِنُ؛ لأنَّه ما دام عندنا (الباءُ)، والباءُ تدخلُ على الخبرِ حتماً مزيدةً ولا تزادُ في الاسمِ، فإذن لا يمكِنُ أنْ ننصبَ البِرَّ بسببِ دخولِ الباءِ؛ فاقتضى أنْ تكون الباءُ داخلةً على خبرِ (ليس)، ولا يمكِنُ غيرُ ذلك.

٤ـ بشكلٍ عامٍّ يصح أنْ نجعلَ الخبرَ مبتدأً، إذا كنا نجهَلُ الاسمَ ونعرِفُ الوصفَ فنُلحِقُ الاسمَ بالوصفِ ونقولُ: (المجتهد زيدٌ) .

السؤال الثاني:

ما الفرق البلاغي بين الصيغتين في الآيتين ١٧٧ و ١٨٩ ﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾[البقرة:١٧٧] و﴿بِأَن تَأْتُوا۟﴾[البقرة:١٨٩]؟

الجواب:

١ـ استعملت العربُ الباءَ لتأكيدِ النفيِ، كما استعملت اللامَ في تأكيدِ الإثباتِ نحو (ما زيد بمنطلق) و (لست بذاهب)، حيث نفيُ الانطلاقِ والذهاب، وتستعمل (الباء) عادة لتوكيد النفي، وخاصة عندما يكون النفي له قيمته .

٢ـ جاء في سبب نزول الآية ١٨٩: أنّ أهل الجاهلية إذا أحرم أحدهم نقب خلف بيته أو خيمته نقباً يدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلماً يصعد منه سطح داره ثم ينحدر، فقيل لهم: ليس البر بتحرُّجِكُم عن دخول الباب، ولكنّ البر من اتقى، أي أعلمهم أنّ تشديدهم في أمر الإحرام ليس ببِرٍّ ولكن البرَّ من اتقى مخالفة أوامر الله، وأمرهم بترك سنة الجاهلية، فقال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة:١٨٩].

لذلك جاءت الباء في قوله: ﴿بِأَن تَأْتُوا۟ ﴾ [البقرة:١٨٩] لتأكيد النفي في هذه المسألة، حيث كانت هذه المسألة تشدداً منهم ولم يرد الله أنْ يُشرِّعَ ذلك فأكَّد النفي بالباءِ، لأنَّ ترك المألوفاتِ أشقُّ شيءٍ على النفس.

وجاءت هذه المسألة في سياقِ الآياتِ التي تتكلَّمُ عن الحج ومناسكه بعد هذه الآية، بينما لم يأتِ مثلُ ذلك في الآية ١٧٧، فلم يتطلب الأمر التأكيد بالباء، والله أعلم.

٣ـ وكأنّ معنى الآية ١٨٩، أي: لا تجعلوا المسائل شكلية؛ لأنّ الله يريد أصل البر وهو الشيء الحسن النافع.

السؤال الثالث:

لِمَ قال سبحانه: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾[البقرة:١٧٧] ولم يقل: وهو يحبه، فى قوله تعالى ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[البقرة:١٧٧]؟

الجواب:

تأمل كيف قال سبحانه: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ولم يقل: وهو يحبه؛ لأنّ (على) أفادت التمكن من حب المال وشدة التعلق به، فنبّه بها على أبعد أحوال التعلق بالمال، فإذا كنت في حالة

شدة حبك للمال تنفقه في سبيل الله وأنت مرتاح النفس، فكيف بك في أحوالك الأخرى؟

السؤال الرابع:

ما دلالة نصب ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾؟

الجواب:

هذا يُسمّى القطع، والقطع يكون في الصفات أو العطف.

وإذا كان من باب الصفات فالقطع يكون للأمر المهم، ويكون القطع في الصفات مع المرفوع للمنصوب ومع المنصوب للمرفوع ومع المجرور للمرفوع، والآية موضع السؤال هي من القطع من الصفات لأهمية المقطوع.

والمقطوع يكون مفعولاً به بمعنى أَخُصُّ أو أمدَحُ ويسمى مقطوعاً على المدحِ أو الذَّمِّ، وفي الآية ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ مقطوعةٌ وهي تعني: أَخُصُّ أو أمدَحُ الصابرين، وكأننا نسلِّطُ الضَّوءَ على المقطوعِ، فالكلمةُ التي نريد أنْ نركِّزَ عليها أو نسلِّطُ عليها الضوءَ نقطَعُها.

لذلك (الصابرين): منصوبة ركّز عليها وقطع، ولم يقل: (الصابرون) بحيث تكون معطوفة على (الموفون) بل عطف على خبر (لكنَّ)؛ لأنّ الصابرين يكونون في الحرب والسلم وفي البأساء وهي عموم الشدة، والإصابة في الأموال والضرّاء في البدن والدين كله صبر، فقطع الصابرين لأهميتها.

والصبر هنا له منزلة عالية في البأساء والضراء، فنصبها إشارة إلى تخصص الصابرين وتمييزهم بين المذكورين، وتقديرا لفعل محذوف (أخصُّ الصابرين).

السؤال الخامس:

ما الفرق بين البأساء والضراء في الآية: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾؟

الجواب:

١ـ البأساء: هي البؤس والفقر والشدة والحرب والمشقة.

٢ـ الضراء: هي المرض والأوجاع في الأبدان وما يصيب الأموال أيضاً، والإصابة في الأبدان من مرض وأوجاع، والإصابة في الأموال هي من الضراء.

وهما اسمان على وزن فعلاء، ولا أفعل لهما لأنهما ليسا بِنَعتَينِ .

السؤال السادس:

ما تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾في الآية؟ و لمَ لمْ يقل: لكن البر أنْ تؤمنوا، باعتبار أنّ البر هو الإيمان وليناسب الجزء الأول من الآية الذي أتى بالخبر مصدراً؟

الجواب:

جاء في آية البقرة ١٧٧ بالمصدر المؤول (أنْ تولوا = التولية) فافترض بعضهم أنّ يستعمل المصدر في الجزء الثاني من الآية أيضا ليتناسب مع المصدر في بدايتها، فيقول: ولكن البر أنْ تؤمنوا، وكذلك في الآية الثانية.

وفي لغة العرب يمكن أنْ يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف:٨٢]، ففيها مضاف محذوف تقديره: (واسأل أهل القرية) فحذف كلمةَ (أهل) وجعل كلمة (قرية) مكانها، وأخذت موقعها الإعرابيَّ.

فعندما يقول القرآن: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[البقرة:١٨٩] كأن هذا المتقي صار هو البِرُّ بعينه. فالبِرُّ الحقيقيُّ هو هذا الذي وصفناه بهذه الكلمة، البرُّ هو هذا الذي اتقى أو هذا الذي توفرت فيه هذه الصفات.

السؤال السابع:

ما هدف الآيتين في سورة البقرة: ١٧٧، و ١٨٩؟

الجواب:

آـ أصل الكلام في الآيتين هو قضية أيِّ قبلة أولى بالاتجاه نحوها؟ وفي أيِّ اتجاه يكون البِرُّ؟

والقرآن يريد أنْ يبين لمن يسمعه سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم ما البِرُّ الحقيقي؛ فقال: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[البقرة:١٧٧] .

ب ـ نلحظ أنه استعمل الفعل المضارع ﴿تُوَلُّوا۟﴾ بمعنى التحول والتحرك، أي: تولية الوجه، ووصف البر بأنه من تتمثل فيه هذه الصفات، وهي من الآيات الجامعة التي تبين لنا أنّ البر يكون ممثلاً كاملاً في هذا الانسان المتصف بهذه الصفات.

ج ـ وتمضي الآية تعدد صفاته:

– الإيمان بالله بكل ما يقتضيه من تطبيق ومن اعتقاد.

- ثم انتقل إلى الغيبيات من الإيمان باليوم الآخر والملائكة.

- والكتاب: ونلحظ استعمال الجنس (الكتاب) أي: جنس الكتاب.

- والنبيين: استعمل (النبيين) دون المرسلين؛ لأنّ عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل، فكل رسول نبي، وليس كل نبيٍّ رسولاً.

_ ثم انتقل إلى المعاملات: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

_ ثم بين نوع الإيتاء، فهو ليس من الفرض والزكاة.

_ وبيّن الفئات التي يصلها العطاء وتستحقه، فبدأ بذوي القربى من باب حرصه على الأرحام، وثنّى باليتامى، ثم بالمساكين الذين يحتاج المرء إلى البحث عنهم ليعرفهم، وهذا من التوجيهات الاجتماعية القرآنية في الرعاية المالية، ثم ذكر ابن السبيل ليطمئن المسلم على نفسه أنّى كان، فإذا انقطع به المال فى سفر فإنّ له حقا في هذا المال، وذكر السائلين «**من سأل بالله فأعطوه**» فلا يبحث المرء أمحتاج هذا السائل أم لا؟ ما دام يسأل فعليَّ أنْ أعطي إنْ كنت قادراً. والسائلون ليسوا هم المساكين، ثم ختم بالرقاب.

وهذه الكلمة يثيرها بعض من لم يطلعوا على حقيقة الإسلام شبهةً ضده فيقولون: إنّ الإسلام يقر الرق ويدعو إلى العبودية، والحقيقة هي أنّ الإسلام أبقى منفذاً واحداً للرق وهو (رقيق الحرب) ثم فتح أبواباً لإخراج العبد من حالة عبوديته بالصدقات والكفارات والترغيب في العتق، وباباً آخر وهو (المكاتبة) فيحق لكل فرد من الرقيق أنْ يذهب إلى القاضي ويطلب مكاتبة سيده، فيرغمه القاضي على المكاتبة إلى أنْ يتخلص العبد من الرق، وهو من مصارف الإنفاق الطوعي ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾.

- ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فانتقل بعد ذلك إلى تهذيب النفس وصلتها بالله.

- ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهذا تأكيد على أنّ الإنفاق المالي المتقدم ليس من الفرض والزكاة، فالزكاة مال تجمعه الدولة وتتولى إنفاقه في مصارفه، أمّا المذكور سابقاً فإنفاق شخصيٌّ يختلف عن هذا، وفي أيامنا تركت دول كثيرة جمع الزكاة إلى الناس أنفسهم وهذا امتحان لهم.

د - الحق تبارك وتعالى اعتبر في تحقيق ماهية البر خمسة أمور؛ وهي: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل، وقد خصّ الإيمان بهذه الأمور الخمسة؛ لأنه دخل تحتها كل ما يلزم أن نصَّدق به .

السؤال الثامن:

لِمَ قدَّمَ الملائكةَ والكتب في الذكر على الرسل؟

الجواب:

بالطبع لا علم لنا بوجود الملائكة وصدق الكتب إلاّ من خلال صدق الرسل، فكانت الرسل كالأصل في معرفة الملائكة والكتب، كما أنّ هذا الترتيب هو ترتيب الوجود الخارجي لا ترتيب الاعتبار الذهني، فقد وجدت الملائكة، أولاً ثم حصل بواسطتهم تبليغ الكتب إلى الرسل عليهم السلام.

السؤال التاسع:

لم قدّم هذا الإيمان على أفعال الجوراح مثل إيتاء المال والصلاة والزكاة؟

الجواب:

للتنبيه على أنّ أعمال القلوب أشرف عند الله من أعمال الجوارح .

السؤال العاشر:

ماذا تفيد (الواوات) من معنى في الآية ؟

الجواب:

هذه الواوات في الآية للجمع، لذلك من شرائط تمام البر أنْ تجتمع هذه الأوصاف معاً .

ولذلك قال بعضهم هذه الصفة خاصة للأنبياء عليهم السلام؛ لأنّ غيرهم لا تجتمع فيه هذه الصفات كلها. وقال آخرون: هذه عامة في جميع المؤمنين .

السؤال الحادي عشر:

ما دلالة انتقال الحديث من الإفراد إلى الجمع في الآية ؟

الجواب:

نلحظ انتقال الحديث إلى الجمع، فالكلام المتقدم فردي، وقد تقدمت (مَن) وهي تحتمل الجمع والإفراد، فبدأ بالإفراد (الإيمان ـ الإنفاق الفردي من رعاية ذوي القربى واليتامى والإنفاق على المساكين، والصلاة والزكاة).

ثم انتقل إلى العمل الجماعي لأنّ (مَن) تجمع الاثنين: الإفراد والجمع، وفي العمل الجماعي ذكر:

١ ـ الوفاء بالعهد، ويجوز أنْ نقول: (نحترم من يفي بعهده ـ ومن يوفون بعهدهم)؛ لأنها تصدق على الواحد والكثرة.

وقد جعل الوفاء بالعهد عاماً ليشمل وفاء المجتمع بالعهد، والفرد جزء من المجتمع، فأي فرد من المسلمين يمكن أنْ يعاهد عن بقية المسلمين، وهم جميعا ملزمون بالوفاء بعهده (**يسعى بذمتهم أدناهم**).

والوفاء بالعهد ليس سهلاً على المرء في مواطن كثيرة، إذ يصعب على النفس، وقد تشعر أن فيه هضماً لحقها، ونتذكر جميعا كيف كان المسلمون يأتون من مكة إلى الرسول ﷺ فيردهم وفاء لعهده مع المشركين في صلح الحديبية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ جاء باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للبعيد ليقول: إنّ على المسلم أنْ يسعى ليكون مثلهم ويصل إليهم وإلى هذه الصفات.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ والسؤال هنا لم جاء بالضمير (هُمُ)؟

والجواب أنّ ﴿هُمُ﴾[البقرة:١٧٧] ضمير فصل يؤتى به ليميز بين الخبر والصفة، وفيه أيضا معنى التوكيد، ونفي الوصفية التي قد تفهم إنْ حذف الضمير، فأثبت لهم الخبرية توكيداً وتخصيصاً.

٣ـ جاء بعد كل الصفات المتقدمة بوصف المتقين، وهذه الصفة هي نفسها في الآية الثانية: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[البقرة:١٨٩] فبدأ بكلمة التقوى للإيجاز.

والقرآن الكريم قد يجاري السائل أحيانا على طريقته في السؤال، فهؤلاء قد سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة،: ما هي؟ ما فوائدها؟ فجاء الجواب مختصراً ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[البقرة:١٨٩] .

وقد كان بعض الأنصار إذا رجع من الحج لا يدخل من باب الدار، وإنما يأتي من ظهرها ويدخل، فتقول له الآية: إنّ البِرَّ ليس بهذا العمل. وقد يكون الأمر من باب توجيه المجتمع المسلم إلى ألاّ يعكس الأمور بأنْ يسأل عن المسائل الصغيرة ويترك القضايا الجوهرية، فبدلاً من السؤال عن الأهلة عليهم أن يتبصروا في خلق الله عز وجل في هذا الهلال كيف يكون وكيف يصير؟

والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) ﴾

السؤال الأول:

ما تفسير الآية ١٧٨ في سورة البقرة؟ وما الوجه البلاغي في هذا التقسيم؟

الجواب:

هل إذا قتل حرٌّ عبداً لا يؤخذ به؟ وإنما يقول: أعطونا ثمنه؟

نقول في كثير من الآيات ينبغي الرجوع إلى سبب النزول.

يوجد عندنا قاعدة عامة ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[البقرة:١٧٩] هذه القاعدة العامة.

كان هناك ثأر بين حَيَّينِ من أحياء العرب أسلموا قبل أنْ تُفضَّ المشكلة وأحدهما كان قوياً متجبراً، فقبل أنْ يدخلوا في الإسلام كانوا يقولون - تجبرا منهم-: العبد منّا بالحرّ منهم، والمرأة منّا بالرجل منهم، حتى نصطلح وإلا فالحرب مستمرة، فلمّا دخلوا في الإسلام بقوا على حالهم وعلى قولهم، فنزلت الآية تفيد أن في القصاص حياةً، لكنّ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى.

وانظروا كم من أحراركم قُتِلَ وأحرارهم قُتِلَ! هذا بهذا والفارق تدفع عنهم الدِّية، وكذلك الأمر للعبيد وللنساء حتى تحل المشكلة، لكن تبقى القاعدة عامة ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ القصاص عامة .

السؤال الثاني:

ما الحكمة من بناء الفعل ﴿كُتِبَ﴾ هنا للمجهول في هذه الآية ؟

الجواب:

الأمور المستكرهة يبنيها ربُّنا للمجهول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾[البقرة:١٧٨] ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ ﴾[البقرة:٢١٦] .

لذلك نرى أنه في الأشياء الصعبة المستكرهة والمشقة يُبنى الفعل للمجهول مع أنه كله بقدر الله عز وجل، لكنْ لا ينسبه لنفسه، وهذا خط عام في القرآن.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ أي: فُرض بسبب قتل القتلى؛ لأنّ الحرف (في) قد يستعمل للسببية؛ كقوله ﷺ «**في النفس المؤمنة مائة من الإبل**» والقصاص ليس بفرض، بل الوليُّ مخيرٌ فيه بل مندوب إلى تركه.

والمراد هنا أنه فُرِضَ على القاتل التمكين، لا أنه فرض على الولي الاستيفاء.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾؟ ولِمَ عُدّيَ الفعلُ باللام؟ وما دلالة لفظة شيء منكرة ؟

الجواب:

آـ المعنى: فمن له من أخيه شيء من العفو .

ب ـ إنْ قيل: إنَّ (عُفِيَ) يتعدَّى بـ (عن) وليس بـ(اللام) فما وجه (فمن عفي له) ؟

والجواب: أنه يتعدى بـ (عن) إلى الجاني وإلى الذنب، فيقال: عفوت عن فلان أو عن ذنبه، كما قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ .

فإذا تعدى إلى الذنب، قيل: عفوت عن فلان عما جنى، كما تقول: عفوت له عن ذنبه، فكأنّ معنى الآية (فمن عفي له من جنايته)، فاستغنى عن ذكر الجناية.

ج - لِمَ قيل (شيء) من العفو؟

والجواب: أنه إذا كان الحق يتألف من القود والمال، كان له أنْ يعفو عن القود دون المال، وله أنْ يعفو عن الكل فناسب ذكر (شيء) أي: جزء من العفو.

السؤال الخامس:

بأي معنى أثبت الله وصف الأخوة؟

الجواب:

هو أحد الاحتمالات التالية:

- الآية نازلة قبل أنْ يقتل أحد أحداً والمؤمنون إخوة قبل الإقدام على القتل.
- الفاسق يتوب ويكون ولي المقتول أخاً له.
- في النسب: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[الأعراف:٦٥].
- ليعطف أحدهما على الآخر.
- الله أثبت الأخوة على الإطلاق بين المؤمنين بدون تقييد بزمان أو مكان.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ وما إعراب ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾؟

الجواب:

آـ قوله ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فحكمه اتباع، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره: فعليه اتباع المعروف.

ب ـ على العافي الاتباع بالمعروف بألا يشدد بالمطالبة، فإنْ كان معسراً فالنظرة إلى ميسرة، وعلى المعفوِّ عنه أداء بإحسان.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ أي: هذا الحكم تخفيف في حقكم؛ لأنّ العفو وأخذ الدية محرمان على أهل التوراة، والقصاص مكتوب عليهم البتة، والقصاص والدية محرمان على أهل الإنجيل والعفو مكتوب عليهم، وهذه الأمة مخيرة بين القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيراً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ المراد: أنْ لا يقتل بعد العفو والدية، أو يقتل غير قاتله أو أكثر من قاتله، أو طلب أكثر مما وجب له من الدية، ويجب أنْ يحمل على الجميع لعموم اللفظ.

السؤال الثامن:

ما فائدة تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٧٨﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ خصّصه بتقديم الجار والمجرور، ونوع خاص من العذاب الأليم، قال النبي ﷺ «**لا أعافي أحداً قَتَلَ بعد أخذ الدية**» والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما القيمة الفنية لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ ؟

الجواب:

آـ هذه الآية فيها مقالات طويلة حتى كتب مصطفى صادق الرافعي مقالة بعنوان «كلمة مؤمنة في الرد على كلمة كافرة» حيث إنّ بعضهم قال إنّ العرب تقول: (القتل أنفى للقتل)، فكتب في الفرق العظيم بين قولهم (القتل أنفى من القتل) التي فيها دماء، وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[البقرة:١٧٩] التي فيها حياة، والسيوطي ذكر عشرين فرقاً في كتابه «المزهر في اللغة» والرافعي زاد عليه.

ب ـ الآية بتمامها: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة:١٧٩] . وكلمة القِصاص مأخوذة من فعل: قصّ يقصّ، وفي الأصل القصّ هو القطع، أوالقصّ هو تتبّع الأثر تحديداً، والأثر قد يكون خطاً ومنه قصّ الثوب؛ لأنّ الثياب لم تكن تُقصّ إلا بعد أنْ يوضع عليها خط أين يقصّ، والذي يقص بالمقص هو يتتبع أثراً، والقِصاص من قصّ يقص قِصاصاً ومقاصّة.

ج ـ القِصاص لكم فيه حياة، أي: حياة للمجتمع، وكلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ جاءت نكِرة فأخّرها على سُنّة العرب في كلامها، والإسلام يريد مجتمعاً هانئاً، آمناً فذكر القِصاصَ.

د ـ أما مقولة (القتل أنفى للقتل) فهذه مقولة عربية يوازنوها أحياناً بـ ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩]، ولكن عندما ندقق في الآية نجد سُمُوَّ التعبير ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[البقرة:١٧٩] .

أما (القتل أنفى للقتل) فيقول بعضهم: إنها كلمة جاهلية، وحتى لو كانت جاهلية فإنها تحمل رائحة الدم، وليس فيها رائحة بناء المجتمع.

وأما كلمة ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فهي كلمة موجزة، والقصاص فيه حياة للمجتمع، القصاص لم يحدد القتل وإنما هو عدالة، وعندما تقول (قصاص)، أي: أنت تتتبّع الذي فعله المخالِف فتقصّ فعله حتى تعاقبه بمثل فعله، واختصرت بكلمة (قصاص) مهما كان الشخص الذي قتل حاكماً أو سيداً في قومه فيقتل وحده، وبعد ذلك رُخِّص للمسلمين بقبول المقابل أو العدل، والدية هي مقابل القتل.

مقولة (القتل أنفى للقتل) مقولة تتكلم فقط عن القتل، بينما القصاص شامل ذكر كل هذه الأشياء، فضلاً عن أنّ كلمة (القتل أنفى للقتل) كما يقول علماؤنا: خطأ؛ لأنه ليس دائماً القتل ينفي القتل، ففي بعض الأحيان القتل يجلب قتلاً (قتل الظلم، قتل التعدّي) كما يقولون: (ومن يظلم الناس يُظلَم) وليس هكذا مفهوم الإسلام.

هـ ـ ثم كلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ نكرة، والنكرة لها في كل موضع معنى، وفي هذه الآيةمعناها حياة نبيلة، عظيمة، قيّمة، وعندما نسمع السياق نجده يعطي معنى الحياة السعيدة الهانئة، حياة صِفُوها بما شئتم من أوصاف الخير.

ولاحظ كيف بيّنت هذه الآية على وجازتها حكمة القصاص بأسلوبٍ لا يُبارى وعبارة لا تُحاكى، وكيف نُكِّرت كلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ فلم يقل (الحياة) إشعاراً أنّ في هذا القصاص نوعاً من الحياة لا يبلغه وصف.

ولكن كيف يكون القصاص حياة وهو قتلٌ للقاتل؟

الجواب: أنه إذا عَلِم القاتل أنه سيُقتل فلا شك أنه سيمتنع عن القتل، وهذا يصون النفس من القتل ويحمي القاتل، فكان القصاص حياة للنفسَينِ وهذا يؤدي إلى إحياء البشرية بأسرها.

❁❁❁❁

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمالي الفعل (حضر) و(جاء) مع الموت ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة: ١٣٣ .

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال (إذا) فى الآية؟ وما الفرق في الاستعمال بين (إذا) و (إن)؟

الجواب:

(إذا) تستعمل فيما هو كثير وفيما هو آكد وفيما هو واجب، و(إنْ) لما هو أقلّ في عموم الشرط وقد يكون مستحيلاً وقد يكون قليلاً، وتفصيل ذلك:

١ـ (إنْ): تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

شواهد للمعاني المشكوك في حصولها:

﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ ﴾ [الأعراف:١٤٣] .

شواهد للمعاني المحتملة:

﴿ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾ [البقرة:١٩١] .

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ [البقرة:٢٣٠] .

﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾ [المائدة:٦] .

شواهد للمعاني المستحيلة:

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف:٨١] .

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الرحمن:٣٣] .

شواهد للمعاني المفترضة: القصص ٧١ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص:٧١] .

٢ـ ﴿إذا﴾: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع كما في الآيات:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [البقرة:١٨٠] .

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ [النساء:٦] .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ [الجمعة:١٠] .

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء:٨٦] .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

شواهد إضافية: [آل عمران٢٥ ـ المائدة ٢ـ الأعراف ٣٤ـ التوبة ٥ـ النور٥٩ـ البقرة ٢٨٢ـ يونس١٢].

٣ـ شواهد مشتركة تتضمن(إذا وإنْ) معاً:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة:١٨٠] .

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٦] .

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ﴾ [البقرة:٢٣٩]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ [البقرة:٢٨٢]

﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء:٢٥].

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ [التوبة:٥] .

شواهد إضافية: [المائدة٦ـ الأعراف١٣١ـ الروم ٣٦ـ البقرة ٢٣٩ـ النساء ١٠١ـ البقرة ٢٢٩ـ٢٣٠ـ ٢٣١ـ الرعد٥].

٤ـ ملاحظات عامة:

أـ (إذا) و(إنْ) من أدوات الشرط .

ب ـ وردت (إذا) في القرآن الكريم في أكثر من (٣٦٢) مرة، لم ترد في موضع واحد غير محتمل الوقوع، بل هي كلها إمّا مقطوع بوقوعها أو كثير الوقوع، بخلاف (إنْ).

ولّما كانت (إذا) تفيد الجزم بالوقوع، غلب معها الفعل الماضي، لكونه أدل على الوقوع، باعتبار لفظه، بخلاف (إنْ) التي تستعمل في المعاني المحتملة، والمشكوك فيها، فإنه غلب معها الفعل المضارع .

وقد وردت (إذا) في القرآن الكريم ـ شرطية وظرفية ـ في أكثر من

(٣٦٢) مرة، منها (١٨) فقط ورد معها الفعل المضارع، بينما ورد الفعل الماضي مع البقية .

ج ـ إذا كان فعل الشرط ماضياً فإنه يفيد افتراض حصول الحدث مرة أو وقوعه جملة، في حين أنّ الفعل المضارع قد يفيد تكرار الحدث، أو يفيد تطاول الحدث .

د ـ وقد وردت (إنْ) في القرآن الكريم في حوالي (٥٥٤) مرة . والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما إعراب كلمة ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾[البقرة:١٨٠] في هذه الآية؟

الجواب:

الوصيةُ: نائب فاعل مرفوع .

السؤال الرابع:

كيف عطف الأقربين على الوالدين، وهما أقرب المقربين والعطف يقتضي المغايرة ؟

الجواب:

الوالدان ليسا من الأقربين؛ لأنّ القريب من يدلي إلى غيره بواسطة كالأخ والعم ونحوهما، والوالدان ليسا كذلك، وحتى لو كانا منهم لكان تخصيصهما بالذكر لشرفهما، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[البقرة:٩٨] .

❁❁❁❁

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

السؤال الأول:

خُتمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ وخُتمت آية البقرة ١٨١ بقوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

ختم الآية: ١٨١ بالسمع والعلم لما قال قبلها: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ [البقرة:١٨١] ليكون مطابقاً.

وختم الآية ١٨٢ بالمغفرة والرحمة لما قال قبلها: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ ليطابق المعنى.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿جَنَفًا﴾ أي: مَيلاً، فما كلمات منظومة الجنح في القرآن الكريم ؟

الجواب:

هذه هي مجموعة جَنَحَ، وتشمل كل أنواع المَيل، وكلها صغائر تدل على أنّ الفعل المحرم لم يُرتكب:

١- جنح:

هي بداية الميل في الغالب وليس ميلاً كاملاً. الأنفال: ٦١.

٢- زاغ:

هو الميل من الصواب إلى الخطأ، والزيغ هو النقص في الصواب.

٣- جنف:

خاص بالحكم عندما يكون قاضياً فيميل عن الحق قليلاً، مثل أنْ يميل قلب الأب إلى الذكور وليس هو الحكم بالظلم. البقرة: ١٨٢.

٤- حنف:

ميل من الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ﴿حَنِيفًا مُّسۡلِمًا﴾ [آل عمران:٦٧] وحنفاء، أي: ليس لديهم أي ميل للشرك، وهو عكس الزيغ.

٥- راغ:

هو ميل لكنْ لاحتيال ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ [الذاريات:٢٦] من باب اللياقة وإكرام الضيف بأنْ يميل المضيف إلى أهله بطريقة خفية حتى يهيأ الطعام لضيفه .

٦- عدل:

عَدَلَ بمعنى مال مع اعترافه بأنّ ميلَه ليس صحيحاً ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [النمل:٦٠].

٧- زلّ:

ميل مرغم عليه ولا يقصده، كما يقال في زلة اللسان أو زلة القدم ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [البقرة:٣٦] ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾ [البقرة:٢٠٩] .

٨- ألحد:

هو الميل إلى كتمان الحق وهو أخطر أنواع الميل، والملحد هو الذي مال إلى كتمان التوحيد. الأعراف: ١٨٠.

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

السؤال الأول:

ما موقع آيات الصيام كما جاءت في سياقها في القرآن الكريم ؟

الجواب:

آيات الصوم وقعت بين آيات الشدة وذكر الصبر وما يقتضي الصبر قبلها، قال تعالى: ﴿وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة:١٧٧] والصوم نصف الصبر كما في الحديث، والصبر نصف الإيمان، وتقدّمها أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ﴾[البقرة:١٧٨] وهذه شدة وتحتاج إلى صبر وقبلها ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[البقرة:١٨٠] هذه شدة وتحتاج إلى الصبر.

وبعدها آيات القتال:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[البقرة:١٩٠].

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[البقرة:١٩١].

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة:١٩٣].

الصوم من المشاق، والقتال من المشاق، والقتال يقتضي الصبر، والصوم نصف الصبر.

وبعدها ذكر آيات الحج؛ لأنّ الحج يقع بعد الصيام، وبعد شهر رمضان تبدأ أشهر الحج، فذكر ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧].

ثم ذكر المريض في الحج، كما ذكر المريض في الصوم، وذكر الفدية في الحج، ومن الفدية الصيام ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة:١٩٦] إذن موقع آيات الصيام تقع بين آيات الصبر وما يقتضي الصبر وعموم المشقة.

السؤال الثاني:

كيف كان الصوم في البدء قبل مشروعية شهر رمضان ؟

الجواب:

حسب قول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى رحمة واسعة: إنّ مشروعية الصوم بدأت بالأيام المعدودة وهي: ثلاثة أيام من كل شهر، وهو اليوم العاشر والعشرون والثلاثون، وكان الإنسان مخيراً في تلك الأيام المعدودة، إنْ كان مطيقاً للصوم أنْ يصوم أو أنْ يفتدي.

أمّا حين شرّع الله الصوم في رمضان، فقد أصبح الصوم فريضة تعبدية وركناً من أركان الإسلام، وبعد ذلك جاءنا الاستثناء للمريض والمسافر.

وكلمة (رمضان) تدل على الحرارة والقيظ، وكان الناس حينما أرادوا أن يضعوا أسماء للشهور جاءت التسمية لرمضان وقتَ كان حاراً، فسمَّوه رمضان، كما سموا ربيعاً الأول وربيعاً الآخر عندما كان الزمان متفقاً مع وجود الربيع، وعندما سمَّوا جمادى الأولى وجمادى الآخرة، عندما كان الماء يجمد في تلك الأيام.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ والفعل (كُتب) مبني للمجهول وجاء مع ﴿عَلَيْكُمُ﴾ تحديداً، مع أنه ورد في القرآن ﴿كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[التوبة:١٢٠] ؟

الجواب:

آ ـ نلاحظ في قول ربنا تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة:١٨٣] أنه ناداهم بنفسه ولم يقل: (قل يا أيها الذين آمنوا) فيكلف الرسول بخطابهم، وإنما ناداهم مباشرة؛ لأهمية ما ناداهم إليه؛ لأنّ الصيام عبادة عظيمة قديمة كتبها تعالى على من سبقنا فنادانا مباشرة، ولم ينادنا بالواسطة.

واستعمال ﴿كُتِبَ﴾ فيه شدة ومشقة وما يستكره من الأمور عموماً، ولذلك عندما يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ يكون أمراً فيه شدة ومشقة وإلزام، وفي أمور مستثقلة .

ومن معاني (كتب): ألزم ووجب وفرض، مثلاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾[البقرة:١٧٨]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦]، وفيه شدة .

ب ـ أما (كُتب له) فهو في الخير، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] . وأما (كُتِب عليكم) ففيه شدة ومشقة وإلزام، والصوم مشقة يترك الطعام والشراب والمفطرات من الفجر إلى الليل ففيه مشقة؛ لذا لم يقل (لكم).

ج ـ وبناء الفعل للمجهول (كُتِب)؛ لأنّ في الصوم مشقة وشدة؛ ولأنّ الله تعالى يظهر نفسه في الأمور التي فيها خير، أمّا في الأمور المستكرهة وفي مقام الذم أحياناً يبنى للمجهول مثل ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحُجُرات:٧] بينما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:١٤] بصيغة الفعل المبني للمجهول للأمور التي فيها شر، ومثلها: (آتيناهم الكتاب وأوتوا الكتاب) ففي مقام الذم يقول: أوتوا الكتاب مطلقاً، وفي مقام الخير يقول: آتيناهم الكتاب.

د ـ ولمّا كان هناك مشقة في الصوم على عباده قال: كُتب، ولم يقل: كتبنا. وأمّا في الأمور التي فيها خير ظاهر فيظهر نفسه، نحو قوله تعالى:

ـ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:١٢].

ـ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[الأعراف:١٥٦] هذا خير.

ـ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾[المائدة:٤٥] هذه فيها إلزام لهم، كتب على بني إسرائيل الأمور التي شددها عليهم، وشدد عليهم لأنهم شددوا على أنفسهم.

هـ ـ وحرف الجر يغير الدلالة وأحياناً يصير نقيضها، مثل: رغب فيه: يعني أحبّه، ورغب عنه: يعني كرهه. وضعه عليه: يعني حمّله، ووضعه عنه: أي أنزله.

السؤال الرابع:

ما دلالة استخدام (الصيام) لا (الصوم)؟

الجواب:

هذا من خصائص التعبير القرآني؛ إذ لم يستعمل الصوم في العبادة وإنما استعمله في الصمت فقط، قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[مريم:٢٦] .

والصوم هو الإمساك، والفعل صام يصوم صوماً وصياماً كلاهما مصدر، وربنا استعمل الصوم للصمت وهما متقاربان في اللفظ والوزن (الصوم والصمت) واستعمل الصيام للعبادة لسببين:

آـ المدة أطول (صيام).

ب ـ والمتعلقات أكثر من طعام وشراب ومفطرات فهو أطول، فقال: صيام، ولم يستعمل الصوم في العبادة.

وهذا من خواص الاستعمال القرآني، يفرد بعض الكلمات أحياناً بدلالة معينة؛ كما ذكرنا في الرياح والريح، وفي الغيثِ والمطر ،وفي وصّى وأوصى، ومن جملتها: الصوم والصيام.

و في الحديث الشريف القدسي وغيره يستعمل الصوم والصيام للعبادة نحو: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»، « **الصوم نصف الصبر**» لكنْ من خواص الاستعمال القرآني أنه يستعمل الصيام للعبادة.

السؤال الخامس:

ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾فما اللمسة البيانية فيها؟

الجواب:

آـ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾وهذا يدل على علوِّ هذه العبادة وعظمتها، وربنا سبحانه وتعالى كتب

هذه العبادة على الأمم التي سبقتنا ومعناها أنّ الصوم عبادة عظيمة ونحن لا نعلم كيفيتها، لكنْ كان الصيام موجوداً.

ب ـ ثم تدل الآية على الترغيب في هذه العبادة لأهميتها، فبدأ بها تعالى في الأمم السابقة؛ لأنّ الأمور إذا عمّت هانت، فالصيام ليس بِدعاً لكم وإنما هو موجود في السابق، فإذن هذا الأمر يدل على أهمية تلك العبادة، ويدل على تهوينها، حيث إنها ليست لكم وحدكم وإنما هي مسألة قديمة، فهي كما كتبت عليكم كتبت على الذين من قبلكم.

ج ـ كلمة ﴿تَتَّقُونَ﴾ أطلقها ولم يقل: (تتقون كذا)، على نحو ما قال (اتقوا النار) أو (اتقوا ربكم) فيحتمل أشياء مرادة .

أمّا إطلاق ﴿تَتَّقُونَ﴾ فتعني:

١ـ أنكم تتقون المحرمات وتحذرون من المعاصي؛ لأنّ الصوم يكسر الشهوة ويهذبها ويحُدّها كما في الحديث الشريف «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**».

٢ـ وتتقون المفطرات والإخلال بأدائها، أي: تحفظون الصيام وتتقون الإخلال بأشياء تؤدي إلى ذهاب الصوم .

٣ـ لعلكم تتقون، تحتمل تَصِلُون إلى منزلة التقوى وتكونون من المتقين، فإذن فيها احتمالات عديدة، وهي كلها مُرادةٌ.

٤ـ وضمن آيات هذا السياق للصيام تكرر ذكر التقوى والمتقين، قال تعالى:

- ﴿وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة:١٧٧].

- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[البقرة:١٧٩].

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[البقرة:١٨٠].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[البقرة:١٨٣].

- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة:١٨٧].

- ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[البقرة:١٩٤].

٥ـ لذلك نرى أن التقوى تكررت في السياق وهي مناسبة لأول السورة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾[البقرة:٢].

وفي عموم السورة إطلاق التقوى، وسورة البقرة ترددت فيها التقوى ومشتقاتها ٣٦ مرة. والتقوى فِعلها: (وقى) وقى نفسه، أي: حفظ نفسه وحذر، أي: احفظوا أنفسكم من الأشياء التي ينبغي أنْ تبتعدوا عنها.

وقسم يقول: إنّ التقوى هي ألا يراك الله حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك، يعني الابتعاد عن المحرمات والانهماك في الطاعات، هذه هي التقوى، وقد جاءت التقوى في سورة البقرة على الإطلاق، ومنها قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ يعني: تتقون أيَّ شيء عموماً.

❁❁❁❁

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ﴾ لماذا (معدودات) وليس (معدودة) ؟

الجواب:

في الجواب أمران:

آـ الجمع في غير العاقل: (معدودات) تدل على القلة و(معدودة) تدل على الكثرة، هذا هو القياس في اللغة، وفي غير العاقل المفرد يدل على الكثرة، والجمع يدل على القلة، كما في قولهم: الجذوع انكسرت (الجذوع كثرة فاستعمل انكسرت بالمفرد) والأجذاع

انكسرن (الأجذاع قِلّة فاستعمل انكسرن بالجمع) وفي الآية ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[التوبة:٣٦] حيث لمّا قال: ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ استعمل المفرد مع القلة فقال: ﴿مِنْهَآ﴾؛ وذلك لأنها أكثر من عشرة .

ولمّا قال: ﴿أَرْبَعَةٌ﴾ استعمل الجمع فقال:﴿فِيهِنَّ﴾ للقلة ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

ب ـ جمع القلة يكون من واحد إلى عشرة. وأمّا في الآية فقالوا: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ تقليلاً لهن تهويناً للصائم، وقسم يقول: إنها في أول فرض العبادة كانت ثلاثة أيام في كل شهر ولم يبدأ بالشهر كاملاً، ثم نُسِخ وجاء شهر رمضان فبدأت معدودات، ثم قال: شهر رمضان بعد هذه الأيام.

و(المعدودات) تدل على القلة (حتى العشرة) و(معدودة) أكثر من عشرة، وقوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ما اليوم؟ المشهورأن الأيام بمقابل الليالي، قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة:٧] . ونصبت (أياماً) على الظرف أو بإضمار؛ أي صوموا أياماً .

ج ـ وإذا رجعنا إلى كتب التاريخ عند العرب نجد أنها تؤرخ بالليالي (لثلاث خلون، لأربع خلون) ويأتي بها بالجمع، أمّا (لإحدى عشرة ليلة خلت) يأتي بها بالمفرد؛ لأنها

تدل على الكثرة، حتى في العدد نقول: ثلاثة رجال، عشرة رجال، أحد عشر رجلاً، مائة رجل، مليون رجل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ لماذا ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ؟

الجواب:

يقال: لأنه أباح للمتهيىء للسفر أنْ يفطر إذا اشتغل بالسفر قبل الفجر، وقوله تعالى ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: لم يسافربعد وإنما هو متهيىءٌ للسفر، مثل قوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[البقرة:٢٨٣] أي: تتهيئون، فقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ لا تعني أنه سافر بالفعل، وكثير من الفقهاء قالوا: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: أباح للمتهيِّء للسفر الفطر وإنْ لم يكن مسافراً، وقالوا: لو كان قال: (للمسافر) عندها لا يحق الإفطار لمن تهيأ للسفر؛ لذا قال: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ومعناه أنه أباح للمتهيِّء للسفر أنْ يفطر.

السؤال الثالث:

ما معنى كلمة ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ في الآية؟

الجواب:

كلمة ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ فيها كلام متعددٌ:

آـ قسم قال: المقصود به هو في بدء فرض الإسلام للصيام، أي عند بداية الفريضة؛ لأنهم لم يكونوا متعودين على الصوم، فمن شاء صام ومن شاء فدى في زمن الرسول ﷺ، ولمّا نزلت هذه الآية كأنهم فهموا أنهم مخيّرون بين الصوم والإفطار.

ب ـ وقسم قال: هذه الآية نسخت؛ لأنهم كانوا فعلاً في أول الإسلام مخيرين، فمن شاء يفطر ويفدي ومن شاء يصوم.

ج ـ وقسم قال: أطاق، أي: تكلَّفه بمشقة وصعوبة، وتكون الهمزة للسلب، يعني: سلبت طاقته وجهده، والفعل الثلاثي (طاق) أي: تحمل، والفعل (أطاق) فيه همزة السلب، أي: سلب طاقته.

د ـ الفدية مرهونة بعدم الصيام، وعدم الصيام هو أحد أمرين:

١ـ إذا كان كما يقولون إنه في أول الإسلام كان المسلمون مخيرين في الإفطار ودفع الفدية أو الصوم، والصوم خير .

٢ـ وإنْ كان غير ذلك، فالهمزة للسلب تبقى على دلالتها وليست منسوخة، وهي للذي لا يستطيع أنْ يصوم؛ لأنّ الصوم يسلب طاقته بحيث لا يتمكن من الصوم، فربّ العالمين رخصّ بالفدية للشيخ الكبير الهِرم، والمريض الذي لا يرجى شفاؤه.

وعندها تبقى الآية على دلالتها مستمرة ليس فيها نسخ إذا جعلت للسلب، ويبقى الحكم عاماً سارياً إلى يوم القيامة.

ولا شك أنّ الصيام أفضل لقوله تعالى ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين (أطاق وقدر واستطاع) ؟

الجواب:

١ـ الفعل (قدر) تعني أنّ الإنسان يقوم بالعمل دون أي جهد وأنّ العمل عليه سهل، ولذلك وصف الله تعالى ذاته العلية بأنه قدير؛ لأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

شواهد قرآنية:

آيات: [البقرة ١٤٨ ـ الأنعام ٣٧ ـ النحل ٧٧ ـ الإسراء ٩٩].

٢- الفعل (استطاع) مشتق من الاستطاعة وهي أنْ تقوم بالعمل الذي يساوي قوتك وجهدك دون أنْ تدخر منه شيئاً أو تتكلف أي جهد إضافي.

شواهد قرآنية:

آيات: [آل عمران ٩٧ ـ الأنفال ٦٠].

٣ ـ الفعل (أطاق) من الطاقة وهي القيام بالأمر ببذل أقصى الجهد والمشقة والتعب الشديد، أي: يقوم بالعمل ببذل مزيد من الجهد والعنت والشقاء .

شواهد قرآنية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ﴾ [البقرة:١٨٤].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٨٦].

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الفاء والواو في آيات البقرة: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة:١٨٤] ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة:١٥٨]؟

الجواب:

١ـ الفاء للتعقيب وتأتي للسبب كقولك: درس فنجح، وأمّا الواو فهي لمطلق الجمع ولا تدل على ترتيب أو تعقيب.

٢ـ جاء في الآية ١٥٨ ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالواو، وجاء في الآية ١٨٤ ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالفاء.

والسبب أنّ الأولى في الحج والعمرة ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: جاء بعبادة أخرى كطواف آخر أو حج آخر، فهي طاعة مستحدثة إضافية فناسبها الواو.

وأما الآية الثانية ١٨٤ فهي في الصوم فكيف يتطوع؟ أي: يزيد في الفدية في نفس المسألة وفي نفس الطاعة، فهي ليست طاعة مستحدثة، فناسبها الفاء .

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ بأنْ زاد على القدر المذكور، أو فعل أكثر من المطلوب؛ بحيث يُطعم مسكينَين أو أكثرَ، أو يجمع بين الصيام والفدية أوبين الإطعام والصيام.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني أيها الأصحاء أنْ تصوموا خير لكم، ملتفتاً من ضمير الغائب في ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ إلى المخاطب ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

٣ـ كان يمكن أنْ يقال في غير القرآن: (وأن يصوموا)، لكنه تحوّل من الغيبة إلى الخطاب لئلا يخص المرضى والمسافرين؛ لأنه لو قال: (لو يصوموا خيراً لهم) لكان هذا يخص المرضى والمسافرين ويتداخل مع قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ لكنّ قوله تعالى (وأن تصوموا خير لكم) أعم، وكل من هو مرخص له بالإفطار إن صام فهو خير له، وليس لهؤلاء فقط وإنما أيضاً إذا صح الكلام أنهم في أول الصيام كانوا مخيرين بين الفدية والصيام قبل أنْ يفرض شهر رمضان، فإنهم يدخلون تحت هذا الحكم ؛ أي أن الجميع يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

ولو قال: (وأن يصوموا) لكان يخص المرضى والمسافرين فقط، بينما لما قال:﴿وَأَن تَصُومُوا﴾ شمل الجميع المرخّص لهم وغيرهم وليس خاصاً بالمرضى والمسافرين، لذلك كان هذا الالتفات للجمع وهذا اسمه التفات في الخطاب.

السؤال السابع:

ما دلالة استخدام أداة الشرط (إنْ) هنا ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؟

الجواب:

تأمل كيف جاء أسلوب الشرط مستخدماً (إنْ) التي تفيد التشكيك والتقليل، ولم يستخدم (إذا) التي تفيد الجزم والتحقيق، وفي ذلك إشارة إلى أنّ علمك أيها المؤمن بفوائد الصيام في الدنيا والآخرة عِلمٌ غير محقق؛ لأنّ فوائده خفية وأسراره قد لا تتوصل إلى معرفتها، ولذلك يرغّبك في هذه العبادة حتى لو لم تدرك فوائدها إدراكاً كاملاً.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة:١٨٤] وكلمة (طعام) بدل من (فدية) فهل البَدَل يفيد التوكيد؟

الجواب:

للبدل عدة أغراض؛ منها أنْ يكون للإيضاح والتبيين، كما في قوله تعالى: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة:١٨٤] فطعام مسكين إيضاح للفدية.

❁❁❁❁

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾

السؤال الأول:

المطلوب إعطاء فكرة عامة عن الآية .

الجواب:

الملاحظ أنه تعالى ذكر الفريضة أولاً، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة:١٨٣] ولم يحدد وقتاً ولا مدة وإنما ذكر الفريضة، ثم بعدها ذكر الأيام مبهمة فقال: ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾[البقرة:١٨٤] ولم يُحَدِّدها، ثم بيّن بقوله: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ﴾[البقرة:١٨٥] فيما بعد، والآن تعيّن الوقت للصيام وحدّد وأصبحت الفريضة هي صيام شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، أي: الذي ابتدأ فيه نزول القرآن من اللوح المحفوظ جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل منجماً فيما بعد على مدى ثلاث وعشرين سنة.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ؟

الجواب:

في ذلك دلالتان:

آ ـ إمّا ما ذكرناه آنفاً، أي: ابتداء إنزال القرآن فيه .

ب ـ أو أنزل في شأنه القرآن، أي: في تعظيمه.

إذن فيها دلالتان أنه نزل فيه وأنه أُنزل في شأنه القرآن، وهو من باب تعظيم هذا الشهر، والاحتمالان مرادان، ولمّا قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾[القدر:١] أي: أنزلناه في ليلة القدر وأنزل في تعظيمها قرآن، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[البقرة:١٨٥] يعود الضمير (فيه) على الشهر كله .

السؤال الثالث:

لِمَ لمْ يقل ربنا مثلاً: (أنزلنا فيه القرآن) كما قال في آية الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[الحديد:٢٥] ؟

الجواب:

لم يقل: (أنزلنا فيه القرآن)؛ لأنه يتكلم عن شهر رمضان، وليس على مُنزِل القرآن، ولو قال: (أنزلنا) يكون الكلام عن الله سبحانه وتعالى وليس عن الشهر، ولو قال: (أنزلنا) يعود الكلام إلى ضمير المتكلم، لكنه يريد الكلام عن الشهر تعظيماً لهذا الشهر.

بينما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾[الحديد:٢٥] تعظيماً لله تعالى وعظمته والنعمة التي أنعمها على خلقه.

وكما قال تعالى في آية فصلت ٤٢: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ أنزل إليك ثم قال: من لدن حكيم حميد؛ لأنّ الكلام عن الكتاب ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾[فُصِّلَت:٤١] وفي تعظيم الكتاب، وليس عن الله سبحانه وتعالى.

والفعل في آية البقرة ١٨٥ مبني للمجهول ﴿أُنزِلَ﴾ [البقرة:١٨٥] والفاعل مُضمر محذوف ليس له ذكر؛ لأنّ سياق الكلام عن شهر رمضان.

السؤال الرابع:

في الآية قبلها قال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وهذا جمع قلة، والشهر ثلاثون يوماً، وجمع القلة حتى العشرة فكيف نفهمها؟

الجواب:

يجوز من باب البلاغة للتكثير وضع أحدهما مكان الآخر كما يستعمل القريب للبعيد والبعيد للقريب، لكنْ ذكرنا أنّ هنالك أمرين:

آـ الأمر الأول أنه تهوين الأمر على الصائمين بأنه شهر، أياماً معدودة وهو لا يقاس بالنسبة للأجر، فأنت تصوم هذه الأيام وهي قليلة جداً بالنسبة لأجر الله العظيم وما سيعطيك ربك من فضله مقابل ثمن قليل من أيام الصوم؛ فهي معدودات.

ب ـ ومن ناحية قالوا: إنّ الصيام كان فعلاً ثلاثة أيام في الشهر ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وكان مخيراً بين الفدية والصيام، فإذن كان فعلاً أياماً معدودات (ثلاثة أيام).

إذن تؤخذ من باب التهوين، وأنها قليلة بالنسبة لما سيعطيك الله تعالى، فهي قليلة، وبالتالي هي هينة على الصائم.

السؤال الخامس:

ما إعراب كلمة ﴿هُدًى﴾ في الآية ؟

الجواب:

هناك احتمالان:

حالٌ، أي: هاديا للناس، أو مفعول لأجله، أي: لأجل هداية الناس. والمفعول لأجله لايشترط أنْ يسبق بلام، وإنما هذا معنى المفعول لأجله كما في قوله تعالى:

ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٤] لم يقل: لابتغاء مرضاة الله، ليس فيها لام ولكنْ هي في المعنى هكذا.

- ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[البقرة:١٩] من الحذر، و﴿حَذَرَ﴾ مفعول لأجله.

والمفعول لأجله بيانُ عِلّةِ الفعل وسبب حدوثه، أي: السبب الذي من أجله حدث الفعل، كما تقول: أدرس طلباً للنجاح .

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾هذه الهداية غير موجودة لولا القرآن، فلولا القرآن لم تكن هنالك هداية، فإذن هي ابتغاء علة لم تكن حاصلة، لكنْ بالقرآن يحصل هذا الأمر.

ولذلك لفظة ﴿هُدًى﴾ إمّا حال وإما مفعول لأجله، وبهذه الطريقة يجمع معنيين معنى الحالية ومعنى المفعول لأجله، ولو أراد الحالية فقط لقال: (هادياً للناس).

السؤال السادس:

ما الفرق بين (هادياً) و(هدى)؟

الجواب:

هادياً: اسم فاعل، وهدى مصدر، وهناك فرق كبير بينهما، حتى لو كان التنصيص على الحاليّة في كليهما .

وهناك فرق بين المصدر واسم الفاعل، أي: هناك فرق كبير بين (أقبل راكضاً) و(أقبل ركضاً) وكلتاهما حال، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ [الأنفال:١٥] ما قال: (زاحفين) هذه حال، وكما في قوله تعالى أيضاً: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة:٢٦٠] لم يقل: (ساعيات) مع أنها حال، لكن لماذا اختار المصدر؟

والجواب أنّ اسم الفاعل يدل على الحدث وذات الفاعل، فعندما تقول: قائم، فهذا يدل على القيام مع الشخص الذي اتصف به، إذن (قائم) فيها شيئان: الحدث وهو القيام، وذات الفاعل .

لكن (القيام) هو المصدرالمجرد، ليس فيه نفس الارتباط الذي مع اسم الفاعل، وعندما تقول: أقبل راكضاً، راكضاً يدل على الحدث وصاحب الحدث، أمّا: أقبل ركضاً، فقد تحوّل الشخص إلى مصدر، هو صار ركضاً.

و هذا ليس قياساً عند الجمهور، مع أنه يقع كثيراً.

وربنا تعالى لما ذكر إبراهيم في قوله ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[البقرة:٢٦٠] قال (سعيا) وما قال: (ساعيات)؛ لأنه ليس فيهن شيء يُثقِلُهن من المادة؛ إنهن يتحولن من أقصى الهمود إلى حركة، أي: هنّ أصبحن سعياً، ولو قال: ساعيات فهذا يعني فيها صفة من الصفات ففيها الحدث وصاحب الحدث،و هناك فرق بين (أقبل ماشياً) و (أقبل مشياً) ليس فقط ماشياً، وإنما تحوّل إلى مشيٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى﴾[البقرة:١٨٥] يذكرون في الإخبار بالمصدرعن الذات أوالعكس أوالوصف، فتقول: (محمد ساعٍ) هذا أمر عادٍ، لكنْ (محمد سَعْيٌ) هذا لا يجوز إلاعلى ضرب من التجوُّزِ، أي: محمد تحوّل إلى سعيٍ، ولذلك لمّا قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾[هود:٤٦] لم يقل: (عامل)

وإنما (عملٌ) أي: ابنك تحول إلى كتلة عمل غير صالحة ولم يبق فيه شيء من البشرية والإنسانية، ولذلك لا يجوز هذا إلا على ضرب من التجوّز والمبالغة.

السؤال السابع:

ما دلالة ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: وأُنزِل آيات بينات واضحات الدلالة، ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ الواو: حرف عطف، بينات: معطوفة على هدى، والعطف يصح من دون تقدير، مثل: أقبل محمد وخالد، أي: أقبل محمد وأقبل خالد، لا يحتاج إلى تقدير فعل مغاير .

إذن: أُنزل هدى للناس، وأُنزل آيات بينات واضحات الدلالة من الهدى والفرقان .

وإعراب (وبينات) الواو: حرف عطف، وبينات: معطوف منصوب، وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، لكنّ الكلمة تدل على الصفة، والصفة لا نقصد إعرابها نعتاً، ولكن هي صفة .

٢ـ اسم الفاعل أو اسم المفعول أو الصفة مشبهة أو صيغ المبالغة أو اسم التفضيل، هذه تسمى صفات، وهناك صفة مشبهة على وزن (فيعل) مثل ميّت، جيّد، طيّب، ليّن، هيّن، بيّن، وهذه صفات مشبهة.

السؤال الثامن:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾؟

الجواب:

﴿وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾ أي: الفارق بين الحق والباطل، أي: أنزل الله تعالى بينات من الهدى .

والقرآن هو هدى للناس وهذا للعموم، وفيه آيات بينات تبين الحجج الدامغة على أنه من عند الله، وفيها أحكام عظيمة جداً تهدي الناس.

لذلك يكون: (هدى للناس) هذه عامة، و(بينات من الهدى والفرقان) خاصة.

السؤال التاسع:

في أول سورة البقرة قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] وهنا قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] والآيتان في البقرة، فما دلالة ذلك في المعنى ؟

الجواب:

القرآن فيه هداية عامة وفيه هداية خاصة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾[مريم:٧٦].

فالهداية العامة هي ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة:١٨٥] والهداية الخاصة هي ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ ﴾[البقرة:١٨٥] أي: فيه آيات بينات تستدل منها على أنّ هذا القرآن قطعاً هو من فوق سبع سموات، وفيه دلائل آيات واضحة تحتج بها على أنّ هذا القرآن هو من عند الله ،وهناك آيات أحكام هادية للناس في معاملاتهم تفرق بين الحق والباطل.

إذن هناك هداية عامة وهداية خاصة، واستخدم الكلمتين بالمعنيين هنا ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] هدى عام و ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ و ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٨٥] هدى خاص.

السؤال العاشر:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] كيف يشهد الشهر؟ هل يراه مثلاً؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ [البقرة:١٨٥] أي: من كان حاضراً غير مسافر، أي: من كان مقيماً وليس مسافراً، وشهد الشهر ليس شاهد الهلال أو رأى الهلال. تقول: أشهِدتَ معنا؟ أي كنت حاضراً معنا؟ وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج:٧] وشرط الشهادة أنْ تكون حاضراً وليس مسافراً؛ لأنه ذكر المسافر فيما بعد.

السؤال الحادي عشر:

قال في الآية السابقة ١٨٣: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] باستخدام عليكم، فلماذا لم يقل مثلاً (لكم)؟

الجواب:

قوله تعالى في آية البقرة ١٨٣: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ لأنّ الله تعالى ذكر في نفس الآية ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ و(على) هنا تفيد المشقة، والصوم فيه شدة وإلزام ومشقة؛ إذ

يترك الصائم الطعام والشراب والمفطرات من الفجر إلى الليل ففيه مشقة؛ لذا لم يقل (لكم).

السؤال الثاني عشر:

قوله تعالى في الآية ١٨٥: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ولم يستعمل (منكم) كما قال في الآية ١٨٤: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ علماً أنه قال في الآية ١٨٥: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾[البقرة:١٨٥] فلماذا ؟

الجواب:

آ ـ في الآية (١٨٤) قيّد؛ فلا بد أنْ يذكر ﴿مِنكُمْ﴾ لئلا ينصرف المعنى للذين من قبلكم، فيُظن أنّ هذا حكم الأولين وليس لنا هذا الحكم، والخطاب في الآية (١٨٤) هو للمسلمين بدليل قوله تعالى في آخر الآية ١٨٣: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ ولذلك كان لا بدّ من ذكر ﴿مِنكُمْ﴾.

ب ـ في الآية الأخرى رقم (١٨٥) قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة:١٨٥] الكلام معهم وذكر ﴿مِنكُمْ﴾ لأنهم مخاطبون.

ج ـ لو قال في غير القرآن: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضاً) يكون تكراراً، ولا معنى أنْ يقال: (ومن كان منكم) لأنها مذكورة فلا تحتاج الإعادة.

السؤال الثالث عشر:

لِمَ لمْ يقل تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:١٨٤] في الآية ١٨٥، كما قال في سابقتها ١٨٤ ؟

الجواب:

لأنه إذا قرأنا الآية نفسها ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ قال: يريد بكم اليسر، فكيف يقول: أنْ تصوموا خير لكم؟ وهذا من تمام رأفته ورحمته بنا سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع عشر:

ما نوع (اللام) في قوله تعالى:﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ ؟

الجواب:

هذه (اللام) فيها احتمالان:

١ـ احتمال أنْ تكون اللام زائدة في مفعول فعل الإرادة، يعني يريد لتكملوا العدة، والقصد منها التوكيد؛ لأنّ فعل الإرادة يتعدى بنفسه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] وهنا جاء بـ (اللام) وهو يقع كثيراً في مفعول فعل الإرادة للتوكيد، فاحتمال أنْ تكون هذه اللام مزيدة في مفعول فعل الإرادة بقصد التوكيد.

٢ـ والآخر يحتمل أنْ يكون للتعليل والعطف على علّة مقدرة، كما في قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ في الآية ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ

مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[البقرة:٢٥٩] وفي هذه الآية علّل بدلالة الواو العاطفة ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾أي: أنّ هنالك عللاً أخرى محذوفة لا يتعلق الآن غرض بذكرها لأنها ليست فقط لهذه العلة، ولأنّ أصل السؤال أنى يحيي الله هذه بعد موتها؟ فأماته الله، وما ذكر تلك العلل المحذوفة، وإنما ذكر ما يتعلق بإرادة المتكلم وهو أنْ يجعله آية للناس.

وقد يكون العطف على مقدّر، كما في قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾[النساء:٣٦] في غير العلّة، فإن قيل: (وبالوالدين) على أي شيء معطوف؟

فالجوابُ: هو أنه ليس هناك شيء مذكور وإنما مقدر، والمعنى: أحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا كثير في القرآن الكريم وفي لغة العرب.

السؤال الخامس عشر:

ما معاني الحرف (ما) في قوله تعالى في الآية ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٨٥] ؟

الجواب:

(ما) تحتمل معنيين، بمعنى اسم الموصول الذي، والمصدرية بمعنى الهداية، ونرجح المعنيين وهما مرادان، أي: على الذي هداكم، وعلى هدايته لكم.

وقد يعين السياق أحياناً على فهم دلالة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب:٢٣]؛ لأنه بمجرد أنْ قال: ﴿عَلَيْهِ﴾[الأحزاب:٢٣] تحدد معنى (ما)، ولو لم يقل: (عليه) لاحتملت ما الموصولة أو المصدرية، فطالما لم يحدد يُطلق.

السؤال السادس عشر:

لماذا ذكر الشكر بعد ذكر أحكام الصيام بقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥] ولم يقل مثلاً: تفلحون؟

الجواب:

السبب أنّ الصائم قد يُظَنُّ لأول وهلة أنّ هذه العبادة شاقة عليه، فإذا ما انتهى منها أدرك لطف الله سبحانه وتعالى به، وهذا ما نجده بعد الانتهاء من صيام يوم أو صيام شهر، فنشعر بفضل الله تعالى علينا وكيف أعاننا على القيام بهذه الفريضة، فندرك عظمتها ونستشعر آثارها في أرواحنا، فنتوجه إلى الله تعالى بالشكر على هذه العبادة العظيمة وعلى عونه لنا على أدائها.

❀❀❀❀

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

السؤال الأول:

هذه الآية جاءت بين آيات الصيام، فلماذا؟

الجواب:

بعدها قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة:١٨٧] وهذا يدل على أنّ الصيام من دواعي الإجابة، ووقوع هذا الدعاء بين آيات الصيام إرشاد العباد إلى أنْ يلحوا بالدعاء ويكثروا منه؛ لأنّ الصائم مجاب الدعوة في صومه وعند فطره، فإذن وقوع هذه الآية بين آيات الصوم إرشاد للعباد إلى أنّ هذه فرصة ودعوة لهم إلى الدعاء؛إذ إن الصائم لا ترد دعوته.

السؤال الثاني:

مع الآيات التي تبدأ بقوله تعالى (يسألونك) يأتي الجواب بـ (قل) على الأغلب، وهنا في الآية جاء الجواب مباشرة من دون (قل) فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في هذه الآية لم يقل الله: فقل لهم إني قريب، وإنما تكفل تعالى بالإجابة مباشرة، على نحو ما خاطبهم مباشرة في قوله عز وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[البقرة:١٨٣] وما قال: قل لهم: كُتب عليهم الصيام، كذلك في الدعاء لم يقل: قل لهم، وإنما قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦] مع أنه في آيات أخرى عندما يكون هناك سؤال، يقول: قل، مثلاً ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾[البقرة:٢٢٢] أمّا في هذه الآية فتكفل الله تعالى بالإجابة مباشرة، هو سبحانه وتعالى يُدعى بلا واسطة، وهو يجيب مباشرة .

السؤال الثالث:

لِمَ لمْ يربط إجابة الدعاء في الآية بمشيئة الله كما في آية الأنعام: ٤١؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة:١٨٦] لم يقل: إنْ شئت أو إنْ شاء ربك، كأنه أجاب وقطع بالإجابة، بينما نلاحظ في آية أخرى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤١] فلم يقطع بالإجابة، بينما في آية الصيام فالإجابةُ لا بد أنْ تكونبواحد من ثلاثة: إمّا يعجل له، أو يُدّخر له، أو يرد عنه بمقدارها من الأذى، كما في الحديث.

السؤال الرابع:

ما دلالة استخدام (إذا) بدل (إنْ) في الآية ؟

الجواب:

استخدام (إذا) في الآية؛ لأنه سبحانه وتعالى أراد أنْ يكثر الناس من الدعاء ويلحوا فيه؛ لأنّ (إذا) تفيد الكثير والمقطوع به ولم يقل: (إنْ)؛ لأنّ (إنْ) تستعمل للشك والنادر والمستحيل الوقوع، أمّا (إذا) فهي لمقطوع الوقوع أو كثير الوقوع.

شواهد قرآنية:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٨٠] هذا مقطوع الوقوع فاستعمل (إذا).

- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] هذه قليلة فاستعمل (إن) .

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ وقوله: ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ في نفس الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ وقوله ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ فيه إشارة أنّ المطلوب من العبد الإكثار من الدعاء؛ ولذاعليه أنْ يكثر من الدعاء، وفيه أيضاً أنّ الدعاء شرط الإجابة، كما قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فجعل الله تعالى الدعاء شرط الإجابة .

السؤال السادس:

ما فائدة تقديم الإجابة على طلب الدعاء ؟

الجواب:

قدّم الإجابة على الدعاء من باب التوكيد، ومثاله قولك: إذا جئت إليّ أُكرمك، فأنت هنا بنيت الخبر على المجيء، لكن عندما تقول: أكرمك إنْ جئتني، تكون قد بنيت الخبر على الإكرام .

وهنا في هذه الآية ربنا بنى على الإجابة، فالإجابة بفضل الله متحققة، والله تعالى يريد من العباد أنْ يدعوه، والدعاء شرط الإجابة.

وفي هذه الآية قدّم الاستجابة على الإيمان؛ لأنّ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا يدل على أنّ العبد لا يصل إلى نور الإيمان إلا بتقدم الطاعات والعبادات.

السؤال السابع:

قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ وليس (أجيب الداعي)، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ وليس (أجيب الداعي)؛ لأنّ الدعوة هي المطلوبة بالذات، يجيب ما تريد أنت، أي: يجيب الدعوة. وربنا يغضب إذا لم يدعه العبد، ويحب الملحاح في الدعاء، وقد غضب ربنا على أقوام لأنهم لم يدعوه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾[الأنعام:٤٢-٤٣] وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[المؤمنون:٧٦] وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾[الفلق:١] أي: ادعُ وقلها لا في نفسك فقط؛ لأنه عندما يقول العبد: (أعوذ) يعني أنه يحتاج لمن يعينه فينبغي أنْ يقولها.

السؤال الثامن:

جاء جواب السؤال في الآية في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ولم يقل: (قل) فما دلالة ذلك؟

الجواب:

جاء جواب السؤال في قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: (قل)؛ لأنّ (قل) هنا يحتاج إلى مدة وإنْ كانت قصيرة فهي لا تتناسب مع القرب في الإجابة، فأراد ربنا سبحانه وتعالى أنْ يجعل القرب في الإجابة عن السؤال دون وساطة، فجعل الجوابَ منه لعباده مباشرة، وجاءت الفاء في الجواب ﴿فَإِنِّي﴾ لتفيد السرعة والمباشرة الفورية التي تتناسب مع هذا العطاء الرباني العظيم، فقال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

السؤال التاسع:

لماذا في هذه الآية تقدّم جواب الشرط على فعل الشرط ؟

الجواب:

آ ـ في هذه الآية تقدّم جواب الشرط على فعل الشرط، ومعناه: أنّ الله تعالى يجيب دعاء العبد حتى قبل أنْ يبدأ بالدعاء.

ب ـ وفي الآية لفتةٌ أخرى: أنه في سياق القرآن كله عندما تأتي الآية فيها (وإذا سألك) أو (يسألونك) يأتي الردّ من الله تعالى لرسوله (قل) إلا في هذه الآية فقد جاء الردّ مباشرة من الله تعالى لعباده في خطاب مباشر ليس بين الله تعالى وعباده أي وسيط، حتى لو كان الرسول الكريم ﷺ، فما على العبد إلا الدعاء، والله تعالى يجيب دعاء عباده؛ فسبحانه وتعالى.

السؤال العاشر:

ما الفرق بين ذكر الياء وعدم ذكرها في ﴿عِبَادِى﴾ و﴿عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزُّمَر:١٧]؟

الجواب:

هذه ظاهرة في القرآن، (عبادي وعبادِ)، فأكثر الكلمتين مبنى أوسعهما معنى؛ بيان ذلك أن كلمة (عبادي) أكثر من (عبادِ) في العدد؛ لأنها (عبادي) تشمل كل العباد، وذلك مناسب لسعة الكلمة وطولها وسعة المجموعة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ كل العباد تسأل، هذا لا يخص عبداً دون عبد.

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣] فكل العباد مكلفون أنْ يقولوا التي هي أحسن.

أمّا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: ١٧ - ١٨] ما قال: يستمعون الحسن وإنما أحسنه، وهؤلاء قليل.

السؤال الحادي عشر:

ما دلالة حرف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾؟

الجواب:

الفاء لطلب سرعة الاستجابة إلى الله والإيمان به ودعائه، وفي ذلك مسائل:

آـ كأنه تعالى يقول: أنا أجيب دعاءك مع أني غني عنك مطلقاً، فكن أنت مجيباً لدعائي مع أنك محتاج إليّ من جميع الوجوه، فما أعظم هذا الكرم !!!

ب ـ إجابة الله عبده فضل منه ابتداء، وأنه غير معلل بطاعة العبد.

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ تبين أنّ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا يدل على أنّ العبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقدم الطاعات والعبادات .

السؤال الثاني عشر:

هل هناك فرق بين: (أجاب واستجاب) ؟

الجواب:

الفعلان: أجاب واستجاب بمعنى واحد، وقال أهل المعنى:الإجابة من العبد لله الطاعة، وإجابة الله لعبده إعطاؤه إياه مطلوبه.

السؤال الثالث عشر:

ما الدروس المستفادة من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ يدل على أنّ العبد لله، وقوله ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ يدل على أنّ الرب للعبد.

٢ ـ لم يقل: (العبد مني قريب) بل قال: أنا منه قريب، وفي ذلك سر نفيس، فإنّ العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو، هو في مركز العدم وحضيض الفناء فلا يمكنه القرب من الرب، أمّا الحق سبحانه فهو القادر من أنْ يقرب بفضله وبرحمته من العبد، فالقرب من الحق إلى العبد لا من العبد إلى الحق، فلهذا قال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾.

٣ ـ حذف الياء من (الداع) و (دعان) حتى لا يشعر العبد بطول الزمن بين الدعاء والإجابة.

السؤال الرابع عشر:

هناك إشكال: نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب، فلماذا؟

الجواب:

الآية وإنْ كانت مطلقة إلا أنها قد وردت آيات أخرى مقيدة، نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾[الأنعام:٤١] فترك المشيئة له سبحانه من وجوه:

آ ـ الداعي لا بدّ له من شروط الدعاء المعروفة، مثل: التوبة، والإقلاع عن المعاصي، وكسب الحلال، والبعد عن الحرام، وطيب المأكل والمشرب، والإخلاص والتذلل لله.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قوله: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام فأنّى يستجاب له**»

ب ـ الداعي لا بدّ أنْ يجد من دعائه عوضاً، إمّا إسعافاً بطلبه إذا وافق القضاء، فإن لم يتم ذلك فسكينة في نفسه وانشراح في صدره وصبر يسهل معه احتمال البلاء الحاضر.

ج ـ قال الله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل: في الحال، فإذا استجاب له بعد حين ولو في الآخرة كان الوعد صادقاً.

يقول الله في الحديث القدسي: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرَّبُّ: وعزتي لأنصرنَّكَ ولو بعد حين**».

د ـ قوله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾ لم يقل للعبد: أجب دعائي حتى أجيب دعاءك، وهذا تنبيه على أنّ إجابة الله عبده فضل منه ابتداء، فالله يجيب الدعاء وهو في غنى عن العبد، بينما العبد محتاج إلى الله.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ
لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا
عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا
تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (اللباس) في الآية ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾[البقرة:١٨٧] ؟

الجواب:

جاءت هذه الآية لتعبر عما تحمله تلك العلاقة المقدسة بين الرجل والمرأة، وما يمثله كل واحد منهما لصاحبه، وذلك بتشبيه كل واحد منهما باللباس للآخر.

اللباس الذي يستر العورات ويُدفيءُ صاحبه ويمنع عنه الأذى والضرر إلى غير ذلك من المنافع الكثيرة، فلو أردت أخي المؤمن وضع كلمة مكان (لباس) لما أدّت إلى المعنى المراد، ولما وسعت ذلك الشمول الذي احتوى عليه ذلك التشبيه الرائع.

السؤال الثاني:

ما أنواع اللباس وما منظومة اللباس التي ذكرت في القرآن ؟

الجواب:

الثوب:

هو الثوب الظاهر الذي يستر العورة، وله معنيان:

- معنوي: خُلق تقوى مروءة، كقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[المدَّثر:٤].

- مادي: لما نلبسه.

اللباس:

وهو يدل على السَّتر المادي والمعنوي - وهو الذي يستر السوءة - وقد ينزع اللباس نزعاً بالقوة. واللباس يواري السوءة الحسية والمادية.

شواهد قرآنية:

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[الأعراف:٢٦] يعني كل عبادة فيها جانب خفي وتوقير.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ ماديٌّ ومعنويٌّ هو عدم إظهار سيئات الزوج أو الزوجة.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾[الأعراف:٢٧].

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[النحل:١١٢].

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾[الأعراف:٢٦].

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف:٢٦] أي: أنْ تؤديها خالصة لله وقلبك مخلص.

أنواع اللباس:

١ـ الجلباب: ثوب له أكمام ويقفل من الأمام ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[الأحزاب:٥٩].

٢ـ كساء: هو الثوب الذي يُلقى على الكتف ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾[النساء:٥] .

٣ـ خمار: غطاء الرأس ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[النور:٣١] .

٤ـ سربال: كل شيء غليظ يقي من الحر أو البرد أو الضرب ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل:٨١] .

٥ـ ريش: هو ما يدل على الترف وهو حلال مالم يؤد إلى الخيلاء ﴿يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾[الأعراف:٢٦].

٦ـ سابغ: كل شيء واسع وتام ومريح، ومنه: إسباغ الوضوء ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ [لقمان:٢٠] .

٧ـ **مزمل:** طريقة لبس الكساء إذا لف الإنسان نفسه بكسائه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ①﴾ [المزّمل:١] .

٨ـ **إزار:** ومنه المئزر، وهو معروف، والأصل في الأزر هو القوة ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه:٣١] .

٩ـ **غطاء:** ما يُتغطى به.

١٠ـ **دثار:** المدثر هو المتدرع بدثاره كالملتف باللحاف مثلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ①﴾[المدّثر:١].

١١ـ فراش: ما يوطىء من متاع البيت، ومنه المفروشات.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (لا تقربوها) و(لا تعتدوها) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ القاعدة في القرآن الكريم أن الله تعالى يستعمل في النواهي: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[البقرة:١٨٧] ومع الأوامر يستعمل ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة:٢٢٩].

وبناء على هذه القاعدة يتبيّن الفرق.

٢ـ الحدّ هو الحاجز ونهاية الشيء الذي إنْ تجاوزه المرء دخل في شيء آخر، وشُبِّهت الأحكام بالحد؛ لأنّ تجاوزها يُخرج من حِلٍّ إلى منع.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [البقرة:١٨٧] و ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [النور:١٨] ؟

الجواب:

١ـ نستعرض بعض الآيات:

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[البقرة:١٨٧].

وقال أيضاً: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[البقرة:٢١٩].

وقال أيضاً: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾[البقرة:٢٢١].

٢ـ وردت في القرآن الكريم كلمة (آية)٨٤ مرة، وكلمة (آيات) ٢٩٥ مرة، وكلمة (آياتنا) ٩٢مرة، وكلمة (آياته) ٣٨مرة، وكلمة (آياتي) ١٤مرة، وكلمة (الآيات) ٣٣ مرة.

٣ـ المقارنة هنا بين كلمتي ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ و﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ والاستعمال القرآني لهما هو أنّ (الآيات) عامة (وآياته) فيها إضافة إلى الهاء العائدة لله للتشريف والتعظيم؛ لذلك هي أخصّ وأهم، بينما الآيات أعم .

ولذلك نجد القرآن الكريم يستعمل كلمة: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ [البقرة:١٨٧] للمواطن الأهم والآكد من المواطن الأخرى، فاستخدمها القرآن الكريم في الأحكام المختصة في أحكام الحلال والحرام والمواضع الأهم .

شواهد قرآنية:

آية البقرة ـ ١٨٧ ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

آية البقرة ـ ٢١٩ ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ .

آية البقرة ـ ٢٢١ ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

آيتا النور ٥٨ـ و ـ ٥٩ ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ و ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

آية النور ٦١ ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ .

نجد من دراسة الآيات القرآنية أعلاه ما يلي:

١ـ آية البقرة: ١٨٧ فيها أحكام عن الصوم وتفاصيله وهو أمر هام في الإسلام فجاء في آخرها: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ .

٢ـ آية البقرة: ٢١٩ ليس فيها أحكام تحريم الخمر بشكل واضح وإنما بيّن أنّ إثمه أكبر من نفعه وكذلك الميسر، وأنّ ما ينفقونه هو العفو، أي: ما زاد، فاستعمل ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾.

٣ـ آية البقرة: ٢٢١ فيها أحكام بعدم التزاوج مع المشركين والمشركات، فجاء في آخرها بلفظة ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وهذا حكم هام بعدم الزواج والتزويج من المشركين والمشركات.

٤ـ آية النور ٥٨ فيها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [النور:٥٨] بينما في الآية ٥٩ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [النور:٥٩] وطلب الاستئذان في الآية الثانية أقوى وأهم من الآية الأولى؛ لأنّ الأطفال هنا قد بلغوا الحلم فجاء فيها ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ بينما جاء بكلمة ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ في آية النور الأولى.

٥ـ آية النور:٦١ الموضوع يتعلق فيما إنْ أكل من بيوت الأقرباء وربما لا يأكل، فأمر الأكل مباح وليس مؤكداً؛ فجاء بكلمة ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما دلالة اختلاف الفاصلة في آيات البقرة: [١٨٧ـ ٢٢١ـ ٢٤٢ـ ٢٦٦]؟ وكيف نميز بينهم في الحفظ؟

الجواب:

أولاً ـ لنستعرض الآيات:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة:١٨٧] الفاصلة (يتقون).

قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾[البقرة:٢٢١] الفاصلة (يتذكرون).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾[البقرة:٢٤٢] الفاصلة (تعقلون).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة:٢٦٦] الفاصلة (تتفكرون).

ثانياً ـ حفظ كلام الله تعالى إنما يتأتّى بالتكرار والمراجعة؛ لأنّ الآيات كما وُصفت كأنها الإبل الشاردة، لكن الإنسان يحاول أنْ يجد رابطة ما بين الآية وخاتمتها؛ حتى لا تلتبس عليه، و لا نقول هذه الآيات متشابهة، وإنما هي متقاربة متماثلة، وذكرنا سابقاً أنّ المتشابه هو الذي معناه مفهوم ولكن فيه مساحة للغيب.

ثالثاً ـ بشكل عام الآيات قد تكون للخطاب نحو: (لعلكم تتقون) أو للغيبة نحو: (لعلهم يتقون) وخطاب الغيبة يكون عادة عندما يريد الله أنْ يكون الحُكم عاماً مطلقاً وليس للمخاطبين في جزئية معينة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

١ـ وردت في سورة البقرة في أربعة مواضع في الآيات: [٢١- ٦٣-١٧٩-١٨٧].

٢ـ التقوى هي تجنب مخالفة أوامر الله .

٣ـ تأتي هذه الفاصلة: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ عندما يكون السياق بالأوامر: افعلوا أو لا تفعلوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

١ـ وردت في سورة البقرة مرتين في الآيات:[٢١٩ -٢٦٦].

٢ـ تأتي هذه الفاصلة عند طلب التفكر إمّا بضرب مثل، وإمّا يكون جواباً عن سؤال حتى يتفكر الإنسان في الإجابة.

٣ـ يلاحظ أن الآيتين: [٢١٩-٢٦٦] تتعلقان بالمال .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

١ـ التذكر هو الاتعاظ، أي: بأنْ تكون له عظة بذلك.

٢ـ وردت في سورة البقرة في مكان واحد في الآية (٢٢١) كما وردت في باقي القرآن في ستة مواضع هي: [إبراهيم ٢٥ـ القصص ٤٣ـ ٤٦ـ ٥١ـ الزمر ٢٧ـ الدخان ٥٨].

٣ـ تأتي هذه الفاصلة في سياق حُكمٍ مخالفٍ للأعراف والتقاليد عندهم، فعند ذلك يُطلب منهم أنْ يكون لهم بهذا القرآن عظة وعبرة فلا يخالفوه .

السؤال السادس:

لماذا حذف فاعل ﴿أُحِلَّ﴾[البقرة:١٨٧] وبناه للمجهول في الآية ؟

الجواب:

حذف الفاعل وبناه للمجهول عند التحدث على الرَّفَث، وهو ما يحسن ألا يقترن بالتصريح بالفاعل فقال: ﴿أُحِلَّ﴾[البقرة:١٨٧].

❁❁❁❁

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[البقرة:١٨٨] في الآية ؟

الجواب:

قوله سبحانه: ﴿وَتُدْلُواْ﴾[البقرة:١٨٨] مأخوذة من أدلى، ونحن ندلي الدلو إلى الأسفل، وأدلى: معناها: أنزل الدلو؛ ولذلك جاء في قصة الشيطان مع آدم عليه السلام ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف: ٢٢].

فقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[البقرة:١٨٨] أي: ترشوا الحكام ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾[البقرة:١٨٨] ومن العجيب أنّ الرشوة مأخوذة من الرِّشاء وهو الحبل الذي يُعلق فيه الدلو، لذلك فأدلى ودلَّى في الرشوة.

وكلمة ﴿وَتُدْلُواْ﴾ [البقرة:١٨٨] تبين أنّ اليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السفلى، فجاءت لتعبر عن دناءة المرتشي وسفله ولو كان في الذروة من حيث المنصب وموقع المسؤولية.

أمّا لماذا يدلون بها إلى الحكام؟ إنهم يفعلون ذلك حتى يعطيهم الحكام المبررات التشريعية لأكل أموال الناس بالباطل، وذلك عندما نكون محكومين بقوانين البشر.

لكن عندما نكون محكومين بقوانين الله، فالحاكم لا يبيح مثل هذا الفعل.

❊❊❊❊

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾[البقرة:١٨٩] البِرُّ مصدر، ومن اتقى: شخص، كيف البر هو الذي اتقى؟

الجواب:

البارّ هو الذي يتقي وليس البِرّ، والبارّ من اتقى وليس البر، البِرّ عمل وهو فعل الخير، ولو تحول البر إلى شخص لكان شخصاً متقياً.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة ١٧٧: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بالنصب، وقوله تعالى في آية البقرة ١٨٩ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾[البقرة:١٨٩] بالرفع، فما دلالة الرفع ودلالة النصب؟ وما الفرق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١٧٧.

السؤال الثالث:

ما دلالة الآيات التي بدئت بقوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ؟

الجواب:

أولاً ـ لم يكن عدد الأسئلة التي سألها الصحابة رضوان الله عليهم كبيراً، فعددهم لم يتعد بضعة عشر سؤالاً، وبشكل أدق فقد كان عدد الأسئلة ستة عشر سؤالاً، والنبي ﷺ نهاهم عن السؤال، فقال: «**ذروني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**» رواه أبو هريرة.

ثانياًـ حينما دخل المسلمون الدين الجديد - الإسلام - عشقوا معه التكليف والأحكام وأرادوا أنْ يبنوا حياتهم على هذا النظام الإسلامي الجديد الطاهر، حتى إن الشيء الذي لم يغيره الإسلام أرادوا أنْ يعرفوه ويطبقوه على أنه حكم الإسلام لا على حكم العادة، فعندما تقرأ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في القرآن فاعلم أنها من هذا النوع.

وفي القرآن الكريم يوجد (١٥) آية جاءت بصيغة سؤال وتبدأ بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بصيغة المضارع ومرة واحدة بصيغة الماضي، والآيات التي وردت بصيغة المضارع منها ثمانية أسئلة في سورة البقرة وحدها والباقي ٨ أسئلة أخرى موزعة على باقي سور القرآن، حسب المبين أدناه:

السورة	رقم الآية	الصيغة	الجواب
البقرة	١٨٦	﴿سَأَلَكَ ﴾	﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾
البقرة	١٨٩	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
البقرة	٢١٥	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
البقرة	٢١٧	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
البقرة	٢١٩	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
البقرة	٢١٩	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
البقرة	٢٢٠	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
البقرة	٢٢٢	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
المائدة	٤	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
الأعراف	١٨٧	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
الأعراف	١٨٧	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
الأنفال	١	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
الإسراء	٨٥	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
الكهف	٨٣	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿قُلْ ﴾
طه	١٠٥	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿فَقُلْ ﴾
النازعات	٤٢	﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾	﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾

وفي هذا الموضوع نلحظ النقاط التالـــية:

١ـ وردت كلمة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ مع الواو ٦ مرات، وبدون الواو، أي: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ٩ مرات، وذلك حسبما يأتي السؤال منفرداً أو في بداية كلام جديد، فيأتي الجواب بدون حرف الواو ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾أو ربما تأتي عدة أسئلة معاً، فيأتي في الجواب بدون حرف العطف للسؤال الأول، ثم مع حرف العطف لبقية الأسئلة.

أو يأتي للسؤال ضمن المتعاطفات، فيأتي حرف العطف كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[الإسراء:٨٥] فقد سبقها وتبعها مجموعة من المتعاطفات، أو يكون الوضع أنّ السياق يحسن فيه العطف.

٢ـ جاءت الأجوبة على ثلاثة أنواع: فالأغلب فيها أنّ الله لما حكى السؤال قال لنبيه: (قل) إلا سؤالاً واحداً جاء معه الجواب بـ (فقل) في قوله تعالى في آية طه ١٠٥: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾[طه:١٠٥] فجاء بالفاء مع الفعل (قل) لماذا ؟

لأنّ السؤال في كل الآيات سؤال عن شيء وقع بالفعل، وسئل الرسول الله ﷺ قبل نزول الآيات فكان الجواب: (قل) أمّا السؤال عن الجبال فلأنه حدثٌ لم يقع بعد، فكأنّ الله سبحانه يُخبر رسوله ﷺ أنه سيُسأل هذا السؤال، أي: كأنّ حرف الفاء دل على شرط مقدر، بمعنى: إنْ سألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً.

أمّا الصورة الثالثة: فهي في آية البقرة ١٨٦، فجاء الفعل بصيغة الماضي، ولم يكن الجواب بـ (قل) سواء مع الفاء أو بدونها، للأسباب التالية:

آـ لأنّ قوله (قل) تطيل القرب .

ب ـ يريد الله أنْ يجعل القرب منه لعباده مباشرة من دون واسطة، وإنْ كان الذي سيبلغ الجواب رسول الله ﷺ فحذف كلمة (قل) ليبين لهم القرب ويبين للعبد أنه لا واسطة بينه وبين الله في مقام الدعاء، والقرب في هذه الآية ليس قرباً للمكان، وإنما قرب علم واطلاع من الله تعالى للعبد.

ج ـ قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾[البقرة:١٨٦] يدل على أنّ العبد لله، وقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦] يدل على أنّ الرب للعبد.

د ـ لم يقل: العبد مني قريب، بل قال: أنا منه قريب، وفي ذلك سرٌّ نفيسٌ، فإنّ العبد ممكن الوجود فهو من حيثُ هو، هو في مركز العدم وحضيض الفناء فلا يمكنه القرب من الرب، أمّا الحق سبحانه فهو القادر على أن يقرب بفضله وبرحمته من العبد، فالقرب من الحق إلى العبد لا من العبد إلى الحق، ولهذا قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

هـ ـ حذف الياء من (الداع) و (دعان) حتى لا يشعر العبد بطول الزمن بين الدعاء والإجابة.

و ـ هناك إشكال نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب، فلماذا ؟

أولاً ـ الآية وإنْ كانت مطلقة إلا أنها قد وردت آيات أخرى مقيدة، نحو قوله تعالى ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٤١] فترك المشيئة له سبحانه من وجوه:

ثانياً ـ الداعي لا بد له من شروط الدعاء المعروفة، مثل: التوبة، والإقلاع عن المعاصي، وكسب الحلال والبعد عن الحرام، وطيب المأكل والمشرب والإخلاص، والتذلل لله.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يقول: يارب يا رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام وغُذِيَ بالحرام فأنّى يستجاب له؟**».

ثالثاً ـ الداعي لا بد أنْ يجد من دعائه عوضاً، إمّا إسعافاً بطلبه إذا وافق القضاء، فإنْ لم يتم ذلك فسكينة في نفسه وانشراح في صدره وصبر يسهل معه احتمال البلاء الحاضر.

رابعاً ـ قال الله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر:٦٠] ولم يقل: في الحال، فإذا استجاب له بعد حين ولو في الآخرة كان الوعد صادقاً.

يقول الله في الحديث القدسي: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزتي لأنصرنَّك ولو بعد حين**».

خامساً ـ قوله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾[البقرة:١٨٦] لم يقل للعبد: أجب دعائي حتى أجيب دعاءك، وهذا تنبيه على أنّ إجابة الله عبده فضل منه ابتداء فالله يجيب الدعاء وهو في غنى عن العبد، بينما العبد محتاج إلى الله.

وفي الآية قدّم الاستجابة على الإيمان؛ لأنّ الاستجابة عبارة عن الانقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا يدل على أنّ العبد لا يصل إلى نور الإيمان إلا بتقدم الطاعات والعبادات.

٣ـ في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في سورة الأنفال ١، لم يأت الجواب مباشرة، ولكنْ جاء بعد أربعين آية، فقد جاء في الآية: ٤١ ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾[الأنفال: ٤١].

والسبب في ذلك يعود لما يلي:

آ ـ سمى الله الغنائم بالأنفال ومعنى النفل الزيادة على الفرض ـ مثل صلاة نفل أو صوم نفل ـ فالأنفال هي الغنائم التي تحمل معنى الزيادة عن الغرض الأصلي للجهاد وهو إعلاء كلمة الله .

فتأخير الإجابة هو توجيه من الله تعالى للمسلمين بأنّ هدفهم ليس هو الغنائم وإنما هو إعلاء كلمة الله في الأرض، لكنْ إذا حصل بعد ذلك الهدف أمر آخر كالغنائم فتوزع كما جاء في الآية ٤١ .

ب ـ كرّر الله كلمة (الأنفال) في السؤال مرتين بينهما كلمة (قل) والعهد في القرآن في بقية الأسئلة أنه لا يكرر الكلمة المسؤول عنها بل يعيد القول عليها بالضمير المناسب (قل هي) (قل هو) (قل فيهما) (قل ينسفها).

والسبب أنه لو قال القرآن مثلاً: (قل هي لله ورسوله) لكانت الإجابة تخص تلك الأنفال بعينها، أي: أنفال غزوة بدر، ولكان لنا أنْ نسأل: ما حكم أنفال أحد أو حنين أو حطين؟

فكرر كلمة الأنفال بدل الضمير ليدل على الحكم الدائم لجميع الأنفال.

ج ـ عندما يعود الضمير على الكلمة المسؤول عنها يدل ذلك على أنّ هذه الأشياء ثابتة لا تتغير على مر الأيام، فالأهلة هي الأهلة، والمحيض هو المحيض، والجبال هي الجبال، والخمر والميسر لا يتغيران من حيث ضررُهما وخطرُهما، بينما كانت الأنفال تخص غزوة بدر، فكرر كلمة الأنفال ليعم الحكم، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾

السؤال الأول:

ما أهم الدروس في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ خصّ الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بخصوصية فريدة، وهذه الخصوصية هي أنّ الله قد أمّن الأمة الإسلامية على أنْ يكون في يدها الميزان، وليس هذا الميزان ميزان تسلط وإنما هو ميزانٌ يحمي كرامة الإنسان بأنْ يصون له حرية اختياره بالعقل الذي خلقه الله فلا إكراه في الإيمان بالله.

٢ـ وقد شرع الله القتال لأمة محمد لا ليفرض به ديناً ولكن ليحمي اختيارك في الدين الذي ترتضيه، وهو يمنع سدود الطغيان التي تحول دونك ودون أنْ تكون حراً مختاراً في أن تقبل التكاليف.

٣ ـ الذين يقولون إنّ الإسلام انتشر بالسيف حججهم واهية.

٤ ـ الذين يقولون إنّ الإسلام عندما يفرض الجزية فكأنه جاء لجباية الأموال!! نقول لهم: جزيةً على من؟ جزيةً على غير المؤمن، وما دام قد فُرضت عليه جزية فمعنى ذلك أنه أباح له أنْ يكون غير مؤمن، ولو كان الإسلام يُكره الناس على اعتناقه لما كان هناك من تؤخذ منه جزية.

إذن فالإسلام لم يُكره الإنسان وإنما حماه من القوة التي تسيطر عليه حتى لا يُكرهه أحدٌ على ترك دينه، وهو حرٌّ بعد ذلك في أنْ يسلم أو لا يسلم، وكأنّ الذين ينتقدون الإسلام يدافعون عنه فسهامهم قد ارتدت إليهم.

٥ـ كان السبب في حروب الإسلام لمواجهة الذين يفرضون العقائد الباطلة على غيرهم، وجاء الإسلام ليقول لهؤلاء: ارفعوا أيديكم عن الناس واجعلوهم أحراراً في أنْ يختاروا الدين المناسب.

ولماذا تركهم الإسلام أحراراً؟ لأنه واثق أنّ الإنسان مادام على حريته فلا يمكن أنْ يجد إلا الحق واضحاً في الإسلام.

٦ـ كثير من الناس لا يفطنون إلى علة الآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] وهي واضحة في الآية نفسها ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[البقرة:٢٥٦] .

لذلك نحن فقط نمنع الذين يفرضون على الناس عقائدهم الباطلة، فأنت تستطيع أنْ تُكره القالب ولكن لا تستطيع أنْ تُكره القلب، والله لا يريد منا أنْ نكون قوالب مُكرهة ولكن يريد منا قلوباً مطيعة.

٧ ـ الحكمة من تأخير الإذن بالقتال في الإسلام أنّ الله أراد أنْ يمحّص ويختبر وألا يدخل هذا الدين إلا من يتحمل متاعبه ومسؤولياته ومشاقه.

ومن رحمة الله سبحانه أنه لم يشرّع القتال منذ البداية، وإلا لكنا فقدنا كثيراً من قادة الإسلام العظام الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية مثل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص، وغيرهم كثير.

٨ ـ لقد كان من الممكن أنْ ينصر الله دينه من أول وهلة دون تدخلٍ من المسلمين، وكان معنى هذا أنّ الناس سيتساوون في الإيمان أولهم وآخرهم، ولكن شاءت إرادته تعالى أنْ يجعل لهذا الدين رجالاً يفدونه بأرواحهم وأموالهم لينالوا الشهادة ويرتفعوا إلى مصاف النبيين.

ولذلك جاء الأمر بالقتال متأخراً وبالتدريج.

٩ ـ دائماً يؤكد الحق في آيات القتال أنْ يكون ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنه يريد أن يضع حداً لجبروت البشر، فلا قتال من أجل الحياة أو المال أو السوق الاقتصادي، وإنما لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله، وهذا هو غرض القتال في الإسلام.

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة ﴿ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ وكلمة ﴿وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ في القرآن؟

الجواب:

ثَقِفَ: ظَفَرَ به وأخذه، ولا تستعمل ﴿ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ إلا في القتال والخصومة، ومعناها أشمل من الإيجاد، وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ [النساء:٨٩] .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ [البقرة:١٩١] وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾[البقرة:٢١٧] ؟

الجواب:

١ـ كلنا نعرف أنّ القتل من الجرائم العظيمة والأحاديث في ذلك كثيرة ومخيفة، وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة الدماء، وتصور لو أنّ رجلاً كما وقع في التاريخ المعاصر قتل مدينة كاملة فيها ملايين كما هو في هيروشيما وناجازاكي، كيف يمكن أنْ

تتخيل عقابه يوم القيامة؟ لأبُدَّ أنْ يكون عقابه كبيراً من حيث الكمّ، وشديداً من حيث الكيف.

٢ـ أنت قد تعذب واحداً بالضرب مليون سنة فهذا كبير، ولكنه ليس شديداً، وقد تعذبه مليون سنة بالخوازيق والنار والأفاعي والعقارب وأنواع الحريق ،وفي هذا شدة.

و القتل سواء كان لفردٍ واحد ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[المائدة:٣٢] بحيث لو اجتمعت مدينة كاملة على قتل رجل واحد لكان ينبغي أنْ يقتل رجال هذه المدينة بالكامل؛ لأنهم اشتركوا في قتله، ولأكبّهم الله في النار من أجل قتل شخص واحد، ومع ذلك فهذا القتل يهون إلى جانب الفتنة.

٣ـ لكي نكون واضحين في المعنى: عندنا بلاء وعندنا فتنة، وهذان الأسلوبان من أساليب تمحيص الإيمان قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾[محمد:٣١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾[العنكبوت:٢] .

إذن امتحان الإيمان:

آـ إمّا ببلاء تكرهه نفسك مثل الفقر والمرض والسجن وما شاكل ذلك، ومنا من يصبر صبراً مطلقاً، ومنا من يصبر صبراً نسبياً، ومنا من لا يصبر بل يجزع.

ب ـ وإمّا بفتنة تحبها نفسك كما في النِّعَمِ؛ كالغنى والحُكمِ والعلمِ والأولاد، ومثال ذلك:

- كنت فقيراً فصرت غنياً جداً، هل ستستعمل هذه النعمة في شكر الله في الصالحات فتعين الناس؟ أم سوف يدعوك هذا إلى التكبر والطغيان والجبروت؟

- أو في الحُكم صرت ملكاً أو أميراً أو شيخاً أو رئيس جمهورية أو ما شاكل ذلك بعد أنْ كنت مغموراً، هل هذه النعمة التي أنعم الله بها عليك ستستعملها في طاعته بالعدل والرحمة والشفقة وإحقاق الحق، أو بالقتل والظلم والتعذيب في السجون وما إلى ذلك؟

- وكذلك فتنة العلم والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾[القلم:١٤-١٥] .

٤ـ هكذا الفرق بين الفتنة والبلاء، أنّ البلاء فيما تكرهه نفسك، والفتنة فيما تحبه نفسك، وفي كلتا الحالتين أنت ممتحن، بل إنّ النعم أحياناً أقسى من النقمة أحياناً، فأنت تصبر على البلاء إذا سجنت وعذبت وضربت وافتقرت، ولكن إذا أصابتك النعمة قد لا تصبر فتطغى، وهذا هو الفرق بين الفتنة و البلاء.

٥ـ لكن كيف تكون الفتنة أكبر من القتل؟ والجواب أنّ الفتنة أكبر من القتل بكثير؛ لأنها قد تمتد قروناً من العداوة والبغضاء مثل الأوس والخزرج دامت الحرب بينهما ١٢٠ عاماً، فلما جاء الإسلام وحّد بينهم ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[الأنفال:٦٣] لذلك قد تدوم الفتنة قروناً طويلة، فالقتل يزول والفتنة لا تزول.

٦ـ وأمّا سبب الفرق بين الآيتين [١٩١ و٢١٧] وكلاهما في سورة البقرة؛ أنّ الكلام في الآية الثانية على كبيرات الأمور؛ فقد مرّ قبلها ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة:٢١٧] وقوله: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾[البقرة:٢١٧] فناسب ذلك ذكر ﴿أَكْبَرُ﴾[البقرة:٢١٧].

وليس السياق كذلك في الآية الأولى رقم (١٩١) وإنما هي في سياق الشدة على الكافرين، فقد قال فيها: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١] وهذه شدة ظاهرة فناسب ذكر ﴿أَشَدُّ﴾[البقرة:١٩١] فيها.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[البقرة:١٩١] جاء فعل الشرط فعلاً ماضياً، وأحياناً يأتي فعل الشرط فعلاً مضارعاً، فما طريقة الاستعمال القرآني لفعل الشرط ؟

الجواب:

معنى الشرط أنْ يقع الشيء لوقوع غيره، أي: أنْ يتوقف الثاني على الأول، نحو: إنْ تجتهد تنجح، ونحو الشواهد القرآنية التالية:

﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[البقرة:١٩١].

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[البقرة:٢٨٠] .

هذا هو الأصل، وقد يخرج الشرط عن ذلك فلا يكون الثاني مسبباً عن الأول ولا متوقفاً عليه نحو قوله تعالى:

﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[الأعراف:١٧٦] هو يلهث على كل حال.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[آل عمران:٣٢] الله لا يحب الكافرين تولوا أم آمنوا.

ـ ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾[النحل:٣٧] .

ـ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾[النساء:١٢٧].

ـ ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾[فُصِّلَت:٢٤] .

فليس الشرط من باب السبب والمسبب دوماً، وإنما الأصل فيه أنْ يكون كذلك.

فعل الشرط:

١ـ يقع فعل الشرط ماضياً ومضارعاً، نحو: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[إبراهيم:١٩] وقولهم: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[الإسراء:٨].

٢ـ والماضي يفيد الاستقبال في الشرط كثيراً، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ﴾ [البقرة:١٩١] .

٣ـ والماضي قد يفيد الاستقبال في غير الشرط كذلك، نحو قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر:٦٨]، وقوله ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ﴾[الزُّمَر:٧٣]

٤ـ وقد يؤتى بالفعل المضارع مراداً به الماضي، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[فاطر:٩] و﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[البقرة:١٠٢]

أي: ما تلت.

٥ـ ومن المعلوم أنّ الفعل المضارع المسبوق بـ[لم] يفيد المضي.

وقد ذهب النحاة إلى أنّ القصد من مجيء الشرط ماضياً وإن كان معناه الاستقبال هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن وغير الواقع منزلة الواقع، وهذا ما فسروا به التعبير عن الأحداث المستقبلة بأفعال ماضية في غير الشرط أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩] و﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف:٤٧] فهو تفسير عام للتعبير عن الأحداث المستقبلة بأفعال ماضية .

استعمال القرآن لفعل الشرط:

١ـ إنّ التعبير بفعل الشرط بالفعل الماضي قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة واحدة في حين أنّ الفعل المضارع قد يفيد تكرر الحدث وتجدده، نحو قوله تعالى:

شواهد قرآنية: (المذكورأدناه هو فعل الشرط فقط ؛ لذا يرجى مراجعة الآيات في القرآن الكريم):

﴿تُبْدُوا﴾ ﴿تُخْفُوهَا﴾ ﴿وَتُؤْتُوهَا﴾[البقرة:٢٧١]جاء بصيغة المضارع؛ لأنّ هذه الأحداث تتكرر وتجدد.

﴿طَلَّقَهَا﴾ [البقرة:٢٣٠] ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ [البقرة:٢٣٦] ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٧] بالماضي؛ لأنّ الطلاق لا يتكرر تكرر الصدقات.

﴿أَنفَقْتُم﴾[البقرة:٢٧٠] إخبار بأنّ ما فعلته أو ما حصل منك قد علمه الله.

﴿تُنفِقُوا﴾[البقرة:٢٧٣] الإنفاق عملية متكررة.

﴿يَشْكُرْ﴾ [لقمان:١٢]؛ لأنّ الشكر يتجدد ويتكرر وينبغي أنْ يتكررفالشكر عمل يومي.

﴿كَفَرَ﴾[لقمان:١٢] الكفر يحدث مرة واحدة ولا يلزم أنْ يتكرر؛ لأنّ الكفر اعتقاد.

﴿يَقْتُلْ﴾[النساء:٩٣] وهو الإصرار والاستمرار في قتل المؤمن.

﴿قَتَلَ﴾[النساء:٩٢] قتل خطأ قليل لا يتكرر.

﴿أَسْلَمَ﴾[البقرة:١١٢] معناه الدخول في الإسلام بدليل الآية ١١١ التي قبلها ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾[البقرة:١١١] فرد الله عليهم ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾[البقرة:١١٢] .

﴿أَسْلَمَ﴾[الجن:١٤] .

﴿يُسْلِمْ﴾ [لقمان:٢٢] معناه الخضوع والانقياد لله وهو عمل يومي يفيد الاستمرار والتجدد.

﴿أَرَادَ﴾[الإسراء:١٩]لأنّ إرادة الآخرة أمرٌ واحدٌ والآخرة واحدة.

﴿يُرِدْ﴾[آل عمران:١٤٥] إرادة الثواب تتكرر، وتتجدد في الدنيا فلكل عمل ثواب له.

﴿تَابُواْ﴾ [التوبة:١١] المقصود بالتوبة هي التوبة العامة ومعناها هنا الدخول في الإسلام.

﴿تَابَا﴾[النساء:١٦] معنى التوبة الانخلاع عن الفاحشة والزنى.

﴿تَتُوبَآ﴾ [التحريم:٤] الكلام موجه إلى زوجي النبي، والتوبة هنا التوبة الجزئية أمثال اللمم والصغائر.

﴿تَعُودُواْ﴾ [الأنفال:١٩] نزلت في كفار قريش وهو تهديد للمشركين وإشعار للمؤمنين بأنّ المشركين سيكررون العودة إلى القتال، وهو ما حصل وأخبرهم أنّ الله سيعود إلى نصر المؤمنين.

﴿عُدتُّمْ﴾ [الإسراء:٨] في بني إسرائيل، وقد ذكر أنهم يفسدون في الأرض مرتين فأخبر بأنّ لهم عودة بعد تلك المرة.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة:٢٤] [البقرة:٢٧٩] المضارع مع (لم) يفيد المضي؛ وذلك لأنه خروج عن الربا، والخروج عن الربا يكون دفعة واحدة.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ [التوبة:٣٩] وذلك في الجهاد وهو ماض إلى يوم القيامة يتكرر حصوله.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾ [المائدة:٧٣] لأنّ الانتهاء هنا دفعة واحدة.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الأنفال:٧٣] التناصر مستمر متجدد، فكان بصيغة المضارع.

﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ [الأنفال:٣٩] ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ [البقرة:١٩٢] [البقرة:١٩٣] بالماضي؛ لأنّ القصد هنا الانتهاء الكامل عن الحرب والدخول في الإسلام، بدليل قوله: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣].

﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ [الأنفال:١٩] ﴿تَسْتَفْتِحُواْ﴾ [الأنفال:١٩]؛ لأنّ الانتهاء هنا ليس انتهاء عاماً، بل قد تتكرر الحروب بينهما كما حصل فعلاً.

﴿إِن سَأَلْتُكَ﴾ [الكهف:٧٦]؛ لأنه سيحصل الفراق بعد سؤال واحد.

﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا﴾ [محمد:٣٧] هذا في سؤال الأموال وهو يتجدد ويتكرر.

٢ـ وقد يؤتى بالفعل الماضي مع الشرط للدلالة على وقوع الحدث جملةً واحدةً وإنْ كان مستقبلاً، ويؤتى بالمضارع لما كان يتقضى ويتصرم شيئاً فشيئاً.

شواهد القرآنية:

﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾[البقرة:١٩٦] أي: إذا حصل هذا، فعبّر بالماضي .

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ﴾ [البقرة:٢٢٠] والمخالطة مستمرة، وليست كالإحصار، فعبر عنها بالمضارع.

﴿إِن نَّسِينَآ﴾[البقرة:٢٨٦] أي: إذا حصل منا نسيان أو خطأ.

﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾[البقرة:٢٣٩] ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾[البقرة:٢٣٩] أي: إذا وقع الخوف أو إذا حصل الأمن.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾[الأنفال:٥٨] ففيه معنى الاستمرار والتحسب.

﴿إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف:١٧] ﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾ [الكهف:١٧] الطلوع والغروب يقعان جملة واحدة فعبر عنهما بالماضي.

﴿إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾[الفجر:٤] الليل يفيد الاستمرار والتطاول.

﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾[الأنبياء:٤٥] أي: وإنْ تطاول عليهم الإنذار وتكرر واستمر.

﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝٨٠﴾[النمل:٨٠] أي: إذا أدبروا عنك.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ﴾[النحل:١٨] لأنّ هذا العمل لا يفرغ منه؛ ولأنّ نعم الله كثيرة.

﴿إِذَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران:١٣٥] أي: إذا صدر هذا الأمر ولا يحسن (إذا يفعلون فاحشة)؛ لأنّ فيه معنى الاستمرار وعدم الانتهاء من الفاحشة، فيكون المعنى: أنهم يذكرون الله حين يفعلون ذلك.

٣ـ يكثر التعبير بالفعل الماضي عن الحكم الثابت القائم على المشاهدة والتجربة، وهو ما يكون في الحِكَم نحو: من صبر ظفر، ومن حذر سلم.

بخلاف ما لم يكن كذلك نحو: من يعمل يأكل، فهذه القاعدة تضعها للمستقبل، فلا يحسن فيها (من عمل أكل).

وقد يأتي الشرط للمضي وإن كان فعله ماضياً، وذلك اذا كان بلفظ [كان] وبعدها فعل ماض، انظر الآيات: [المائدة ١١٦ ـ يوسف ٢٧ ـ الأنعام ٥٥ ـ يونس ٧١ ـ الأعراف ٨٧ ـ هود ٣٥ ـ الأحقاف ٨ ـ يس ١٩ ـ آل عمرن ١٥٢ ـ التوبة ٩٢ ـ الكهف ٧١ ـ الكهف ٨٦ ـ النمل ١٨ ـ الجمعة ١١].

وقد يدل الشرط على الحال. انظر الآيات:[البقرة ٢٣ ـ يونس ١٠٤ ـ الحج ٥ ـ العلق ٩،١١ ـ البقرة ٩٣، ١١١، ١٧٢ ـ آل عمران ١١٨].

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

السؤال الأول:

قال في آية البقرة ١٩٣: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة:١٩٣] وقال في الأنفال آية ٣٩ ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[الأنفال:٣٩] بزيادة ﴿كُلُّهُۥ﴾ فما السبب؟

الجواب:

آية البقرة نزلت في السنة الأولى للهجرة في سرية عبد الله بن جحش الحضرمي، وصناديد قريش لا يزالون أحياء ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم.

وأمّا آية الأنفال فنزلت بعد وقعة بدر وقتل صناديد قريش فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد الله سبحانه رجاءهم بقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[الأنفال:٣٩] أي: لا يعبد سواه.

السؤال الثاني:

ما معنى كلمة﴿فِتۡنَةٞ﴾في الآية؟ وهل هي بمعنى النزاع والخصومة؟

الجواب:

كلمة ﴿فِتۡنَةٞ﴾ في الآية بمعنى الكفرأو الشرك، وليس بمعنى النزاع والخصومة، وللعلم فإنّ هناك كلمات في القرآن الكريم قد يفهمها البعض حسب ثقافته ولغته الدارجة، بينما معناها يختلف عن ذلك تماماً ؛ لذلك يجب الانتباه والحذر والرجوع إلى المصادر الصحيحة في اللغة والتفاسير لمعرفة المعنى الصحيح، ومن ذلك:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[البقرة:١٩٣] الفتنة هي الكفر، وليس النزاع والخصومة .

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٤٩] الظن هنا يعني اليقين، وليس الشك .

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[الأعراف:٤] من القيلولة وليس من القول.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف:٢١] من القسم بمعنى الحلف، وليس من القسمة .

٥ـ قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾[الأعراف:٩٢] أي لم يقيموا فيها، وليس من الغنى وكثرة المال .

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾[الأعراف:١٤١] أي يتركوهن على قيد الحياة، وليس من الحياء .

٧ـ قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾[الأعراف:١٧٦] أي تطرده وتزجره، وليس من الحمل؛ لأنَّ الكلاب لا يحمل عليها .

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[هود:١٧] أي يتبعه، وليس من التلاوة .

٩ـ قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾[يوسف:٩] أي ألقوه في أرض بعيدة، وليس المعنى إيقاعه على الأرض .

١٠ـ قوله تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾[النحل:٥٩] أي على هوان وذل، وليس على مهل .

١١ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[الحج:٣٦] المقصود الإبل؛ أي سقطت جنوبها بعد نحرها، والوجوب ليس بمعنى الإلزام .

١٢ـ قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[الشعراء:١٢٩] المقصود هو القصور والحصون، وليس المصانع المعروفة الآن .

١٣ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾[القصص:٣١]﴿الجان﴾ هو نوع من الحيات سريع الحركة، وليس الجن .

١٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾[القصص:٥١] أي بيّنا وفصّلنا لهم القرآن، وليس المراد إيصاله إليهم .

١٥ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[الزخرف:٥٧] بكسر الصاد؛ أي يضحكون، وليس من الصدود .

١٦ـ قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾[الشورى:٥٠] أي نوعين: ذكوراً وإناثاً، وليس معناه (يُنكحهم) .

١٧ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾[الرحمن:٢٤] الأعلام هي الجبال، وليس الرايات .

١٨ـ قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[الانسان:٢٦] المقصود الصلاة، وليس ذكر اللسان .

١٩ـ قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٩] أي نار جهنم محرقة للجلد، وليس (تلوح للناس).

٢٠ـ قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢] أي انقادت وخضعت، وليس معناها السماح.

٢١ـ قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر:٩] بمعنى (قطعوه) وليس (أحضروه).

٢٢ـ قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي ضيّق عليه، وليس من القدرة.

٢٣ـ قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين:٦] أي غير مقطوع، وليس بغير منّة.

٢٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٩] أي رأسه هاوٍ في النار وليس المقصود أمه الحقيقية.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٩٤] ؟

الجواب:

هذا الأسلوب يسميه العرب وأهل البلاغة المشاكلة، بأنْ تستعمل اللفظة نفسها وإنْ كان المفهوم مختلفاً. فالمفهوم من الآية عقاب، لكنْ يأخذ اللفظة نفسها فيستعملها على سبيل المشاكلة وليس على سبيل نفس الدلالة التي دلّ عليها، وهذا هو معنى الآية فهو ليس عدواناً وإنما هو عقاب على عدوانهم؛ لأنه ردٌّ للعدوان.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠] فهم يمكرون ويمكر الله، هم يدبرون السوء، والمشاكلة المكر وهو نوع من عقاب الله تعالى، يعاقبهم على مكرهم، فعقوبة الله تعالى لهم سميت مكراً من قبيل المشاكلة، وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠] هذا المكر من الله ليس تدبيراً سيئاً في ذاته، وإنما هو سوء لهم أوسوء عليهم، والأصل في غير القرآن: ويدبر الله لهم العقاب.

قال الشاعر:

قالوا: التَمِس شيئاً نُجِد لك طَبَخَه   قُلتُ: اطبخُوا لي جُبّةً وقميصاً

فالجبة والقميص لا يطبخان، وإنما يخاطان، والذي سوغ الطبخ في جانب الجبة والقميص وقوع الطبخ الحقيقي مصاحبًا له في البيت، وهي مصاحبة حقيقية في اللفظ.

السؤال الثاني:

لم سُمِّيَ جزاءُ العدوانِ عدواناً ؟

الجواب:

هذا من قبيل المشاكلة اللفظية، وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى:٤٠] وكأنّ في ذلك إشارة لك أخي المؤمن إلى أنه الأَولى لك هو الصفح والعفو لا الانتقام ومجازاة المعتدي إذا كان المعتدي عليك مسلماً مثلك، فسمى حقك في الرد على عدوان غيرك عليك عدواناً؛ ترغيباً لك في العفو والصفح.

❊❊❊❊

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى التهلكة في الآية ؟

الجواب:

كلمة (تهلكة) على وزن (تَفْعُلة) ولا نظير لها في اللغة العربية إلا هذا اللفظ .

والهلاك ضد الحياة، ولكل حياة قوانينها، سواء للحيوان والنبات وحتى الجهاد فكل شيء يحيا بقوانينه هو، وكل شيء مخلوق لمهمة يؤديها.

وقول الحق: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ ﴾ [البقرة:١٩٥] فيه عدة نقاط جديرة بالملاحظة:

١ـ المعنى: أنفقوا في الجهاد وأخرجوا المال لصناعة الأسلحة وتجهيز المباني والحصون والتدريبات فهذه هي أوجه إنفاق المال.

٢ـ كلمة (ألقى) تفيد أنّ هناك شيئاً عالياً وشيئاً أسفل منه، والمعنى: أنّ اليد المغلولة عن الإنفاق في سبيل الله هي التي تُلقي بصاحبها إلى التهلكة؛ لأنه سوف يضعف الجيش ويجترأ العدو على المؤمنين، لذلك فالاستعداد للحرب أنفى للحرب.

٣ـ والمعنى أنه: لا تُقبلوا على القتال إلا إنْ كان غالب الظن أنكم ستنتصرون، فالشجاعة قد تقتضي منك أنْ تحجم وتمتنع عن القتال في بعض الأحيان؛ لتنتصر من بعد ذلك ساعة تُكمل الإعداد له.

٤ـ كلمة ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾[البقرة:١٩٥] من الإحسان، فالله يطلب منا إتقان العمل في القتال وغيره وكلها تخدم قضية الإيمان، ولو علم الذين لا يحسنون أعمالهم بماذا يحرمون الوجود لتحسروا على أنفسهم.

لذلك قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة:١٩٥] فيه تشجيع لكل من يلي عملاً أنْ يحسنه ليكون محبوبا من الله.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾[البقرة:١٩٦] لِمَ أظهر هنا لفظ الجلالة ؟

الجواب:

في قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾[البقرة:١٩٦] أظهر لفظ الجلالة لتربية الهيبة في النفوس من عظمة الله تبارك وتعالى حتى تكون أكثر خشية، وهذا ما يفعله التعبير بالاسم الظاهر أكثر مما يفعله الضمير في هذا الموضع.

السؤال الثاني:

ما الوقفات والدروس في قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾[البقرة:١٩٦] ؟

الجواب:

١ـ جاءت هذه الآية في الكلام عن الحج في سياقها الطبيعي بعد أن ذكر الصيام ورمضان فكان طبيعياً أنْ يتكلم عن الحج.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦] فيها ترتيب تصاعدي في النفع، فالصيام لا يتعدى النفع المباشر فيه إلى الغير، والصدقة عبادة يتعدى فيها النفع إلى الغير، ولكن بقدر وحدود؛ لأنها إطعام عدد محدود من الأفراد، وأمّا النسك فهو ذبيحة ينتفع بها عدد أكبر من الناس.

٣ـ كلمة ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ [البقرة:١٩٦] أي: أنه لا يملك.

٤ـ سميت أيام التشريق؛ لأنهم كانوا يشرقون اللحم للشمس ليجف ويقدد.

٥ـ قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦] حتى لا يلتبس الفهم بأنّ الواو بمعنى (أو) كما في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣] وألا تحل التسع جملة فنفى بقوله: (تلك عشرة) ظن أحد العددين فقط: الثلاثة في الحج أو السبعة بعد الرجوع.

وأما قوله تعالى: ﴿كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦] فهي للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] والمعنى: أنها كاملة في الثواب مع وقوعها بدلاً عن الهدي، أو وقوعها موقع التتابع مع تفرقها، أو وقوعها موقع الصوم بمكة مع وقوع بعضها في غير مكة، والحاصل أنه كمالٌ وصفاً لا ذاتاً.

السؤال الثالث:

ما معنى الشرط في الآية ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة:١٩٦] ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ [البقرة:١٩٦] وماذا عن استعماله في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١.

❁❁❁❁

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الفسق والكفر والظلم؟

الجواب:

١ـ الفسق: هوالخروج عن الطاعة من: (فسقت الرطبة) إذا خرجت من قشرها، ويمتد هذا الفسق من أيسر الخروج حتى يصل إلى الكفر، وكله يسمى فسقاً، فالذي يخرج عن الطاعة وإنْ كان قليلاً يسمى فاسقاً والكافر يسمى فاسقاً أيضاً.

شواهد قرآنية:

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[الكهف:٥٠] الكلام عن إبليس.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور:٥٥] الكفر سماه فسوقاً، والنفاق سماه فسوقاً.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[السجدة:١٨].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[التوبة:٦٧].

والفسق هو الخروج عن الطاعة، والفاسق ليس بالضرورة كافراً؛ لكنْ قد يصل إلى الكفر، وقد لا يصل كما في آية البقرة هذه ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٩٧] فالفسوق ليس كفراً هنا، وكيف يكون كفراً في الحج؟

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهذا ليس كفراً. وليس كل فاسق كافراً، لكن كل كافر فاسق قطعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾[التوبة:٦٧].

٢ـ الظلم: هو مجاوزة الحد عموماً، وقد يصل إلى الكفر: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] وقد لا يصل.

٣ـ أما الكفر: فهو الخروج عن المِلّة، والكفر أصله اللغوي السِّتْر، وتستعار الدلالة اللغوية للدلالة الشرعية.

السؤال الثاني:

لم عبّر ربنا سبحانه وتعالى بالنفي في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾[البقرة:١٩٧] ولم يعبّر بالنهي فلم يقل: ولا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا؟

الجواب:

ذلك لأنّ النفي أبلغ من النهي الصريح، فالنهي قد يعني أنه يمكن أن يحصل هذا الفعل لكنكم منهيّون عنه، أمّا النفي فيعني أنّ هذا الفعل ينبغي أنْ لا يقع أصلاً، وأنْ لا يكون له وجود أبداً، فضلاً عن أنْ يفعله أحدٌ منكم أيها المسلمون، ومن ثمّ أدخل النفي على الاسم لينفي جنس الفعل وأصله.

السؤال الثالث:

أمر في الآية بالتقوى بشكل عام ثم أمر أولي الألباب خاصة بالتقوى، فماذا يسمى هذا في اللغة؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[البقرة:١٩٧]

تأمل أخي المؤمن كيف ذكر الأمر بالتقوى عاماً للناس كلهم، ثم أمر أولي الألباب خاصة بالتقوى، وهذا يسمى الإطناب، وفائدة الإطناب هنا أنْ الأمر بالتقوى ليس خاصاً بأولي الألباب وحدهم ولا يتوجه الكلام إليهم دون غيرهم؛ لأنّ كل إنسان مأمور بالتقوى، لكنْ ذكر هنا الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص وهم أولوا الألباب، وأرجحيته على العام وهم عوام الناس؛ لأنّ الناس يتفاضلون بالألباب وبها يتمايزون.

❊❊❊❊

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما أهم وقفات هذه الآية ؟

الجواب:

لا مانع أنْ يذهب الإنسان ليحج ويتاجر، وقديماً كانوا يقولون: حاج وداج، لمن يذهب إلى الأراضي المقدسة للتجارة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٩٨] ولم يقل: رزقاً، مثلاً، فما السبب؟

الجواب:

آ ـ قال الحق: ﴿تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٩٨] ولم يقل: رزقاً؟ لأنك في الأصل أنت تذهب إلى الحج ومعك زادك ونفقتك، أي: لا تذهب إلى الحج لتأكل من التجارة، فإنْ كسبت شيئاً إضافياً من التجارة فهو فضل، أي: أمر زائد عن الحاجة.

ب ـ الرزق والفضل من الله، وإياك أنْ تقول: قوة أسباب وذكاء وشطارة، بل الرزق كله من الله.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾[البقرة:١٩٨]في الآية ؟

الجواب:

آـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾[البقرة:١٩٨] تدل على أنّ الله قد حكم بأنّ عرفات سوف تمتلىء امتلاء، وكل من يخرج منها كأنه فائض عن العدد المحدد لها، فكأنه سيل متدفق.

وهناك إفاضتان: إفاضة من عرفات، وإفاضة من مزدلفة.

ب ـ قيل: إنّ آدم هبط في مكان، وحواء هبطت في مكان، وظل كلاهما يبحث عن الآخر باشتياق شديد لأنها زوجان وتلاقيا في عرفة، ومن هذا التفرق كان الشوق ثم اللقاء.

ج ـ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:١٩٩] أفادت أنه لا بد من المبيت في مزدلفة.

وقال آخرون: إنّ المقصود به من حيث أفاض إبراهيم عليه السلام.

السؤال الرابع:

لماذا كرر طلب الذكر في الآية فقال: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾[البقرة:١٩٨] ؟

الجواب:

كرر طلب الذكر تنبيهاً على أنه أراد ذكراً مكرراً لا ذكراً واحداً، ولأنه زاد في الثاني قوله: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾[البقرة:١٩٨] يعني اذكروه بأحديّته كما ذكركم الله تعالى بهدايته.

أو أنه إشارة إلى أنه أراد بالذكر الأول الجمع بين الصلاتين بمزدلفة، وبالثاني الدعاء بعد الفجر فلا تكرار.

❁❁❁❁

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾[البقرة:٢٠٠] ؟

الجواب:

١ـ في الآية طلب من الحاج أنْ يكون دائماً ذاكراً، وذكرُ الله يستتبع ذكرالآخرة وما فيها من نعيم وشقاء.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة:٢٠٠] الخلاق هو النصيب، لكن لم يقل نصيب؛ لأن الخَلَق والخَلَقَات نستعمله للشيء البالي.

وبالتالي يكون المعنى: أنه حتى هذا النصيب البالي التافه ليس لهم في الآخرة؛ لأنهم هم لا يفكرون أصلاً في الآخرة وإنما في الدنيا، ولذلك هم لم يصفوا بالحسن ما أرادوا بل قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾[البقرة:٢٠٠] أي: يريدون أي شيء في الدنيا فقط .

❁❁❁❁

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١] ما حسنة الدنيا؟ وما حسنة الآخرة؟ ولِمَ كانت هذه الآية من أحب الدعاء لقلب النبي ﷺ؟

الجواب:

لا شك هي من الآيات الجامعة، ونحن نقرؤها قبل السلام في الصلاة دائما، وثبت أنّ النبي ﷺ كان يقول بهذا الدعاء في الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود .

وحسنة الدنيا هي: الصحة والأمن والكفاية والولد والزوجة الصالحة والنصرة على الأعداء وفهم كتاب الله، وما أشبه ذلك .

وأمّا حسنة الآخرة فهي: الفوز بالثواب والخلاص من العقاب والجنة ونيل رحمة الله سبحانه . والآية كلمة جامعة لجميع مطالب الدنيا والآخرة .

السؤال الثاني:

ما دلالة هذا التقسيم في الدعاء المذكور في الآية ؟

الجواب:

بيّن الحق سبحانه وتعالى أنّ الذين يدعون الله فريقان:

١ـ من يكون دعاؤهم لطلب الدنيا فقط، وهم الكفار أو المؤمنون، لكنهم يسألون الله لدنياهم فقط .

٢ـ والذين يجمعون في الدعاء بين طلب الدنيا وطلب الآخرة .

وقد كان في التقسيم نظريا قسم ثالث وهو من يكون دعاؤه مقصوراً على طلب الآخرة، واختلف العلماء هل هو مشروع أم لا؟ والأكثرون على أنه غير مشروع ؛ وذلك أنّ الإنسان خُلق محتاجاً ضعيفاً لا طاقة له بمتاعب الدنيا ولا بمشاق الآخرة، فالأولى أنْ يستعيذ بربه من كل شرور الدنيا والآخرة .

وجاء في الحديث عن أنس أنّ النبي ﷺ دخل على رجل يعوده وقد أنهكه المرض، فقال: ما كنت تدعو الله به قبل هذا؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجل به في الدنيا، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله إنك لا تطيق ذلك، ألا قلت:**

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ ». قال: فدعا له رسول الله ﷺ فشُفِيَ .

السؤال الثالث:

جاءت لفظة ﴿حَسَنَةٗ﴾ نكرة مرتين في الآية فما دلالة ذلك؟ وما دلالة الآية ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿حَسَنَةٗ﴾ جاءت نكرة في الموضعين، وهي في الحقيقة وصف لموصوف محذوف، وهذا الموصوف المحذوف هوعلى إطلاقه بما يفكر به الانسان، نحو: آتنا في الدنيا عطايا حسنة بتفاصيلها، وفي الآخرة عطايا حسنة أيضاً بتفاصيلها، فحذف الموصوف وأبقى الصفة.

وجعلها بصيغة النكرة؛ حتى تشير إلى العموم والكثرة فتعني شيئاً عاماً، والله أعلم.

٢ـ والهدف والمعنى والقصد من هذه الآية ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾[البقرة:٢٠١] أي: كونوا كهؤلاء، وهنا ذكر الوصف للموصوف المحذوف، يعني هم يريدون في الدنيا لكن بالوصف الحسن، ولم يقفوا عند هذا وإنما قالوا: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة:٢٠١] أيضاً بكل ما يتصور من العطايا الموصوفة بأنها حسنة في الآخرة، ثم زاد عليهم في دعائهم وهذا تدريب ودعاء أنْ ادعوا هكذا ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١]؛ لأنّ الإنسان لا ينبغي أنْ ينسى أنّ هناك ناراً .

وعمر رضي الله عنه يقول لجلسائه: يا فلان عِظنا، قال: يا أمير المؤمنين تزفر النار زفرة يوم القيامة (هذا الزفير النفخ)، فلا يبقى ملك ولا شهيد ولا نبي ولا صالح إلا

ويجثو على ركبتيه، ولو كان لك عمل سبعين نبياً ما ظننتَ أنك ناج منها. يعني هذه الزفرة مخيفة من بعد ذلك وحتى عندما ينجي الله الذين اتقوا يحسّون بهذه اللذة لذة النجاة من هذه النار.

٣ـ ولمّا كان هؤلاء المؤمنون على منهج الرسل، فعبدوا الله أولاً كما أشار إليه السياق فانكسرت نفوسهم ثم ذكروه على تلك المراتب الثلاث، نارت قلوبهم بتجلي نور جلاله سبحانه فتأهلوا بذلك الدعاء فكان دعاؤهم كاملاً .

السؤال الرابع:

ما الدروس المستفادة من الآية ؟

الجواب:

آـ لماذا لم ننس الدنيا هنا؟ لأنّ الدنيا مزرعة للآخرة، والحسنة هنا جاءت بصيغة النكرة مرتين وهي وصف لموصوف محذوف، أي: أنه أطلقها لتكون عامة وشاملة، فكأننا نقول: يا رب أعطنا كل ما يُحسّن الدنيا عندك لنا، أي: أعطنا في الدنيا عطايا حسنة وأعطنا في الآخرة عطايا حسنة أيضاً.

ب ـ وقوله تعالى: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة:٢٠١] فيها نعمتان:

١ـ مجرد الزحزحة عن النار فيها نعيم، ويقول: الحمد لله أنْ أنجاني من النار.

٢ـ فإذا ما دخل الجنة ورأى نعيمها يحمد الله مرة ثانية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ إلى من يرجع الضمير في لفظة (أولئك) ؟

الجواب:

أنه إشارة إلى الفريق الثاني فقط الذين سألوا الدنيا والآخرة، وقيل: إنه راجع إلى الفريقين كل حسب نصيبه من العمل .

السؤال الثاني:

ما المراد من قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾؟

الجواب:

١ـ وفي "من" ثلاثة أقوال، أحدها: أنها للتبعيض، أي: نصيب من جنس ما كسبوا. والثاني: أنها للسببية، أي: من أجل ما كسبوا. والثالث: أنها للبيان.

٢ـ الآية تدل على أنّ الجزاء من جنس العمل، ولكن بحسب الوعد لا بحسب الاستحقاق الذاتي.

السؤال الثالث:

ما الكسب ؟

الجواب:

١ـ الكسب يطلق على ما يناله المرء بعمله فيكون مكسبه ومكتسبه .

٢- الاكتساب فيه افتعال ولا يكون إلا في الشر، كأنّ الذي يفعل الشر يتكلف فيه.

٣ـ وفي الآية ﴿كَسَبُوا۟ۚ﴾ أي: من الأعمال الصالحة وأعمال الخير والعبادة بأنواعها، والآية تتحدث عن أولئك.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ لأنّ الله يفعل بـ (كن) ولا يحتاج عمله إلى علاج، وبالتالي لا يحتاج إلى زمن، فهو إذن سريع الحساب؛ ولأنه لا يشغله شأن عن شأن؛ وهذا هو الفرق بين قدرة الواحد سبحانه وقدرة الحادث .

ولذلك سئل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الخلائق جميعاً في لحظة واحدة؟ فقال: كما يرزقهم في ساعة واحدة، فهو الذي يرزقهم وهو الذي يحاسبهم .

❁❁❁❁

﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

السؤال الأول:

لم خصّ الله تعالى الذكر فى هذه الأيام ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ ؟

الجواب:

لاحظ أنّ الله أمر عباده بالذِكر مع أنهم في الحج والموسم موسم عبادة، وخَصّ بالذكر الأيام المعدودات وهي أيام رمي الجِمار، وذلك لأنّ أهل الجاهلية كانوا يشغلون هذه

الأيام بالتغامز ومغازلة النساء، فأراد الله تعالى صرفهم عن هذا الإثم إلى الخير دون ذِكر ما يفعلون.

السؤال الثاني:

ما أهم الدروس في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ قول الحق سبحانه: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ وهي أيام التشريق الثلاثة، ثم قوله ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ يدل على أنّ كلمة (أيام) تطلق على الجمع وهو الأكثر من يومين.

٢ـ لكنّ الحق جعل للقيام بيومين حكم القيام بالثلاثة، فإنْ تعجلت في يومين فلا إثم عليك، ومن قضى ثلاثة أيام فلا إثم عليه، فكيف يكون ذلك ؟

والجواب: لأنّ المسألة ليست زمناً ولكنها استحضار نية تعبدية، فقد تجلس ثلاثة أيام وأنت غير مستحضر النية التعبدية؛ لذلك قال الله تعالى في كتابه: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فإياك أنْ تقارن الأفعال بزمنها، وإنما بإخلاص النية والتقوى فيها.

٣ـ كلمة ﴿تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ جاءت لتناسب زحمة الحج، فإذا كنت قد ذهبت باختيارك إلى هذا الحشر البشري في الحج فاعرف أنّ الذي كلفك بهذا الذهاب الاختياري هو القادر على أنْ يأتي بك وقد سُلب منك الاختيار.

٤ـ كان أهل الجاهلية فريقين، منهم من جعل المتعجل آثماً ومنهم من جعل المتأخر آثماً، فأخبر الله بنفي الإثم عنهما جميعاً، أو أنه لا إثم على المتأخر في تركه الأخذ

بالرخصة، مع أنّ الله تعالى يحب أنْ تؤتى رخصه كما يحب أنْ تؤتى عزائمه، أو أنّ معناه انتفاء الإثم عنهما موقوف على التقوى لا على مجرد الرخصة أو العزيمة .

❁❁❁❁

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف أضيفت كلمة ﴿أَلَدُّ﴾ إلى كلمة بمعناها وهي ﴿ٱلۡخِصَامِ﴾ ؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ إضافة كلمة ﴿أَلَدُّ﴾ إلى ﴿ٱلۡخِصَامِ﴾ مع أنّ معنى (ألدّ) هو شديد الخصومة، وهذا من باب مبالغة القرآن الكريم؛ ليصف لنا ربنا مدى الخصومة التي تسكن قلب المخاصِم، فهو ليس مخاصِماً وحسب ولكنه مخاصِم وخصامه غريب فظيع. ألا ترى كيف تقول لفلان وقد غضب: جُنّ فلان، ولكنه إذا كان كثير الغضب تقول: جُنّ جنونه، والمعنى في الآية: خصامه شديد الخِصام.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لفظة (الحرث) من كلمات منظومة (الحديقة) في القرآن. فما كلمات تلك المنظومة؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة (الحديقة) في القرآن، علما بأنه لم ترد كلمتا (بستان) و(حقل) في القرآن، لكنهما وردتا في الحديث .

١- الحديقة:

هي قطعة أرض مدورة فيها ماء وأشجار، وسُميت بهذا تشبيهاً بحدقة العين وفي حصول الماء فيها: [النمل ٦٠ـ النبأ ٣٢ـ عبس ٣٠].

٢- البستان:

إذا اتسعت الحديقة وأصبحت مستطيلة أو مربعة واسعة الأطراف تُسمى بستاناً، وإذا أُطلقت كلمة البستان فهو بستان نخل فقط، وإلا يجب تحديده فيقال: بستان رمان، أو بستان تفاح .

٣-الجنة:

إذا زادت كثافة الأشجار بحيث لا يُرى من دخلها تُسمى جنة، ومنها كلمة الجن؛ لأنهم لا يُرون. [البقرة ٢٦٥، ٢٦٦ـ المؤمنون ١٩].

٤- الحرث:

هي الأرض الواسعة التي تُعد للبذر والزرع [آل عمران ١١٧ـ الشورى ٢٠ـ البقرة ٢٠٥ـ الأنبياء ٧٨].

٥- الحقل:

إذا اجتمع في الحرث بستان وزرع وحيوان صار حقلاً .

٦- الروضة:

هي منطقة زراعية كثيرة المياه دائمة الخضرة؛ وسُميت بذلك لأنها تبهج النفس: [الروم ١٥ـ الشورى ٢٢].

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

معنى: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: ليكن ظاهرك موافقاً لباطنك، فلا يكفي أنْ تقول قولاً يُعجب ولا يكفي أنْ تفعل فعلاً يُعجب الغير؛ لأنّ الله يحب أنْ يكون القول منسجماً مع الفعل، وأنْ يكون فعل الجوارح منسجماً مع نيات القلب.

السؤال الثاني:

كيف تكون جهنم دار مِهاد ونوم في قوله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ وصف الله تبارك وتعالى الأرض بأنها مِهاد لنا في حياتنا؛ لأنها مهيأة للسعي والنوم.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾، فهذا أقصى أنواع التهكم بهؤلاء الكافرين، فالإنسان يتخذ المكان الوثير مهاداً ليهنأ بنومه، أمّا الكافر فلِسُخْفِ عقله أخذ النار والعذاب مكان نومه، فتأمل!.

٢ـ وكلمة (مهاد) أي: ممهد ومريح، ولذلك يسمون فراش الطفل المهد.

وهل المهاد بهذه الصورة يناسب العذاب؟ نعم؛ لأنّ الذي يجلس في المهاد لا إرادة له في أنْ يخرج منه كالطفل فلا قوة له أنْ يغادر الفراش.

فإذا كان المهاد بهذه الصورة في النار فهو بئس المهاد.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ختامي الآيتين: آية لقمان ٦ و آية البقرة ٢٠٦، حيث بدأت كلتاهما بالمفرد، لكن انتهت آية لقمان بالجمع ؟

الجواب:

أولاً: استعراض الآيات:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾[لقمان:٦] .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[البقرة:٢٠٦] .

ثانياً: البيان:

١ـ بدأت آية لقمان بالمفرد ﴿مَن يَشْتَرِى﴾ [لقمان:٦] وانتهت بالجمع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [لقمان:٦] فهل هنالك رابط؟

نعم يوجد رابط؛ فإنه لما قال: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، هذا سيكون تهديداً له ولمن يضلهم، وليس له فقط ،فهو جمعهم في زمرته هو ومن يتبعه (المُضِل والضال)، إذن ليسا واحداً وإنما أصبحت جماعة، فناسب التهديد بصيغة الجمع له ولكل من يضله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦﴾[لقمان:٦] .

٢ـ في آية البقرة، قال: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[البقرة:٢٠٦] بصيغة الإفراد؛ لأنه لم يذكر أحداً معه فبدأ بالمفرد وانتهى بالمفرد؛ لأنه لم يتعلق بالآخر .

❀❀❀❀

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٢٠٧﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الرضوان والمرضات؟

الجواب:

١ـ الرضوان: مصدر وهو الرضى، بل الرضوان هو أعظم الرضى وأكبره فخُصّ بالله سبحانه وتعالى. ولم تستعمل في القرآن كلمة الرضوان إلا بمعنى الرضى من الله تعالى فقط . وقد وردت كلمة الرضوان في القرآن الكريم ١٣ مرة .

٢ـ أمّا كلمة: مرضات، فتأتي من الله ومن غيره، فهي ليست مختصة بالله تعالى، وإنما تأتي لله تعالى ولغيره. وقد وردت في القرآن الكريم خمس مرات، منها أربع مرات مع لفظ الجلالة في الآيات: [البقرة ٢٠٧ـ البقرة ٢٦٥ـ النساء ١١٤ـ الممتحنة ١] ومرة واحدة مع أزواج النبي ﷺ في آية التحريم ١.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:٢٠٧].

ـ ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾[التحريم:١].

٣ـ والرضوان أعلى من الجنة، وفي الأثر: «**إنكم لتحتاجون إلى علمائكم في الجنة كما تحتاجون إليهم في الدنيا، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يطُلّ الله تعالى على عباده أصحاب الجنة، فيقول: سلوني، فيحارون ماذا يسألونه وكل شيء موجود، فينظر بعضهم إلى بعض فيذهبون إلى علمائهم يقولون ما نسأل ربنا؟ فيقول العلماء: سلوه الرضا.**

السؤال الثاني:

عادة في القرآن الكريم يجمع بين الصفتين: الرأفة والرحمة، فيقول: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهل أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن؟

الجواب:

١ـ الرأفةُ خاصة: وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، وأمّا الرحمة فعامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧].

٢ـ أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن كله في موطنين لا غير:[آية البقرة ٢٠٧، وآية آل عمران ٣٠] وقال فيهما: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾.

قال تعالى:

ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة:٢٠٧] .

ـ ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾[آل عمران:٣٠] .

٣ـ ما قال تعالى فيهما: ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ فلماذا؟ لو لاحظنا السياق الذي وردت فيه الآيتان يتضح الأمر.

آـ في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ فالسياق لا يحتمل رحمة؛ لأنه عندما يقول: ﴿فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ﴾ كيف يناسب الرحمة؟ لا يناسب ذكر الرحمة.

ب ـ وكذلك الأمر في سياق آية آل عمران ٦٠، يتكلم فيها عن النفس التي عملت في حياتها سوءاً مع التحذير من ذلك، فلا يناسب ذلك ذكر الرحمة لهؤلاء، والله أعلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ ولم يقل: سالموا بعضكم، مثلاً؟

الجواب:

الدخول يدل على العمق، ومن دخل المنزل صار داخله وفي عمقه ومحاطاً ببنائه، ولذلك من دخل السِّلم صار في أقصى غاية المسالمة وليس مسالماً فقط.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين: السِّلْم ـ والسَّلْم ـ والسَّلَم ؟

الجواب:

السِّلْم - بكسر السين وتشديدها وسكون اللام هو الإسلام وكل الناس مأمورون بالدخول فيه كافة، وهو السلام .

السَّلْم: بفتح السين وكسرها، يُذكّر ويؤنث، هو الصلح أوهو الميل إلى الاستسلام والمسالمة وترك القتال والحرب، وهذه دعوة موجهة إلى الكفار ليجنحوا إليه، وهو محرم على المسلمين.

السَّلَم: بفتح السين وتشديدها وفتح اللام هوالسّلف، وهوأيضاً الاستسلام الذليل المهين حيث يُلقي الكفار للمسلمين السَّلَم في الدنيا.

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[آل عمران:١٠٥] و ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة:٢١٣] في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة (البيّنات) ليست مؤنثاً حقيقياً، لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها.

٢ـ هناك حكم نحويٌّ مفاده أنه يجوز أنْ يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً مع المؤنث غير الحقيقي .

٣ـ والسؤال ليس عن جواز تذكير وتأنيث البيّنات؛ لأنّ هذا جائز كما قلنا، لكن السؤال: لماذا جاء بالاستعمال فعل المذكر ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] مع العلم أنه استعملت في غير مكان بالمؤنث ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[البقرة:٢١٣]؟

والجواب:

آـ عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بمعنى العلامات الدالة على المعجزات والنبوءات يؤنث الفعل .

ب ـ وعندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بمعنى الأمر والنهي يذكر الفعل .

شواهد قرآنية على التأنيث، أي: بمعنى المعجزات والنبوءات:

- ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٩].

- ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾[البقرة:٢١٣].

- ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[البقرة:٢٥٣].

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾[النساء:١٥٣].

شواهد قرآنية على التذكير، أي: بمعنى الأمر والنهي:

- ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[آل عمران:٨٦].

- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥].

- ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر:٦٦].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾؟

الجواب:

١- قوله: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ معناه: انحرفتم عن الطريق الذي أُمرتم به، ويدخل في ذلك الكبائر والصغائر، وفي ذلك زجر للمؤمن كي يتحرز عن الذنوب كبيرها وصغيرها.

٢- دلت الآية على أنّ المؤاخذة بالذنب لا تحصل إلا بعد حصول البيان للمكلف لا حصول اليقين.

٣- يحكى أنّ قارئاً قرأ (غفور رحيم) في هذه الآية، فسمعه أعرابي فأنكره، وقال له: الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

الإنسان عادة ينتظر ما يعلم أو يظن وقوعه، والقوم لم يكونوا كذلك؛ لأنهم لم يصدقوا، فكيف يُفهم ذلك ؟

الجواب:

لما كان واقعاً لا محالة، كانوا في الحقيقة كالمنتظرين له في المعنى، ولذلك جاء تهديداً لهم.

ومعنى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون.

❁❁❁❁

﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين فعل الأمر: إسأل وسل؟

الجواب:

سل:إذا بدأنا بالفعل مباشرة فالعرب تخفف وتحذف كما في هذه الآية٢١١ من سورة البقرة . وإذا تقدمها أي شيء يؤتى بالهمزة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الإسراء:١٠١] .

وهذه قاعدة عند أكثرية العرب أنه إذا سبقها شيء يبدأ بالهمزة (اسأل) وإذا بدأنا بها يحذفها؛ أي يبقى (سل) .

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النعمة والنعيم ؟

الجواب:

النعمة في القرآن هي لنعم الدنيا وتستعمل مفرداً وجمعاً، كما في الآيات: [البقرة ٢١١ آل عمران ١٠٣ ـ ابراهيم ٦].

وأما النعيم فخاص بنعيم الآخرة، وقد وردت كلمة (النعيم) ١٦ مرة في القرآن .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢١١ : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ [البقرة:٢١١] بينما أكدها بـ (اللام) في آية الرعد٦ بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾[الرعد:٦] فما سبب تخفيف أو زيادة التوكيد ؟

الجواب:

أولاً ـ القاعدة اللغويـــة:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢] مع التخفيف ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الرعد: ٦] مع زيادة التوكيد بزيادة اللام .

ثانياً ـ البيـــان:

قال في آيات البقرة (٢١١) والمائدة (٢) والأنفال (١٣): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة:٢] مؤكداً بإنّ وحدها، بينما قال في سورة الرعد (٦): ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾ فأكد بإنّ واللام؛ وذلك أنه:

في سورة الرعد ورد قبل الآية ٦ من ذكر العقوبات، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ وذكر من عقوبات الكافرين في الآية ٥ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾ فاقتضى ذلك زيادة توكيدها .

وليس السياق كذلك في الآيات الأخرى ولا شيء فيه، فلمّا كان السياق في الرعد سياق العقوبات اقتضى زيادة توكيدها.

❁❁❁❁

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢١٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التذكير في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ﴾ ولم يقل: زينت، مع أنّ الدنيا مؤنث؟

الجواب:

١ـ من حيث الحكم النحوي: يجوز وليس فيه إشكال؛ لأنّ الحياة مؤنث مجازي، والمؤنث المجازي هو الذي ليس له مذكر من جنسه، فمثلاً: (البقرة) مؤنث حقيقي؛ لأنّ الثور ذكر من جنسها، و(النعجة) لها كبش من جنسها، وكلمة (سماء) ليست مؤنثاً

حقيقياً، وكذلك (الشمس) مؤنث مجازي و(القمر) مذكر مجازي، فإذا كان هنالك مذكر من جنس الكلمة فإنها مؤنث حقيقي، إذن كلمة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مؤنث مجازي يجوز تذكيره وتأنيثه، هذا لغوياً .

٢ـ ثم هنالك فاصل بين الفعل والفاعل ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٢١٢] والفاصل حتى في المؤنث الحقيقي يمكن تذكيره . تقول مثلاً: (أقبلت فاطمة) بالتأنيث، وتقول: (أقبل اليومَ فاطمةُ) طالما فصلنا بين العامل والمعمول؛ لذلك يجوز تذكيره وتأنيثه.

٣ـ إذن من حيثُ النحوُ ليس فيه إشكالٌ:

آ- لكون الفاعل مجازيَّ التأنيثِ

ب - لوجود فاصلٌ بين العامل والمعمول، لكن لماذا اختار التذكير؟

ومما يجدر ذكره أن هنالك قراءة أخرى، وهي: (زَيَّنَ للذين كفروا الحياةَ الدنيا) بالبناءِ للمعلومِ والفاعلُ الشيطانُ ضميرٌ مستترٌ، والحياةَ: مفعول به، وهذه القراءة لا يمكن أنْ يقول فيها: زَيَّنت، لذا التذكير صار واجباً.

إذن في الآية قراءتان: قراءة (زَيَّنَ) بالبناء للمعلوم، و يلزم فيها تذكير الفعل (زين)، وقراءة﴿زُيِّنَ﴾بالبناء للمجهول، ويحسن فيها تذكير الفعل. ولذلك قال تعالى: ﴿زُيِّنَ﴾ ولم يقل: (زينت) لأنه فصل بين(زُين) والحياة الدنيا بفاصل، وهو قوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وإذا فصل بين الفعل والفاعل حَسُنَ تذكير الفعل؛ لأنَّ الفاصل يغني عن تاء التأنيث.

السؤال الثاني:

لِمَ اختار الله تعالى في الآية صيغة الماضي للتزيين ﴿زُيِّنَ﴾ وصيغة المضارع للسخرية ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾؟

الجواب:

أتى فعل التزيين ماضياً ليدلَّنا على أنّ التزيين أمر مستقر في الكافرين، فهم أبد الدهر يعشقون الدنيا ويكرهون الموت، وأتى بفعل السخرية مضارعاً ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ليبيّن لنا ربُّنا سبحانه وتعالى أنّ الكافرين يسخرون من الإيمان وأهله بشكلٍ متجددٍ متكررٍ، وفي ترتيب الفِعلَين دلالةٌ منطقيةٌ لأنَّ السُّخريةَ مبعَثُها حُبُّ الدنيا والشهواتِ والتزيينُ سابقٌ للسخريةِ، فعبَّرَ عنه بالماضي، والسخريةُ ناشئةٌ من تعلُّقِ القلب بالدنيا، فعبّر عنها بالمضارع.

السؤال الثالث:

ما الدلالة البيانية لمجيء الفعل ﴿زُيِّنَ﴾مبنياً للمجهول ؟

الجواب:

هناك خطٌّ عامٌّ واضح في القرآن الكريم، أنه في آيات التزيين فإنّ الله ينسب الخيرَ إلى نفسه، وأمّا تزيينُ القبيحِ فيبنيه للمجهولِ أو ينسِبُه إلى الشيطانِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[الأنفال:٤٨] وقوله ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن: ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [النمل:٤] كما في [آية النمل: ٤] لغرض إقامة العقيدة الصحيحة، ولكن لا تجد مطلقاً (زينا لهم سوء أعمالهم) بذكر السوء، والفرق ظاهر بين الأمرين .

السؤال الرابع:

ما دلالات استخدام التعابير ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ في القرآن الكريم؟

الجواب:

أولاً ـ معلومات عددية:

١ـ وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم ١٦٥ مرة.

٢ـ ورد تعبير (الحياة الدنيا) ٦٨ مرة.

٣ـ وردت كلمة (الآخرة) في القرآن الكريم ١١٥ مرة.

٤ـ ورد التعبير (الدار الآخرة) ٩ مرات.

٥ـ تعبير (الدار الدنيا) لم يرد مطلقاً.

٦ـ تعبير (الحياة الآخرة) لم يرد مطلقاً.

٧ـ وردت التعابير (ثواب الآخرة) (عذاب الآخرة) (لقاء الآخرة) (حرث الآخرة) ولم يرد مثل هذه التعبيرات للدنيا.

ثانياً ـ المعـــــاني:

الدنـــيا:

عندما تكون مفردةً تدل على الحياة التي نحياها في هذه الأرض دون أية ظلال أو إيحاءات أخرى، وهي المسافة الزمنية الممتدة من خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

والدنيا على صيغة فعلى، وهي مؤنث: أدنى، وهي مشتقة من الدنوِّ، أي: الأكثر قرباً إليك، نحو:[الجار الأدنى ـ السماء الدنيا ـ العُدوةِ الدنيا، أو من الدناوة].

الآخــــرة:

هي عَلَمٌ على الحياة الثانية التي سيحياها الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا.

الحياة الدنيـــــا:

وهي تعني في القرآن الكريم استغراق الإنسان في هذه الحياة وانغماسه وانشغاله فيها وانصرافه عما بعدها، فكأنّ تعبير الحياة الدنيا صورة لانصراف الإنسان عن ربه وغفلته عن الآخرة.

شواهد قرآنية:

[البقرة ٢١٢ ـ القصص ٧٩ ـ إبراهيم ٣ ـ الأنعام ٢٩].

الحياة الدنيا حياة مؤقتة لا بدّ لها من زوال، أمّا الآخرة فهي حياة دائمة خالدة إمّا في نعيم الجنة وإمّا في شقاء النار.

لذلك قال الله: (الحياة الدنيا) ولم يقل: (الحياة الآخرة)؛ لأنّ الحياة الدنيا فانية زائلة، والحياة في الآخرة خلود لا يزول.

لذلك عبّر عنها بالدار الآخرة؛ لأنّ الدار تحمل معنى الاستقرار والثبات والبقاء، والإنسان لا يشعر بالاستقرار إلا في داره، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[غافر:٣٩] .

وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾ [القصص:٨٣].

وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)﴾ [النحل:٣٠].

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[البقرة:٢١٢] ولم يقل: والذين آمنوا فوقهم، فلماذا؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ولم يقل: والذين آمنوا فوقهم؛ وذلك ليعزل الاسم عن الوصف، فكم من مدعٍ الإيمان، والله يريد أنْ نأخذ الإيمان بالالتزام بمنهج السماء وليس بالاسم فقط، ولذلك لا تحصل السعادة في الآخرة إلا للمؤمن التقي.

وهذه الفوقية للمؤمنين هي بالمكان؛ لأنّ المؤمنين في علّيّين والكافرين في سجّين، وهي فوقية بالكرامة، وهي فوقية بالحجة.

السؤال السادس:

ما أهم الدروس في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ خلق اللهُ الإنسانَ سيد هذا الكون وسخر له الحيوان والنبات والجماد ليخدمه .

وكان مقتضى العقل أنْ يبحث هذا السيدُ عن جنس أعلى منه، ولن يجد حوله من هو أعلى من جنسه الذي ينتسب إليه، فكان من المفروض أنْ يقول الإنسان: أنا أريد جنساً يعلِّمُني عن نفسي، فأرسل الله سبحانه الرسل وقالوا: أيها الإنسان إنّ الذي أعلى منك هو الله وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وهو قد وضع لك منهجاً لسعادتك ومصلحتك، وكان على الإنسان أنْ يفرح بمجيء الرسل وخصوصاً أن الله تعالى لا يريد خدمة منه بل الإنسان يحتاج لعبادة الله .

لذلك فالإنسان مخيَّرٌ بين خادمٍ له مسخَّرٍ من الجماد والحيوان والنبات، ومُعطٍ مُتفضِّلٍ عليه مختارٍ وهو أعلى منه ،إنه هو الله، وهو يقول للإنسان: خذ الأعلى لتسعدَ.

٢ـ عندما يقول الحق: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فهو يريد أنْ يلفتنا إلى أنّ مقاييس الكافرين مقاييس هابطة، ومن خيبة الإنسان أنْ يأخذ الأدنى ويفضله على الأعلى وهو دليل على حمقه، ومن العجيب أنكم فعلتم ذلك وأنتم في الأدنى وتسخرون من الذين التفتوا إلى الأعلى!!.

٣ـ كلمة ﴿زُيِّنَ﴾ من الزينة، وهي مؤقتة لا تلبث أنْ تزول.

٤ـ قول الحق: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ ؛ لأنّ خزائنه لا تنفد ويرزق بغير حساب؛ لأنه لا يحكمه قانون وإنما يعطي بطلاقة القدرة، فيعطي المؤمن وحتى الكافر، والله تعالى لا يُسأل عن حكمه فالحكم لله وحده ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣] .

وعلى الإنسان أنْ يعمل في الأسباب، لكن لا يأخذ حساباً من الأسباب ويظن أنّ ذلك هو رزقه؛ لأنّ الرزق قد يأتي من طريق لم يدخل في حسابك ولا في حساباتك.

٥ـ النعمة لا تكون إكراماً من الله إلا إذا وفقك الله في حسن التصرف في هذه النعمة، وكذلك لا تكون النعمة إهانة إلا إذا لم يوفقك الله في أداء حق النعمة بشكر المُنعِم وعدمِ الانشغال بها عمن رزقك إياها.

٦ـ قوله: ﴿ زُيِّنَ﴾ ولم يقل: (زينت) لأنه فصل بين زُين والحياة الدنيا بفاصل، وهو قوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وإذا فصل بين الفعل والفاعل حَسُنَ تذكير الفعل؛ لأنّ الفاصل يغني عن تاء التأنيث.

❋❋❋❋

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وبما أنّ الناس أمة واحدة فما الغرض من بعث النبيين مبشّرين ومنذرين؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: متفقين على التوحيد مقرّين بالعبودية.

٢ـ السؤال: إذا كانوا كذلك لم أرسلَ الرُّسلَ؟ نقرأ الآية: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾[البقرة:٢١٣].

إذن كانوا أمة واحدة فاختلفوا، كما في آية أخرى ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾[يونس:١٩] ولما قال: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ إشارةٌ إلى أنهم اختلفوا، وهذا اقتضى إرسال النبيين والمرسلين.

السؤال الثاني:

ما معنى كلمة (أمّة) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمة (أُمّة) جاءت في القرآن الكريم بأربعة معانٍ، هي:

١ـ الأمّة بمعنى المِلّة: أي: العقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[يونس:١٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[الأنبياء:٩٢] .

٢ـ الأمّة بمعنى الجماعة: كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف:١٥٩] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف:١٨١].

٣ـ الأمّة بمعنى الزَّمَن: كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [هود:٨] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾[يوسف:٤٥] .

٤ـ الأمة بمعنى الإمامِ: كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[النحل:١٢٠] أي: القُدوةُ.

وقوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة:٢١٣] في سورة البقرة الأمة هنا بمعنى العقيدةِ الواحدةِ والمِلّة الواحدةِ.

السؤال الثالث:

يقولون إنّ هذه الآية لخَّصت تاريخ البشريةِ من عهد آدم إلى أن تقوم الساعة، فكيف؟

الجواب:

هذه الآية لخّصت تاريخ البشرية من عهد آدم إلى أنْ تقوم الساعة، ومعناها أنّ الناس كانوا على عقيدةٍ واحدةٍ من عهد آدم إلى زمن ما قبل نوح حيث بدّلوا عقيدتهم، فالدين واحد والعقيدة هي الإيمان بالله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٩] ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

[آل عمران:٨٥] . وكأنّ في الآية جملةً مقدّرةً (كان الناس أمة واحدة فضلُّوا وتفرَّقوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) .

السؤال الرابع:

لم أفرد الله عز وجل(الكتابَ) في الآية وجمعَ (النبيين) ؟

الجواب:

بعث الله تعالى الأنبياء فعبّر عنهم بصيغة الجمع ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ولكنه قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ولم يقل: الكُتُب، مع أنهم جمعٌ متتابعٌ ولم يكن للكلِّ كتابٌ واحدٌ، فلِمَ أفرده تعالى؟

أفرده ليعلِّمَنا أنّ الحقَّ الذي نزل به الأنبياء واحدٌ، ولكنه نزل على فترات، وكلٌّ واحد منهم متمِّمٌ لما قبله.

السؤال الخامس:

لماذا أنَّثَ (البينات) فقال: ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول من آية البقرة ٢٠٩.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[البقرة:٢١٤] وفي رواية ورش (يقولُ) بالضَّمِّ فما دلالة الضمِّ؟

الجواب:

١ـ ما الفرق اللغوي في المعنى بين الفعل المنصوب والفعل المرفوع بعد (حتى) ؟

والجواب:

آـ القاعدة أنّ الحرف (حتى) قد يأتي بعده الفعل مرفوعاً وقد يأتي منصوباً، و(حتى) لا تُنصب إلا إذا كان الفعل بعدها مستقبل الوقوع، مثل: سأدرسُ حتى أنجحَ؛ لأنَّ النجاح يكون مستقبلاً، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ [طه:٩١].

ب ـ إذن النصبُ يفيدُ الاستقبالَ، ولذلك هم قالوا: إذا قلت: جئتُ حتى أدخلَ المدينةَ، يعني أنت لم تدخلها بعد، وإنْ كان قد دخلها يقول: جئتُ حتى أدخلُ المدينةَ .لا

تقولها بالرفعِ إلا وأنت في سِكَكِها، فلو سمعناها بالنَّصبِ (حتى أدخلَ) نفهَمُ أنه ما دخلها.

مثال آخر: أنت تقول: ما الذي جاء بك؟ يقولُ: جئت حتى أزورَ فلاناً، أي: يعني أنه لم يزره بعدُ، أمّا إذا قال: جئتُ حتى أزورُ فلاناً، يعني: زاره.

ج ـ لذلك نؤكِّدُ على القاعدة في المعنى: إذا كانت بالرفع تدل على فعل حدثٍ، وإذا كانت بالنصب يعني أنّ الفعل لم يحدث بعدُ.

٢ـ في الآية يتكلم القرآن عن جماعةٍ مضوا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ بالنَّصبِ، إذن هذا بعد إصابة البأساء والضراء والزلزال ثم قال الرسول، فهوإذن استقبالٌ لما بعد الإصابةِ، أي: هذا مستقبَلٌ بالنسبة لإصابةِ البأساءِ والضراءِ، ونفهم من ذلك أنّ الرسول ﷺ ما قالها إلا بعد البأساءِ والضراءِ والزلزلة النفسيةِ، إذن هذه منصوبة؛ لأنَّ القول يكون بعد البأساء والضراء.

٣ـ (حتى يقولُ) بالرفعِ هذا ماضٍ بالنسبة للإخبارِ عنهم؛ لأنّ الإخبارَ كُلَّه وقع، فأنت الآن تخبِرُ عن أمر ماضٍ وقعَ، فالبأساءُ حدثت والرسول ﷺ قال هذا الكلامَ وأنت تتكلَّمُ عن تاريخٍ، لذلك قوله تعالى: (حتى يقولُ) بالرفعِ، هذا إخبارٌ عما وقع عن حادثةٍ ماضيةٍ، فيقوله بالرفع.

إذن هناك أمران: إذا كان الاستقبالُ لما بعد الإصابةِ يقول: (حتى يقولَ) بالنصب، وإذا كان إخباراً عن كلِّ الحوادثِ يقولها بالرفع (حتى يقولُ).

٤ـ قد يقول قائل: ألا يتعارض هذا بعضه مع بعض؟ والقرآنُ ماذا يريد أنْ يقول؟ هل قالها الرسولُ قبل البأساء أو بعد؟

والجواب: أنّ في الآية جانِبَين: الأول أنه ذكر حالة الرسول ﷺ قبل القولِ فنصبَ، والثاني أنه ذكر حالَ الإخبار عنها بعد القول فرفع، ولا يوجد تعارض بين القراءتين وإنما ذكر حالتين: حالة قبل القول وحالة إخبار بعد القول.

٥ـ نلخص ما سبق:

في الآية قراءتان متواترتان هما:

آـ حتى يقولَ ـ بالنصب.

ب ـ حتى يقولُ ـ بالضم.

والقاعدة النحوية كما ذكرنا أنه إذا كان الفعل مستقبلاً بعد حتى نصبتَ وإذا كان حالاً محكية رفعتَ فقولك: أسيرُ حتى أدخل البلدةَ، إذا لم يتم الدخول نصبتَ الفعلَ، وإذا حصل الدخول رفعت.

(حتى يقولَ) بالنصب:

أي: يقول الرسول مستقبلاً بعد الإصابة بالبأساء والضراء والزلزلة، أي بتقدير: وزلزلوا إلى أن يقولَ الرسول.

(حتى يقولُ) بالرفع:

إخبار عما وقع في الماضي، كأنه تاريخ عن الإصابة بالبأساء والضراء والزلزلة.

فكأنّ القراءتين شملتا الحالتين، قبل القول وبعد القول .

والأكثرية اختاروا النصب؛ لأنّ قراءة الرفع لا تصح إلا إذا جعلنا الكلام حكايةً عمن يخبر عنها حال وقوعها، أمّا قراءة النصب فلا تحتاج إلى هذا الفرض، لذا كانت قراءة النصب أولى.

والله أعلم .

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ في الآية؟

الجواب:

انظر أخي المؤمن كيف عبّر الله عن شدة المصاب بقوله ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ وهذا الفعل يدلُّكَ على شدة اضطراب نظام معيشتهم؛ لأنّ الزلزلة تدل على تحرك الجسم في مكانه بشدة، والتضعيف في الفعل زلزلوا يدل على تكرر هذا الحدث.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين المسِّ واللمس ؟

الجواب:

اللمس: يكون باليد خاصة ليُعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة، والمس: يكون باليد وبغيرها.

قال تعالى: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾ [البقرة:٢١٤] وقال: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ [الأنعام:١٧] ولم يقل: يلمسك.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين البأساء والضراء ؟

الجواب:

البأساء: لغة هي الشدة عموماً والمشقة والبؤس والفقر والحرب، ولكنْ أكثر ما تستعمل في الأموال والأنفس.

الضراء: لغة تكون المرض في الأبدان وما يصيب الأموال.

السؤال الخامس:

ما المعلومات النحوية عن الحرف (حتى) باختصار ؟

الجواب:

مقدمة نحوية:

الحرف (حتى) يدخل على الفعل المضارع فينتصب بعده أويرتفع، فهو ينصب بعده إذا كان مستقبلاً، وأمّا إذا كان حالاً أو قولاً عن الماضي فيرفع.

وتأتي (حتى) في معانٍ ثلاث مع النصب:

آ ـ انتهاء الغاية بمعنى: (إلى أن) نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾[طه:٩١].

ب ـ التعليل بمعنى: (كي) كقوله تعالى: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[المنافقون:٧] وكقولك: أطعت الله حتى أدخل الجنة.

ج ـ مرادفة لمعنى: (إلا أنْ) في الاستثناء.

السؤال السادس:

ما المعنى العام لهذه الآية ؟

الجواب:

ذكر الله تعالى في الآية التي سبقتها أنّ الله يهدي من يشاء إلى الحق وطلب الجنة، فبيّن الله تعالى في هذه الآية للمؤمنين أنّ هذه الفضيلة من الهداية لا يستحقونها إلا بتحمل المحن كما تحملها المؤمنون مع الأنبياء السابقين.

السؤال السابع:

ما دلالة حرف الاستفهام (أم) في الآية ؟

الجواب:

(أم) حرف استفهام نحو: أزيد أفضل أم خالد؟

آ ـ وقد تأتي بمعنى (بل) والهمزة كما في قوله تعالى ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٧] والمعنى: بل أعندهم خزائن ربك .

ب ـ وقد يكون الاستفهام بها حقيقياً نحو: هذا المنطلق أحمد أم هو إبراهيم ؟

فقد بنيت كلامك على اليقين أنه أحمد، ثم أدركك الشك وسألت: بل أهو إبراهيم ؟

ج ـ وقد يكون الاستفهام بها غير حقيقي، فيراد به الإنكار والتوبيخ نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩] .

د ـ وكذلك فإنّ (أم) المنقطعة تفيد الإضراب بل قد تتجرد له كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

السؤال الثامن:

كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله أن يقول على سبيل الاستبعاد ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ ؟

الجواب:

إنّ كونه رسولاً لا يمنع من أنْ يتأذى من كيد الأعداء، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾[الحجر:٩٧] وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء:٣]وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾[يوسف:١١٠] .

وعلى هذا إذا ضاق قلبه وقلت حيلته وهو يعلم أن نصر الله آت- وإن كان لا يعرف وقته تحديدا- فماذا عليه لو سأل عن موعد ذلك النصر؟: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ حتى إذا علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه قال في الجواب: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ فتضمن الجواب ذكر القرب؛ لأنّ السؤال كان عن قرب النصر، ولو كان السؤال عن وجود النصر من عدمه لما كان الجواب مطابقاً لذلك السؤال.

السؤال التاسع:

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إلى من يعود ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ هو قول الذين آمنوا، وقوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ هو قول الرسول ﷺ ويحتمل أنْ يكون جواباً من الله تعالى لهم تثبيتاً لقلوبهم.

السؤال العاشر:

إنْ قيل إن قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ يوجب في حقِّ كل من لحقته شدة أنْ يعلم أنه سيظفر بزوالها وذلك غير ثابت، فكيف ؟

الجواب:

آ ـ لا يمنع أنْ يكون هذا من خواص الأنبياء عليهم السلام.

ب ـ أو يكون ذلك عاماً؛ لأنّ الإنسان في البلاء إمّا أنْ يتخلص منه أو يموت، وإنْ مات فقد وصل إلى من لا يهمل أمره ولا يضيع حقه، وذلك من أعظم النصر، وإنما جعله قريباً؛ لأنّ الموت قريب.

❁❁❁❁

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآيات التي بدأت بقوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

كرر القرآن لفظة (ماذا) في الإنفاق مرتين، فقال: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ ﴾ في آيتي البقرة ٢١٥، ٢١٩ . فما دلالة هذا التكرار ؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ فجاء بـ(ماذا)، وهذا يدل على المبالغة في الاستفهام؛ ولذلك ـ والله أعلم ـ كرر السؤال مرتين، مرة في الآية ٢١٥، ومرة في الآية ٢١٩، فمرة أجاب عن السؤال ببيان أوجه الإنفاق المشروعة، ومرة أجاب عنه بنوع المال الذي ينفق، فكرر السؤال مرتين، وأجاب عنه مرتين، لأهمية السؤال؛ ولذا جاء بـ (ماذا) بدل (ما) لأنّ (ماذا) أبلغ وأقوى مِن (ما).

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ ما الفرق بين: عالمٍ وعلّامٍ وعليمٍ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿عَـٰلِمُ﴾ في القرآن لم ترد إلا مع (عالم الغيب) مفرداً أو (عالم الغيب والشهادة) عِلماً أنها وردت في (١٤) موضعاً في القرآنِ ولم تَرِد بمعنىً آخر، و﴿عَـٰلِمُ﴾ اسم فاعل لا يدل على الكثير عادة، فاستعملها بالمفرد الذي لا يدل على التكثير.

شواهد قرآنية: مقترنة بالغيب أو بالغيب والشهادة:

ـ ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[الجن:٢٦] .

ـ ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[الأنعام:٧٣] .

٢ـ ﴿عَلَّـٰمُ﴾ خصّصها للغيوبِ، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾[التوبة:٧٨] ولا تجد كلمة ﴿عَلَّـٰمُ﴾ في القرآن في غير ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ولم ترد إلا مع الغيوبِ جمع الغيب مجموعةً، والعلاّم كثرة والغيوبُ كثرة .

ومثل ذلك (سمّاع وسميع) في القرآن:

آ ـ سمّاع، استعملها في الذمّ، كقوله تعالى:

ـ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾[المائدة:٤١] .

ـ ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾[التوبة:٤٧] .

ب ـ و(سميع) استعملها تعالى لنفسه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٢٤] واستعملها في الثناء على الإنسان ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان:٢] وسمّاع لم يستعملها إلا في الذم، إذن القرآن يخصص في الاستعمال.

٣ـ لفظة ﴿عَلِيمٌ﴾ مطلقة، ويستعملها في كل المعلومات:

آ ـ على سبيل الإطلاق ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩] يستعملها إما للإطلاق على الكثير.

ب ـ أو يطلقها بدون تقييد ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾﴾[البقرة:٢٤٧] .

ج ـ أو يستعملها مع الجمع أو فعل الجمع.

شواهد قرآنية: قوله تعالى:

ـ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[يس:٧٩] هذه مطلقة و﴿كل﴾ تدل على العموم .

ـ ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾﴾[البقرة:٢٩] هذا إطلاق أو على العموم.

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾﴾[البقرة:١١٥] ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾﴾[البقرة:٢٤٧] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة:٣٢] .

ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥﴾ [البقرة:٩٥] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ٦٣﴾ [آل عمران:٦٣] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ١١٥﴾ [آل عمران:١١٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ [آل عمران:١١٩] مع الجمع نحو (المتقين، المفسدين، الظالمين، بذات الصدور) .

ـ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢١٥﴾ [البقرة:٢١٥] بفعل الجمع، فلم يقل (وما تفعل من خير).

ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٩﴾ [يوسف:١٩] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨﴾ [النور:٢٨] للجمع أو فعل الجمع.

٤ـ إذن كلمة ﴿عَلِيمٌ﴾ لم تحدد بشيء معين، إمّا للعموم أو كونها مطلقة من كل شيء أو مع الجمع أو مع فعل الجمع، ولم يأت مع متعلق مفرد مطلقاً في القرآن، لذلك لا تجد: عليم بفلان، أو بفعل فلان.

بينما (علاّم) محددة، و(عالِمٌ) محددة. إذا أراد أحدهم أنْ يدرس هذه الاستعمالات تدرس في باب تخصيص الألفاظ القرآنية، وهذه ظاهرة في القرآن .

❁❁❁❁

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾

السؤال الأول:

جاء الفعل ﴿كُتِبَ﴾ في الآية بصيغة المبني للمجهول. فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعمال ﴿كُتِبَ﴾ فيه شدة ومشقة وما يستكره من الأمور عموماً؛ ولذلك عندما يقول: كُتب عليكم، يكون أمر فيه شدة ومشقة وإلزام، والقتال كله شدة وكره فناسب المبني للمجهول، وهذا هو خط القرآن في ذلك . [راجع الآية ١٨٣].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمة الكَره – بفتح الكاف– والكُرهِ – بضمها– ؟

الجواب:

١ـ الكَره – بفتح الكاف– هو ما يأتي من الخارج، ويقابله الطوع، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت:١١] .

٢ـ أما الكُره – بضم الكاف – فهو ما ينبعث من الداخل، كما قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦] جاءت كلمة الكُره؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يكره القتال، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ [الأحقاف:١٥] الحمل في نفسه ثقيل وكذلك آلام الوضع والحمل، وأي إنسان لا يريد المشقة لنفسه أصلاً.

السؤال الثالث:

ما معنى عسى في القرآن؟

الجواب:

آـ عسى في القرآن: للترجي وللتوقع، ومن معناها الطمع فيما يستقبل والإشفاق ألا يكون، والفيصل في تحديد المعنى هو السياق.

والكثير في خبرها أنْ يكون فعلاً مضارعاً مقترناً بأنْ، وذلك أنها لمّا كانت للاستقبالِ جاؤوا بأنْ الدالة على الاستقبال فأدخلوها على الخبر، فإذا أرادوا أنْ يقربوها من الحال حذفوا (أنْ)، وهو قليل.

ولذلك يفهم أنّ الحرف (أنْ) مؤذن بتراخي الفعل .

واستعملت عسى على وجهين:

١ـ فعل ماض جامد مسند إلى اسم ظاهر، كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء:٨] وهنا للترجي، أو إلى ضمير بارز، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[محمد:٢٢] وهنا للتوقع.

٢ـ فعل ماض جامد مسند إلى(أنْ والفعل) كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦] .

ب ـ وقال بعضهم: في القرآن الكريم بشكل عام تأتي (عسى) من الله بمعنى الحصول والتأكيد

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢]، وفى سورة البقرة: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ

﴿شَرٌّ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦] فينبغي أنْ تتوقع فيما تحب أنْ يكون فيه شر، وأن تتوقع أنه قد يكون خير فيما يكره.

وقد تأتي للتوقع كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد:٢٢] . والفيصل في تحديد المعنى هو السياق، والمعجم يعطي معنى الكلمة مفردة، ولا يصح الاستناد إلى المعجم وحده للفهم .

السؤال الرابع:

كلمة ﴿ٱلْقِتَالُ﴾ في الآية هي إحدى كلمات منظومة الجهاد في القرآن. فما كلمات تلك المنظومة ؟

الجواب:

كلمات منظومة الجهاد الواردة في القرآن هي:

الحرب:

تعني الجهاد العسكري بهدف الاستيلاء على ثروات الآخرين، والحرب الإسلامية لا تكون إلا عند الاعتداء على العقيدة أو الأرض أو العِرض أو الممتلكات [الأنفال ٥٧ ـ المائدة ٣٣ـ البقرة ٢٧٩].

وآية المائدة ٣٣ في قطاع الطرق الذين يسلبون أموال الناس وممتلكاتهم فاستعمل (يحاربون الله ورسوله) ولو قال:(يقاتلون) بدل (يحاربون) لشملت الآية كل من يخيف المارة.

وآية البقرة (٢٧٩) هي آية الربا فقال: بحرب، ولم يقل: بقتال؛ لأنهم سلبوا ما في أيدي الناس من مال.

القتال:

وهي الحرب بقصد إزهاق أنفس العدو. [البقرة ٢١٦ ـ الأنفال ٦٥ ـ الأحزاب ٢٥ ـ محمد ٢٠].

البأس:

هو الحرب بقصد التمكن الكامل بالعدو والانتقام الشديد وكسر النفس: [البقرة ١٧٧، الحشر ١٤].

الزحف:

هو الجيش المتثاقل البطيء لضعفه وقلة قدرته على قتال العدو، والهروب في هذه الحالة من الكبائر[الأنفال ١٥].

الغزو:

إذا كنت في أرضك فأنت مقاتل مدافع، ولكن عندما تضطر لنقل المعركة إلى العدو يُسمى هذا غزواً. [آل عمران ١٥٦].

النفير:

هو جيش النجدة لمساعدة الجيش الأصلي، وهو فرض على النساء والأطفال والشيوخ. [النساء ٧١ ـ التوبة ٤١].

والنفرة مأخوذة من سرعة الهجوم، ولذلك سُمِّيَ الخروجُ من عرفاتٍ إلى المزدلفة نفرةً.

البغي:

هو الحرب غير المشروعة، والتي ليس لها سبب. [الشورى ٣٩ ـ يونس ٢٣].

الجهاد:

ويشمل كل ما سبق، وهو عام: [التوبة ١٦ـ ٢٤ـ النحل ١١٠ـ الأنفال ٧٤ـ المائدة ٣٥].

❁❁❁❁

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآيات التي بدأت مثل هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾؟.

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ﴾؟

الجواب:

أثير انتباهك أخي المؤمن إلى هذه اللفتة الإلهية، فالله تعالى أخبرنا بأنّ الكافرين مستمرُّون على زعزعةِ إيمانِنا وإخراجِنا من دوحةِ الإسلام ما قُدِّر لهم ذلك، ولاحظ قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ﴾ فقد قيّد قُدرَتهم على إخراجِكَ من الدين، بقوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ﴾ وهذا احتراسٌ لئلا يظنَّ السامع أنّ المؤمن سهلٌ إخراجُه عن إيمانِه، فاستعملَ تعالى حرفَ الشَّرطِ ﴿إِنِ﴾ وهو يدلُّ على الشَّكِّ لا اليقينِ ليطمئن أنّ استطاعتهم في ذلك ولو على آحاد المسلمين أمر بعيد المنال لهم؛ لقوة الإيمان التي تتغلغل في القلب فلا يفارقه.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ لِمَ استعمل (الفاء) بدل (ثم)؟

الجواب:

استعمل حرف العطف (الفاء) في قوله: ﴿فَيَمُتْ﴾ وهو حرف يفيد الترتيب والتعقيب ولم يستعمل (ثم) التي تفيد التراخي والمهلة في الزمن؛ أي قال: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ

كَافِرٌ﴾ ولم يقل: (ثم يمت وهو كافر). فما السبب؟ ونحن نعلم أنّ معظم المرتدين لا تحضر آجالهم عقب الارتداد بل قد يعمّر المرتد طويلاً، والفاء تفيد الترتيب، والتعقيب: أنْ يقع الأمران متعاقبين متتاليين، فما وجه استعمال الفاء إذن؟ في هذا ارتباط بديع يتمثل في أنّ المرتد يُعاقب بالموت عقوبة شرعية، فإنْ ارتدّ يُقتل حدّاً. والله أعلم .

السؤال الرابع:

لماذا جاءت ﴿يَرْتَدِدْ﴾ بفك الإدغام؟

الجواب:

فكّ الإدغام يكون مع الجزم، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧] وهذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

السؤال الخامس:

كلمة (قتال) تعرب بدلاً في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ ﴾[البقرة:٢١٧]، فهل البَدَل يفيد التوكيد؟

الجواب:

للبدل أنواع منها: الاشتمال والتخصيص والمدح والذمّ والتوكيد والتفخيم والإيضاح و غيره.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٧] ﴿قتال﴾ تُعرب بدل اشتمال، ولا يجوز إعرابها عطف بيان، لأنهما اختلفا تنكيراً وتعريفاً وفُقِد الشرط.

السؤال السادس:

هل كل ما جاء عطف بيان يُعرب بدلاً؟

الجواب:

١ـ عطف البيان هو قريب من البدل، تقول مثلاً: أقبل أخوك محمد، (محمد) يمكن أنْ تُعرب بدلاً أو عطف بيان.

لكنْ هنالك مواطن ينفرد فيها عطف البيان عن البدل، وقسم من النحاة يذكرون الفروق بين عطف البيان والبدل، ثم يقول أشهر النحاة بعد ذكر هذه الفروق:" لم يتبين لي فرق بين عطف البيان والبدل".

٢ـ عطف البيان على أي حال قريب من البدل، ويصح أنْ يُعرب بدلاً إلا في مواطن:

آـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون فعلاً، بينما البدل قد يكون فعلاً.

ب ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون مضمراً أو تابعاً لمضمر (ضميراً أو تابعا لضمير)، بينما البدل يصح أنْ يكون كذلك.

ج ـ عطف البيان لا يمكن أنْ يكون جملة ولا تابعاً لجملة، بينما البدل يمكن أنْ يكون كذلك.

وهناك مسألتان أساسيتان يركزون عليهما:

١. البدل على نيّة إحلاله محل الأول.

٢. البدل على نية تكرار العامل أو على نية من جملة ثانية.

فإذا قلنا: (يا أيَّها الرجلُ غلامُ زيد) لا يمكن أنْ يكون (غلام) بدلاً، لأننا لو حذفنا (الرجل) تصير الجملة: يا أيها غلام زيد، وهذا لا يصحّ.

السؤال السابع:

قال هنا في الآية ٢١٧: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ وقال في الآية ١٩١: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾

فما سبب ذلك؟ وما دلالته ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١.

السؤال الثامن:

ما الدروس المستفادة من هذه الآية باختصار ؟

الجواب:

١ـ الذين سألوا الرسول ﷺ هم المشركون ليعيِّروه بذلك بأنهم استحلوا القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام، وهذا هو قول الأكثرية من المفسرين.

وقيل: إنهم المسلمون سألوا الرسول عن ذلك ليعلموا الحكم، فأخبرهم الله أنّ الصد عن سبيل الله وإخراج أهل الحرم منه والفتنة في الدين أكبر من القتل والقتال في الشهر الحرام وفي الحرم.

٢ـ المعنى المختصر للآية: أنّ القتال في الشهر الحرام على سبيل الدفع جائز.

٣ـ قوله تعالى في آية البقرة ٢١٧: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ أي: سوف يبقون محاولين ردكم عن الإسلام، وقوله: (إنْ استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم.

٤ـ لما بيّن تعالى غرضهم من تلك المقاتلة وهو أنْ يرتد المسلمون عن دينهم، ذكر بعده وعيداً شديداً على الردة، فقال في نفس الآية٢١٧: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾.

السؤال التاسع:

نكّرت كلمة ﴿قِتَالٍ﴾ في الآية مرتين فما دلالة ذلك؟ وما إعراب ﴿قِتَالٍ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قِتَالٍ﴾ بدل اشتمال، وخفض على البدل من الشهر الحرام، ومثله قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ [البروج:٤-٥].

٢ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ فيه مسألتان:

آـ قتال مبتدأ وهو نكرة خُصصت بقوله ﴿فِيهِ ۖ﴾ و﴿كَبِيرٌ ۖ﴾ خبر ومعنى كبير هنا هو عظيم.

ب ـ نكّر القتال في المرتين، واللفظ النكرة إذا تكرر كان المراد بالثاني غير الأول، نحو: رأيت رجلاً وأكرمت رجلاً، فالرجل الثاني غير الأول.

والقوم أرادوا بسؤالهم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾ أي ذلك القتال المعين الذي أقدم عليه عبد الله بن جحش فقال الله: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ وفيه تنبيه على أنّ القتال

الكبير ليس هو الذي سألتم عنه؛ لأنّ هذا القتال كان الغرض منه نصرة الإسلام وإذلال الكفر، بل هو قتال آخر يهدف لهدم الإسلام وتقوية الكفر، فعبّر سبحانه بالتنكير في المرتين ليبين الفرق بين القتالين وأنهما ليسا متماثلين، ولو عرف الثاني لبطلت هذه الفائدة الجليلة.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ كلها مرفوعة بالابتداء، والخبر: ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

والمعنى أنّ القتال الذي سألتم عنه وإنْ كان كبيراً إلا أنّ هذه الأشياء أكبر منه.

السؤال العاشر:

على أي شيء عطف قوله تعالى ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ عَطْف قوله تعالى ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ذكروا فيه وجوهاً:

آـ عطف على الهاء في ﴿بِهِۦ﴾.

ب ـ عطف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو قول الأكثرية، وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

ج ـ عطف على ﴿ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ بتقدير: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام.

د ـ بتقدير إضمار حرف جر، أي بتقدير: وكفر به وبالمسجد الحرام.

٢ـ وعند البصريين وهو ما اختاره الزجاج أنّ قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ كلها مرفوعة بالابتداء، والخبر ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

والمعنى: أنّ القتال الذي سألتم عنه وإنْ كان كبيراً إلا أن هذه الأشياء أكبر منه.

السؤال الحادي عشر:

ما الصدُّ؟ وما الفتنة المذكورة في الآية ؟

الجواب:

١ـ الصد: هو الصد عن الإيمان بالله ورسوله ﷺ أو صدّ المسلمين بشكل عام.

٢ـ الفتنة: هي الكفر أو ما كانوا يفتنون به المسلمين عن دينهم بالشبهات والتعذيب والإشاعات.

السؤال الثاني عشر:

قوله تعالى في الآية: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾. ما أصل الحبط في اللغة ؟

الجواب:

أصل الحبط في اللغة: أنْ تأكل الإبل شيئاً يضرها فتهلك، والمراد من إحباط العمل، أي: بطلانه لفساده.

السؤال الثالث عشر:

ما دلالة الصيغة الاسمية في قوله تعالى في الآية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ ؟

الجواب:

جاء بالصيغة الاسمية للعذاب في الآخرة للدلالة على الاستمرار والثبات، وقال تعالى: ﴿هُمْ﴾لتخصيصهم ولتأكيد خلودهم في النار. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى عن المهاجرين: ﴿هَاجَرُوا۟﴾ ولم يقل: (هجروا) مثلاً فهل من فرق بين اللفظين؟

الجواب:

استعمل القرآن كلمة (هاجروا) دون (هجروا)؛ لأنّ (هاجر) تنشأ عن عداوة بين الجانبين، فكلٌّ من المنتقِل وهم أصحاب النبي ﷺ والمنتقَل عنهم وهم المشركون في مكة، كلٌّ قد هجر الآخر وقلاه وطلب بُعده.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ﴾؟

الجواب:

عددت الآية ثلاثة أصناف من الناس:

١ - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ٢ - ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ ٣- ﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾.

والذين آمنوا إيماناً خالصاً لوجه الله وهاجروا لنصرة الدين وجاهدوا لإعلاء كلمة الإسلام، هؤلاء قد فعلوا كل ذلك وهم يرجون رحمة الله .

ولقائل يسأل: أليست الرحمة مسألة يقينية عندهم؟

والجواب: ليس للعبد عند الله أمر متيقن، فما أدراك أنك لم تُحسن التوبة أو أنك لم تتيقن من استحضار نية الإخلاص لله في عملك ،أو حدثتك نفسك بشيء أفسد عليك عملك، ورسول الله ﷺ وهو سيد الخلق وسيد الموصولين بربهم يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يُرفع ودعاء لا يُسمع**».

وعظمة الرب أنك تدعوه خوفاً وطمعاً، إنْ رغبت فيه ولم ترهبه فأنت ناقص الإيمان، وإنْ رهبت فيه ولم ترغب فإيمانك ناقص أيضاً، لذلك لا بدّ من تلازم الرهبة والرغبة.

ولقد علّمنا رسول الله ﷺ أنّ دخول الجنة لا يكون بالأعمال وحدها ولكن بفضل الله ورحمته ومغفرته، فهو يقول: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، فقالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا حتى يتغمدني الله برحمته**».

لذلك فالمؤمن يرجو رحمة ربه، ولا يشترط على الله وهو يتجه بعمله خالصاً لله ويرجو التقبل والمغفرة والرحمة.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى: ﴿إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ﴾ ولم يقل: إصلاحهم في هذه الآية ؟

الجواب:

انظر إلى عظيم عناية الله تعالى ولطفه بعباده الضعفاء. ويتجلّى هذا اللطف في قوله تعالى: ﴿إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ﴾ حيث قال: ﴿لَّهُمۡ﴾ ولم يقل: إصلاحهم، لئلا يظن الإنسان أنه ملزم بإصلاح جسده ورعاية جسمه والعناية به وحسبُ ثم يهمل ما عداه، لا. فأنت أيها الكافل اليتيم مأمور بإصلاح ذاته وروحه وعقيدته وخلقه وكل ما يتعلق به.

❊❊❊❊

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾

السؤال الأول:

ماذا تفيد اللام في قوله تعالى في الآية ﴿وَلَأَمَةٞ﴾ ﴿وَلَعَبۡدٞ﴾؟

الجواب:

قد تدخل اللام على المبتدأ وتسمى لام الابتداء وهي تفيد التوكيد كما في هذه الآية.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وفي آيات أخرى يقول: ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾ [البقرة:١١٨] فما الفرق ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الرابع في آية البقرة ١٨٧ .

❋❋❋❋

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الوجه البلاغي لكلمة (أذى) في الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾؟

الجواب:

انظر إلى هذه الدقة والإعجاز العلمي، فقد أطلق الله سبحانه وتعالى الأذى ولم يقيّده، فقال (هو أذى) ولم يقل (هو أذى لكم) أو (لهنّ) فهل لهذا التعبير من سبب؟ نعم لأنّ جماع المرأة أثناء حيضها أذى للرجل يسببه الدم الفاسد، وفيه أذى للمرأة ومرض، وفيه

أذى للطفل، والأطباء يقولون: إنّ الجنين إذا تكوّن بجماع خلال الحيض قد يصاب بمرض الجذام.

السؤال الثاني:

ما دلالة المتطهّرين في قوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ ؟

الجواب:

الذي يبدو والله أعلم أنّ ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٩] هم الملائكة؛ لأنه لم ترد في القرآن كلمة (المطهرين) لغير الملائكة، (والمُطهّر) اسم مفعول وهي تعني: مُطهّر من قِبَل الله تعالى.

وبالنسبة للمسلمين يقال لهم: (متطهرين أو مطّهّرين) كما في هذه الآية، و(متطهرين) هي بفعل أنفسهم، أي: هم يطهرون أنفسهم.

السؤال الثالث:

قال تعالى في هذه الآية البقرة: ٢٢٢ ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ بالتاء، وقال في آية التوبة: ١٠٨ ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ بالتشديد. فما الفرق؟

الجواب:

قال في آية البقرة: ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ وفي آية التوبة ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ وذلك:

١ ـ آية البقرة ٢٢٢:

آ ـ هي في الطهر من الحيض والتطهر منه وهو متكررٌ متطاولٌ في العمر، فجاء به على صيغة الفك لأنها أطول.

ب ـ كذلك التطهر هنا أمر بدني للنساء والرجال، فالنساء ينبغي أن يتطهرن من الحيض والرجال ينبغي أن يعتزلوا النساء حتى يتطهرن .

ج ـ الآية في عموم المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين.

٢ـ آية التوبة ١٠٨ :

آ ـ التطهر فيها منظور به إلى التطهر القلبي؛ لأنها نزلت في المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وهذا من فساد الباطن وسوء السريرة ودنس القلب، كما قال الله ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة:١٠] وأمر الله رسوله بترك ذاك المسجد .

ثم ذكر بإزاء أولئك المنافقين أصحاب القلوب الدنسة رجالاً آخرين هم أصحاب القلوب الطاهرة، فقال فيهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ومعناه: أنه يحب الذين يبالغون في التطهر .

ب ـ الآية هي في صحابة رسول الله ﷺ.

٣ـ لذلك استعمل الصيغة الطويلة في المدة المتطاولة، واستعمل ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ للبدن بينما استعمل ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ للقلب، وهو أبلغ وخاصة مع الصحابة؛ لأنهم أكمل الناس طهارة ظاهراً وباطناً.

٤ ـ قد تقول: ولكن الله قال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة:١٠٨] فجاء بالفك ولم يقل (يطّهروا)؟ والجواب: أنّ الله جمع لهم بين التطهُّرَين القلبي والبدني، وذلك أبلغ وأمدح من أنْ يذكرهما بنوع واحد فإنه يحب المتطهرين جميعا.

السؤال الرابع:

من الذين يحبهم الله تعالى؟

الجواب:

من يحبهم الله تعالى:

١ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

٢ـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

٣ـ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

٤ـ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

٥ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

٦ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

٧ـ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

٨ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

اللهم اجعلنا ممن أحبك يارب العالمين، وكذلك كل من يقول: آمين .

❋❋❋❋

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الآية ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ فيما يتعلق باللغة:الذي يظهر من التعبير اللغوي ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الحرث هو وضع النبت والزرع والنسل، هذا هو الحرث في اللغة كما في قوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾[البقرة:٢٠٥] ومعنى الآية: فاتوا حرثكم، أي: مكان الإنبات والنسل.

٢ـ عبّر عن الجماع بلفظ﴿حَرْثَكُمْ﴾ لأنه لما كان السؤال يحتمل معنى (كيف) و(أين) جاءت لفظة الحرث؛ لأنّ الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور وينبت الزرع وهو المحل المخصوص.

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ولماذا جاء بعدها بثلاثة تأكيدات في الآية ؟

الجواب:

معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: كونوا في قيد تقديم الطاعة لا في قيد قضاء الشهوة، وهذه الصيغة فيها أمر وتأكيد، ثم أكد ذلك ثانياً بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ثم أكده ثالثاً بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ وهذه التأكيدات والتهديدات الثلاث لا يليق ذكرها إلا بعد أمر منهي عنه مشتهى عند البعض .

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في الآية ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وفي آيات أخرى ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ [البقرة:٩٥] فما الفرق بين التعبيرين ؟

الجواب:

١ـ الآيات التي فيها فعل ﴿قَدَّمَتْ﴾ ليس فيها كسب .

شواهد قرآنية:

[البقرة ٩٥ـ النساء ٦٢ـ القصص ٤٧ـ الروم ٢٦ـ الشورى ٤٨ـ الجمعة ٧].

٢ـ آيات الكسب ﴿كَسَبَتْ﴾ يسبقها شيء يدل على الكسب، والكسب هنا هو الكسب غير المشروع.

فمثلاً: في آية الشورى ٣٠ ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠]

وسبقها في الآية ٢٧ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى:٢٧] وبسط الرزق يدل على الكسب.

شواهد قرآنية:

[البقرة ٢٢٥ـ الأنعام ٧٠ـ الرعد ٣٣ـ الروم ٤١ـ غافر١٧ـ الشورى ٣٠ـ الجاثية ٢٢ـ المدثر ٣٨]. والله أعلم.

السؤال الثاني:

كم مرة وردت كلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

وردت كلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ في القرآن ١٥ مرة، وهي:

آ ـ (١١) مرة كاسم من أسماء الله الحسنى:

في الآيات التالية:

١. ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٢٥] .

٢. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

٣. ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة:٢٦٣] .

٤. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران:١٥٥] .

٥ . ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ
فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن
لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن
كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ
وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[النساء:١٢].

٦ . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ
تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[المائدة:١٠١].

٧ . ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ
كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء:٤٤] .

٨ . ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[الحج:٥٩].

٩ . ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن
تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا
﴿٥١﴾ ﴾[الأحزاب:٥١].

١٠ . ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر:٤١] .

١١ . ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[التغابن:١٧] .

ب ـ ووردت مرتين في إبراهيم عليه السلام:

١ . ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة:١١٤] .

٢ . ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود:٧٥] .

ج ـ ووردت مرة في إسماعيل عليه السلام عند البشارة به في قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات:١٠١] .

د ـ ووردت مرة على لسان قوم شعيب الذين كانوا يستهزئون به في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود:٨٧] .

والحليم لا يأتي إلا بخير وهو السمت في الخُلُق العربي، فالتزكية ربع المهمة المحمدية لأنّ عليه يقوم الأمر كله، والرسول ﷺ يقول: «**إنما بُعثت لأتمِّمَ مكارم الأخلاق**» فكأنّ هذه المهمة هي المهمة الرئيسة للرسول ﷺ . وكما أنّ الأشياء توزن والأطوال تُقاس فإن وحدة قياس الأخلاق هي خُلُق رسول الله ﷺ؛ لأنه هو المثال البشري المتفوق هيّأه تفوقه أنْ يعيش واحداً فوق الجميع فعاش واحداً بين الجميع.

ونلاحظ في القرآن الكريم أنه عند البشارة بإسماعيل عليه السلام جاءت بقوله تعالى: ﴿ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات:١٠١] فإسماعيل جدّ العرب حليم، فكأنّ الحلم يتصف به جد العرب، والحِلم كله خير ولا يأتي إلا بخير "كاد الحليم أن يكون نبياً".

وفي البشارة بإسحق جدّ اليهود كانت البشارة ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات:٢٨] فكأنّ العلم يتّصف به جدّ اليهود.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٥ ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ وتأتي في آيات أخرى ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فما دلالة كل من التعبيرين في الاختيار القرآني ؟

الجواب:

١ـ وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٢٥] أو ﴿حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤] في القرآن الكريم في ٦ مواضع هي الآيات: [البقرة ٢٢٥ـ البقرة ٢٣٥ـ آل عمران ١٥٥ـ المائدة ١٠١ـ الإسراء ٤٤ـ فاطر ٤١] بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ أو ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء:٢٣] في ٦٤ موضعاً.

٢ـ الحلم هو الأناة والتعقل، والحليم من أسماء الله الحسنى بمعنى تأخير العقوبة عن بعض المستحقين ثم يعذبهم وقد يتجاوز عنهم .

وكلمة (حليم) في الآيات المذكورة أعلاه لا يؤخذ منها التبشير بالرحمة؛ لأنها لو كانت كذلك لجاءت (غفور رحيم)، وإنما جاءت ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ كتهديد بالعذاب لمن لا يرتدع ويتجاوز الحد .

٣ـ ومعنى الآية ٢٣٥ من سورة البقرة: أنه لا يغرنك أيها الزوج حلم الله تعالى عليك فتتمادى في ظلم زوجتك، فإنّ الله مطلع عليك ولا ينسى عملك، وتذكر أنه إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

ولو تأملنا في كل الآيات التي خُتمت بقوله تعالى ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ نجد أنّ السياق فيها كان تحذيراً للذي لا يرتدع عن تجاوز حدود الله تعالى ولا يخاف بطشه سبحانه .

كما نلاحظ في الآية ٢٣٥ من سورة البقرة: أنّ الأفعال جاءت فيها بالمضارع؛ ليدل على أن هذه الأمور متجددة الحصول وقد نقع فيها فلننتبه، وهذه الأفعال هي:[تذكرونهن ـ تواعدوهن ـ تقولوا ـ تعزموا ـ يبلغ ـ يعلم ـ احذروه].

❁❁❁❁

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الإيلاء أريد به الحلف، فلِمَ قال تعالى: ﴿يُؤْلُونَ﴾ ولم يقل: (يحلفون) أو (يقسمون)؟

الجواب:

لأنّ الإيلاء هو حلف ويمين، ولكنه يقتضي التقصير في حق المحلوف عليه، وهو مشتق من الألو وهو التقصير، والإيلاء فيه إجحاف وتقصير في حق المرأة التي حلف زوجها أنْ لا يقربها.

السؤال الثاني:

لِمَ عدّى الفعل ﴿يُؤْلُونَ﴾ بـ (من) فقال: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ فلِمَ لمْ يقل: (يؤلون على نسائهم)؟

الجواب:

لأنّ الله سبحانه وتعالى أراد أنْ يضعك في صورة مشهد هذا اليمين، فالرجل حلف أنْ يبتعد عن زوجه؛ ولذلك عدّى الفعل (يؤلون) بحرف جرٍّ يناسب البُعد وهو (من)، وتفهم معنى الابتعاد فكأنه قال: للذين يؤلون متباعدين عن نسائهم.

السؤال الثالث:

ما المعنى العام للآية ؟

الجواب:

١ـ الإيلاء مثل اليمين أو القسم أو الحلف، ويقصد صاحبها يمينا على ترك الوطء والمجامعة لزوجته.

وقد كان الإيلاء في الجاهلية طلاقاً، ثم إنّ أهل الإسلام فعلوا ذلك فأزال الله تعالى ذلك وأمهل الزوج مدة أربعة أشهر ليتروى ويتأمل، فإنْ رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وإلا فارق المرأة.

٢ـ قال: ﴿مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾وفيها معنى البعد، فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ أي: إنْ رجعوا، فالفيء هو رجوع الشيء إلى ما كان عليه من قبل، ولهذا قيل لما تنسخه الشمس من الظل ثم يعود: فيءٌ.

ولذلك معنى ﴿فَإِن فَآءُو﴾أي: رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماع نسائهم.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (زوج) و(بعل) ؟

الجواب:

١ـ البعل: هو الذكر من الزوجين، ويُقال: زوج للأنثى والذكر، والبعل في الأصل من الاستعلاء، يعني: السيد القائم المشرف، وبعل المرأة: سيِّدُها، وسُمِّيَ كلُّ مستعلٍ على غيره بعلاً كما في قوله تعالى في آية الصافات: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٢٥) ﴾ [الصافات:١٢٥] ؛ لأنهم يعتبرونه سيدهم المستعلي عليهم، وسميت الأرض المستعلية: بعلاً.

٢ـ بعل: اسم علم لصنم من ذهب كانوا يعبدونه كمناة وهبل، وكان في مدينة بعلبك في لبنان، ولربما اشتق اسمها من اسمه.

٣ـ الزوج: هو للمواكبة؛ ولذلك تطلق على الرجل والمرأة؛ هي زوجه وهو زوجها، انظر الآيات:[البقرة ٣٥ـ الصافات ٢٢ـ النور ٣١].

٤ـ ولذلك قيل: إنه في القرآن لا يقال (زوجة) إلا إذا كانت مماثلة له.

شواهد قرانية:

آ ـ امرأة فرعون: لم يقل زوج فرعون؛ لأنها ليست مماثلة له، فذكر الجنس: امرأة.

ب ـ امرأة لوط، امرأة نوح؛ لأنها كانت مخالفة له هو مسلم وهي كافرة، فذكر الجنس: امرأة.

بينما قال الله في آية الأحزاب ٦: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ لأنهن فيهن مماثلة فهن على طريقه، وهن جميعاً مؤمنات وأزواجه في الدنيا والآخرة .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ فجاء بـ (الذي) وفي آية البقرة ٢٢٩، قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ فجاء بـ (ما) فما الفرق ؟

الجواب:

١ـ القاعدة أنّ (الذي) أخص من (ما).

٢ـ آية البقرة ٢٢٨ جاء بـ (الذي) ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ وهي معلومة في حقوق النساء وواجباتهن .

وأما آية البقرة ٢٢٩ فجاء بـ (ما) ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ [البقرة:٢٢٩] ؛ لأنّ ذلك في المهر، وهو غير محدد ولا معلوم.

فجاء للمحدد المعلوم بـ (الذي)، ولما هو عام بـ (ما).

السؤال الثالث:

ما الحكمة في جعل (المطلقات) مبتدأ وجملة (يتربصن) هي الخبر؟ ولِمَ لم يجعل الجملة فعلية فيقول (يتربصن المطلقات)؟

الجواب:

إذا قدمت الاسم فهذا يفيد من التوكيد والقوة ما لا يفيده تأخيره، فقولك: زيدٌ فعل، أقوى من قولك: فعل زيدٌ؛ لأنّ الأول يخصص الفاعل بذلك الفعل وتقديم ذكر المحدث عنه.

السؤال الرابع:

لماذا قيل: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ وما الفائدة بذكر الأنفس ؟

الجواب:

في ذكر(الأنفس) تهييجٌ لهن على التربص؛ وذلك لأنّ أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأراد أنْ يقمعن أنفسهن ويغلبنها ويجبرنها على التربص.

السؤال الخامس:

هل (القروء) جمع كثرة أم جمع قلة ؟

الجواب:

(القروء) جمع كثرة مع أنّ المراد ثلاثة وهي قليلة، ولعلّ السبب أنّ (القروء) أكثر استعمالاً عند العرب من (الأقراء).

السؤال السادس:

لِمَ لمْ يقل: ثلاث قروء، كما يقال: ثلاث حيضات ؟

الجواب:

لأنه اتبع تذكير اللفظ، ولفظ (القروء) مذكر.

السؤال السابع:

ماذا تفيد الآية ؟

الجواب:

الآية تفيد وجوب العدة للطلاق، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ لِمَ لمْ يقل: مالاً؟

الجواب:

وردت كلمة (شيء) نكرة، وهو لفظ عميق الدلالة على النكرة، فدلّ استعمال كلمة ﴿شَيۡـًٔا﴾ على تحذير الأزواج من أخذ أقل القليل، بخلاف لفظ (المال) فإنه يحذره من أخذ المال ويسمح له بأخذ ما سواه.

السؤال الثاني:

شبّه الله تعالى أوامره بالحدود، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

قوله تعالى في الآية: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ انظر كيف شبه الله سبحانه وتعالى أوامره بالحدود؛ لأنّ (الحد) هو الفاصل بين أملاك الناس، وكذلك أحكام الله تعالى هي الفاصلة بين الحلال والحرام والحق والباطل.

والقاعدة أنّ الله تعالى يستعمل ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[البقرة:١٨٧] في النواهي كما في آية البقرة ١٨٧، ويستعمل ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة:٢٢٩] مع الأوامر كما في هذه الآية .

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ جاءت بالصيغة الاسمية، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٩: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ جاء بالطلقة الثالثة بالرفع؛ وذلك لأنها الطلقة الأخيرة والحكم معها يكون على وجه الدوام، وهو إمّا الإمساك بالمعروف أو التسريح الذي لا رجعة فيه؛ لذلك لم يقلها بالنصب؛ وذلك لأنّ النصب موقوت، فناسب الصيغة الاسمية التي تدل على الثبات والدوام .

٢ ـ ولذلك في سورة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[محمد:٤] جاء بـ ﴿فَضَرْبَ﴾ [محمد:٤] منصوباً وذلك على تقدير الفعل، أي: فاضربوا ضربَ، ولم يأت

بالرفع وذلك لأنه موقوت بالمعركة وليس أمراً دائماً، فجاء بالصيغة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد .

السؤال الرابع:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٢٨: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فجاء بـ الذي، وفي آية البقرة ٢٢٩ قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾فجاء بـ (ما). فما الفرق ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٨.

السؤال الخامس:

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾. ما الحد؟ وما الكلمات التي جاءت شبيهة بهذه الكلمة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

الحد:

هو الطرف الذي يميزالشيء عن غيره فلا يختلط به؛ كحد الأرض.

شواهد قرآنية:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة:٢٢٩] .

الطَّرَف:

بداية الشيء ونهايته ولا يمكن فصله عنه.

شواهد قرآنية:

﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾[طه:١٣٠] .

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾[الأنبياء:٤٤] .

الحَرف:

طرف الشيء العالي المُدبَّب وهو حادٌّ كالسكين يصعب الوقوف عليه، وإن وقفت يصعب التماسك وتتعرض للسقوط .

شواهد قرآنية:

﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[الحج:١١] .

الرجـــا: وجمعها أرجاء، الرجا عكس الحرف، بالمعنى فهو واسع يمكن الجلوس عليه أو تبني فيه.

شواهد قرآنية:

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾[الحاقة:١٧]، فالملائكة حول العرش في غاية الراحة والسعة.

الحافـــة:

مانع يمنعك من السقوط على الطرف .

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما طريقة الاستعمال القرآني لفعل الشرط ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٩١.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ﴾ استعمل (إنْ) ولم يؤكد، فلماذا لم يؤكد الموضوع ؟

الجواب:

لم يؤكد في الآية بـ (إنّ) المؤكدة؛ لأنه ليس المقصود بالظن ههنا اليقين وإنما الرجحان فقط.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما هو الفرق بين (استهزأ بـ)، و(سخر من)؟

الجواب:

١ـ الاستهزاء أعم من السخرية، والسخرية خاصة بالأشخاص ولم ترد في القرآن إلا للأشخاص، أما الاستهزاء فعامٌّ، ورد في الأشخاص وغير الأشخاص.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة:٥٨] الصلاة ليست شخصاً، وإنما أقاويل وأفاعيل .

ـ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾[البقرة:٢٣١] .

ـ ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥] إذن الاستهزاء عام في الأشخاص وفي غير الأشخاص .

٢ـ أمّا السخرية ففي الأشخاص تحديداً ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص كقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨﴾[هود:٣٨].

إذن الاستهزاء عام، ومعنى الاستهزاء هو السخرية، هم يقولون: المزاح في خفية وهو جانب من السخرية.

❀❀❀❀

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٣٢﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾[البقرة:٢٣٢] استعمل (العضل) بمعنى المنع والحبس، وهو لفظ أغرب بالدلالة من المنع، فما سبب اختيار هذه الكلمة؟

الجواب:

إنّ المنع قد يحتمل أمرين: منعٌ بحقٍّ ومنعٌ بغير حَقٍّ، أمّا العضل فهو منع ولكنه دون حق أو إصلاح . فنهى الوليّ عن منع المرأة في العودة إلى زوجها دون وجه إصلاح، لذا كان اختيار كلمة تعضُلوهن دون تمنَعوهن.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿ذَٰلِكُمْ﴾ في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ الكاف في ﴿ذَٰلِكَ﴾ حرف خطاب، وحرف الخطاب في (ذلك) و(تلك) و(أولئك) قد يطابق المخاطب: نحو: ذلك، ذلكما، ذلكنّ حسب نوع المخاطب المشار إليه.

٢ـ حرف الخطاب في اسم الإشارة فيه لغتان، وكلاهما جائز لغوياً:

آ- أنه يجعل مطابقاً للمخاطب إذا كان مفرداً أو مفردة أو مثنى أو جمع ذكور أو إناث.

ب- ولك أن تجعله بلفظ واحد وهو الإفراد والتذكير أياً كان المخاطَب

٣ـ لكن يبقى: كيف استعملها القرآن بيانياً؟

والجواب: أنه مرة يستعملها مفرداً ومرة يستعملها جمعاً. فلماذا؟

هنالك أسباب عدّة لهذا الأمر من جملتها:

آـ أنّ يكون في مقام التوسع والإطالة في التعبير وزيادة التفصيل، فيأتي بالحرف مناسباً؛ لأنّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أكثر من ﴿ذَٰلِكَ﴾ من حيث الحروف، وإذا كان في مقام الإيجاز يأتي بكل ما في الإيجاز لغة .

شواهد قرآنية: قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فيها تفصيل فقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فجمع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ حتى تتلاءم مع ما قبلها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾[النحل:١٢] لأنّ المقام مقام إيجاز.

ب ـ في مقام التوكيد يأتي بما هو أكثر توكيداً فيجمع، وإذا كان أقل توكيداً يُفرِد.

شواهد قرآنية: قوله تعالى في الآيتين:

ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾ [البقرة:٢٣٢] هذا حُكم في الطلاق، قال: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾[المجادلة:١٢] المجادلة قال ﴿ذَٰلِكَ﴾[المجادلة:١٢].

لكن أيُّ الحُكمين آكد وأدوم؟ بالطبع الطلاق آكد وأدوم؛ لأنه حكم عام إلى قيام الساعة يشمل جميع المسلمين ،أمّا الآية الثانية فهي للأغنياء ثم ما لبث أياماً قليلة ونسخ الحكم، حيث قال تعالى: ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المجادلة:١٣]، فالآية الأولى آكد والحكم فيها عام مستمر، أمّا الثانية فالحكم متعلق بجماعة من المسلمين ثم ألغي، فالآية الأولى آكد فقال: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ ومع الأقل قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ .

وبشكل عام إذا كان عندنا مجموعتان إحداهما أوسع من الأخرى يستعمل للأوسع ضمير الجمع وللأقل ضمير الإفراد.

السؤال الثالث:

قال في آية البقرة ٢٣٢: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ وفي آية الطلاق ٢: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [الطلاق:٢] فلماذا؟

الجواب:

١ـ في آية البقرة حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ فالخطاب للنبي ﷺ وقُدِّمَ تشريفاً له، ثم عمَّم، فقال: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ [البقرة:٢٣٢] .

وفي آية الطلاق: الخطابِ له وللأُمَّةِ جميعاً، وقدّم تشريفَه بالنداءِ لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١].

٢ـ في اللغة العربية جائز توحيد الكاف ﴿ذَٰلِكَ﴾ وجائز التثنية، والقرآن جاء بالحالتين:

أمثلة قرآنية:

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٣٧].

﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ [يوسف:٣٢].

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ
وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا
عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ بالجمع و﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ بالإفراد في آية سورة البقرة؟

الجواب:

١ـ حُكماً أنّ المولود للآباء والأب مولود له؛ لأنّ الولد يُنسَبُ للأبِ، فهو له وليس للأم،، والأب هو المسؤول عنه والذي يتكفله ويرعاه، فهو ليس مولوداً للأمِّ، وإنما مولودٌ للأب، فالأمُّ والدةٌ والأبُ مولود له.

٢ـ الأمر الآخر محتملٌ أنْ يكون للمولودِ له أكثرُ من زوجةٍ، فقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ بالجمع لتشمل كل الزوجات، وقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ خاصة بواحدة من الزوجات.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ بدون (على) كما في تتمة الآية ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

قال تعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ ولم يقل: (على الوالدات)؛ لأنهن لسن مكلَّفاتٍ بإرضاعِ الولدِ فيُمكِنُ لهن ألا يُرضعن أولادهن أو أنْ يأتين بمرضعةٍ، وهن لسن مكلَّفات شرعاً بإرضاع الولد، لكنه تعالى قال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ لأن هذا واجب الأبِ، فجمع سبحانه البيان والشرع والحكم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ لِمَ لم يقل: (على الوالد رزقهنّ)؟

الجواب:

في هذا إيحاء للأب وتذكيرٌ له بأنّ هذا الولد لك، وهذه المنافع التي تقدمها لزوجك المطلَّقة منجرّةٌ إليه، وهذا الطفل مآله إليك، فأنت الأجدر لإعاشته ولتهيييءِ أسباب الحياة الكريمة له ولأمه.

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ لِمَ لمْ يقل: ولا (والد بولده) بدل (ولا مولود له بولده) ؟

الجواب:

الرجل المولود له يُنسب إليه الولد ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ هو ابنه استحقاقاً ويُدعى باسم أبيه وينسب له ويلتحق به في النسب له، أمّا الوالد فهو مثل والده لكنْ يختلف الحكم الشرعى، واللام في ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ هذه لام الاستحقاق.

ولو قال: (لا تضار والدة بولدها ولا والد بولده) يكون الحكم واحداً، بينما ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ هذا حكم آخر.

هو ولِد له حكماً وشرعاً وعرفاً فينتسب لأبيه ويلتحق بأبيه (وَلِدَ له)، ولو قال: ولا والد بولده، لصار الحكم واحداً، فلما تغير الحكم تغيرت الصيغة .

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الحول والسنة والعام والحِجَجِ ؟

الجواب:

أشهر ما قيل فيها:

١ـ السَّنَةُ: تستعمل للقحط، والعام: للخصب والرخاء.

شواهد قرآنية:

الأعراف ١٣٠ بمعنى (حتى).قيل: أسنَّت الناسُ، أي: أصابهم القحط.

يوسف ٤٩ بمعنى الخصب والرخاء.

العنكبوت ١٤ (ألف سنة) فيها شدة، وارتاح خمسين سنة.

٢ـ الحول: هو من التحول وانقلاب الشمس وحدوث صيف وشتاء، ولمّا صار صيفاً وشتاء صار حولاً، واستعمله القرآن في الطلاق والموت فقط، فالموت حاجز والطلاق حاجز.

شواهد قرآنية:

البقرة ٢٤٠ السياق في الموت.

البقرة ٢٣٣ السياق في المطلقات، والطلاق تحول في الحياة، ومن غرائب الدقة والاستعمال أنّ الحياة تحولت، هذه أصبحت مطلقة والأخرى توفي عنها زوجها فصار تحولاً في الحياة (حولين كاملين)، و(فصاله في عامين).

لقمان ١٤: لم يقل عامَينِ؛ لأنّ الموت تحوُّل في الحياة.

٣ـ الحِجَجُ، الحِجَّةُ: بمعنى السنةِ، والحَجُّ يأتي مرة في السنة، فيأتي الحاجُّ لزيارة البيت الحرام ويقوم بمناسك معينة ثم يعود الزائر إلى بيته .

وموسى عليه السلام التجأ إلى مدين زائراً وليس للإقامة فيها، ثم عاد بعد سنوات، ولذلك ناسب لفظ (حجج)، ولا تدل كلمة سنة أو عام على الزيارة، (القصص ٢٧).

السؤال السادس:

ما الفرق بين ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ و ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٥٨ .

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ما دلالة إضافة الأجل إلى النساء؟

الجواب:

انظر أخي المؤمن كيف أضاف ربنا تعالى (الأجل) إلى النساء المعتدّات، فقال: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ولم يقل: (إذا بلغن الأجل) إيحاءً بأنّ مشقة هذا الأجل واقعة على المعتدّات، فهن الصابرات والمتعبدات بترك الزينة والتزام بيت الزوجية وفي هذا مشقة؛ ولذلك أضاف الأجل إليهن لإزالة ما عسى أنْ يكون قد بقي في نفوس الناس من استفظاع تسرّع النساء إلى التزوج بعد عدّة الوفاة؛ لأنّ أهل الزوج المتوفى قد يتحرجون من ذلك، فنفى الله تعالى هذا الحرج.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ بصيغة المبني للمجهول، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الفعل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ من الأفعال التي التزمت العرب فيها البناء للمجهول، فنقول: تُوُفِّيَ فلانٌ، ولا نقول تَوَفَّى فلانٌ، وقد حدث ذات يوم أنّ علياً رضي

الله عنه كان يشيع جنازة فقال له قائل: من المتوفِّي؟ بلفظ اسم الفاعل سائلاً عن المُتَوَفَّى، فأجاب عليٌّ بقوله: (الله) ولم يجبه كما يقصد بأنه مات فلان؛ لِيُنَبِّهه على خطئه.

السؤال الثالث:

افتتحت الآيتان (٢٣٤) و (٢٤٠) في سورة البقرة بنفس العبارة ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾فما الفرق بين ختامي الآيتين مع أنهما تتحدثان عن المتوفى عنها زوجها؟

الجواب:

منطوق الآيتين يوضِّح الأمر:

١ ـ الآية الأولى ٢٣٤ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني خبير بما شرع ويعلم وجه الحكمة في اختيار التوقيت، ويتبين الحمل بعد أربعة أشهر كما في الحديث: « **يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفةً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح**».

وربنا يعلم سبب اختيار التوقيت ولماذا اختار الخبير هذا التوقيت، وهذا يحتاج إلى خبرة ومعرفة حتى يعطي الحكم لماذا أربعة أشهر وعشراً، ويحتاج أيضاً إلى خبرة في المجتمع، لكن هل يعني ذلك أنْ تبقى المرأة هكذا؟

والجواب أنه بعد العدة إذا أرادت أنْ تخرج المرأة فلا بأس؛ لأنّ بقاءها قد يكون فيه فتنة، أو فيه أمر نفسي، أو فيه شيء.

ولذلك مضمون الآية ٢٣٤ هو الوصية للمرأة بأنْ تتربص بنفسها أربعة أشهر وعشرة أيام، وهذه هي عدة المتوفى عنها زوجها .

٢ـ الآية الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة:٢٤٠] في هذه الآية وصّى ربنا الأزواج بألا يُخرجوا أزواجهن من بيوتهم، وهي وصية لمن يتولى الأمر لأنّ الأزواج قد ماتوا، فتبقى المرأة في البيت، وقد يقولون لها: أُخرجي من البيت لأنّ زوجك مات وخرج فينبغي أنْ تخرجي أنتِ. والقرآن يقول: لا، إياكم ألا تراعوا هذه الوصية، ويمكن أنْ يحدث أنّ أهل المتوفى يريدون أنْ ينتفعوا من البيت.

فمضمون الآية الثانية الوصية لأهل المتوفى بألا تُخرج المرأة من مسكنها، وإنما تخرج بنفسها ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ [الطلاق:١] أي: لا تجبر على الخروج ولا تُخرج من البيت قسراً ولها أنْ تبقى إلى الحول، وربنا عزيز ينتقم ممن خالف هذا الأمر.

٣ـ فالمسألة في الآية الأولى متعلقة بالمرأة، والثانية متعلقة بمن يُخرج المرأة، فلمّا كان الحكم متعلقاً بالمرأة كان هذا يحتاج إلى خبرة، فقال: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ وأمّا الآية الثانية فقال: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ كأنه تهديد لمن يخرج المرأة فينتقم الله ممن خالف الوصية .

و(حكيم) تشمل الحُكم والحِكمة، وهي بمثابة ردع وتحذير لمن يحاول أن يُخرج المرأة، فإذا كنت تحكم هذه المرأة فاعلم أنّ الله عزيز حكيم، فالآية الثانية تهديد لمن يخرج المرأة، أما ما يتعلق بحمل المرأة واستبراء الرحم فيحتاج إلى خبرة.

ولذلك وإن تشابهت الآيتان فإنّ السياق مختلف . والله أعلم .

السؤال الرابع:

ما إعراب كلمة ﴿وَصِيَّةً﴾ في الآية ؟

الجواب:

كلمة ﴿وَصِيَّةً﴾ في الآية مفعول مطلق بمعنى: يوصي وصية.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية البقرة ٢٣٤ ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وآية البقرة ٢٤٠ ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾؟

الجواب:

يجب أنْ نلاحظ دلالة التعريف والتنكير، فالمعرفة في اللغة: هي ما دلّ على شيء معين، والنكرة: ما دلّ على شيء غير معيّن.

١ـ في الآية الأولى قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] و(المعروف) في الآية يقصد به الزواج بالذات؛ لأنّ الآية بعدها ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن

﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)﴾ [البقرة:٢٣٥] .

فلمّا جاء بالزواج جاء بالباء ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهي الدالّة على المصاحبة والإلصاق، وهذا هو مفهوم الزواج بمعناه المصاحبة والإلصاق.

٢ـ أمّا الآية الثانية فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ [البقرة:٢٤٠] فهي عامة ويقصد بـ ﴿مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة:٢٤٠] هنا كل ما يُباح لها.

السؤال السادس:

ختمت الآية ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)﴾ فما دلالة تقديم العمل على الخبرة الإلهية؟

الجواب:

١ـ هنالك قاعدة استنبطت مما ورد في القرآن الكريم:

آـ إذا كان السياق في عمل الإنسان قدّم عمله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)﴾ [البقرة:٢٣٤].

ب ـ أمّا لو كان السياق في غير العمل أو كان في الأمور القلبية أو كان الكلام عن الله سبحانه وتعالى قدّم صفة الله (خبير): ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)﴾ [آل عمران:١٥٣].

شواهد قرآنية: على تقديم العمل:

ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)﴾ [البقرة:٢٧١] هذا عمل، فلما ذكر عمل الإنسان قدّم عمله فقال: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)﴾ [البقرة:٢٧١] .

ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد:١٠] هذا عمل قتال وإنفاق، فلما ذكر عمل الإنسان قدّم عمله. فقال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد:١٠] .

ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] هذا عمل فقدّم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤] .

ـ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن:٧-٨] هذا عمل أيضاً.

شواهد قرآنية: على تقديم الخبرة

ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨] هذا ليس عمل الإنسان فقدّم الخبرة على العمل وقال: ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨].

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨] أمر قلبي غير ظاهر.

٢ـ هذا على وجه العموم، فإذا كان الأمر في عمل الإنسان قدّم العمل، وإذا كان في غير عمل الإنسان أو في الأمور القلبية أو عن الكلام عن الله سبحانه وتعالى قدّم (خبير).

والعرب كانت تعي هذه المعاني وتلك القواعد البلاغية، والبليغ هو الذي يراعي صوغ العبارة ويتفنن في مراعاة البلاغة، والعرب كانوا يتفاوتون في البلاغة، لكنهم كلهم كانوا يتكلمون كلاماً فصيحاً من حيث صحة الكلام، حتى كلام المجانين عندهم؛ لأنّ المجانين يتكلمون بلغة قومهم ويستشهدون بأشعار المجانين؛ لأنّ كلامهم يجري على نسق اللغة، قال ﷺ: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**».

السؤال السابع:

هل كانت هناك عدة للمرأة قبل الإسلام ؟

الجواب:

كان الرجل إذا مات عن امرأة أنفق عليها من ماله حولاً وهي في عِدَّته ما لم تخرج، فإنْ خرجت انقضت العدة ولا شيء لها، ثم نسخ الله هذا الحكم بآية البقرة رقم ٢٣٤، فصارت أربعة الأشهر والعشر ناسخة للحول، والله أعلم.

السؤال الثامن:

وردت كلمة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ في الآية، فما الفرق بين الزوج والبعل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣٥.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)﴾

السؤال الأول:

لم قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٥] ولم يقل: ولا تعقدوا النكاح؛ حتى يكون اللفظ صريحاً في النهي عن العقد؟

الجواب:

أراد ربنا سبحانه وتعالى أنْ يبين حرمة نكاح المعتدة أثناء عدتها بقوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ . وفي هذه الآية نهي عن عقد دون عزم؛ لأنّ العزم يدل على التصميم، وإذا ما نُهي المؤمن عن التصميم والإرادة كان هذا النهي أبلغ من نهي العمل وهو (ولا تعقدوا) .

والمرء إذا صمم على أمرٍ ما نفّذه، ولذلك كان النهي عن العزم أبلغ في النهي عن المعزوم عليه، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾ [البقرة:١٨٧] فقد نُهي عن القرب؛ لأنه أبلغ من النهي عن الوقوع في المحظور.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال كلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ بعد ﴿غَفُورٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

آـ لم نعتد كثيراً في القرآن الكريم على لفظ ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وإنما الوارد على الأكثر في القرآن صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فقد وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ في القرآن في ٦ مواضع فقط، بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ ٦٤ مرة في القرآن.

أما الآيات التي جاءت فيها صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فهي:

١. ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٢٥].

٢. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة:٢٣٥].

٣. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران:١٥٥].

٤. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة:١٠١].

٥. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

٦ . ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر:٤١] .

ب ـ الحليم: الحِلمُ لغويا: الأناة والتعقل، والحليم هو الذى لا يسارع بالعقوبة، بل يتجاوز الزلات ويعفو عن السيئات، و(الحليم) من أسماء الله الحسنى بمعنى: يؤخر العقوبة عن بعض المستحقين ثم يعذبهم، وقد يتجاوز عنهم، وقد يعجل العقوبة لبعض منهم .

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر:٤٥] . وقال تعالى عن سيدنا إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ ﴾[هود:٧٥]، وعن إسماعيل ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾[الصافات:١٠١] .

وروى أنّ إبراهيم عليه السلام رأى رجلا مشتغلا بمعصية فقال: (اللهم أهلكه) فهلك، ثم رأى ثانياً وثالثاً فدعا فهلكوا، فرأى رابعاً فهمّ بالدعاء عليه، فأوحى الله اليه: (قف يا إبراهيم، فلو أهلكنا كل عبد عصى ما بقى إلا القليل، ولكن إذا عصى أمهلناه، فإن تاب قبلناه، وإنْ أصرّ أخرنا العقاب عنه، لعلمنا أنه لا يخرج عن ملكنا) .

ج ـ وإذا أخذنا الآية ٢٣٥ من سورة البقرة ورجعنا إلى سياق الآيات نجد أنّ الله تعالى يُحذّر من بعض التجاوزات التي تحصل في الحياة الزوجية، وقد ينتهي الأمر إلى الطلاق، وقد يكون هناك أولاد. ولو عجّل الله تعالى العقوبة لأصحاب الذنوب ما بقي من الناس أحد، ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾ ﴾[فاطر:٤٥]

فالله تعالى يؤخّر العقوبة من باب الحِلم، وهو صفة من صفاته سبحانه وتعالى، ومن أسمائه تعالى الحليم لأنه يُعطي الفرصة لإصلاح الأوضاع، وقد يكون قد حصل بعض التقصير أو بعض الذنوب بين الناس فتسوء أخلاقهم وتضعف ضمائرهم، والله تعالى سبحانه يعطي الناس فرصة للعودة عما حصل منهم.

د ـ والمقصود من قوله تعالى في هذه الآية: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ أنه لا يغرَّنّك أيها الزوج حِلمُ الله تعالى عليك فتتمادى في البطش بزوجتك وبما يحلم الله تعالى عليك، فإنه لا ينسى عملك: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ فكلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ هنا جاءت كتهديد بالعذاب، ولا يؤخذ من كلمة ﴿حَلِيمٌ﴾ هنا التبشير بالرحمة؛ لأنها لو كانت كذلك لجاءت بصيغة (غفور رحيم).

هـ ـ ونلاحظ أنّ المولى تعالى في الآية ٢٣٥ من سورة البقرة والتي ختمت بقوله تعالى ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ يأتي فيها بالأفعال المضارعة، وهذا ليدل على أنّ هذه الأمور متجددة الحصول، ونحن نقع فيها والبعض عليها الآن ﴿سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ ﴿تَقُولُواْ﴾ ﴿تَعۡزِمُواْ﴾ ﴿يَبۡلُغَ﴾ ﴿يَعۡلَمُ﴾ ﴿فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾.

ولو تأملنا في كل الآيات التي خُتمت بقوله تعالى ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ نجد أن السياق فيها كان تحذيراً للذي لا يرتدع عن تجاوز حدود الله تعالى، ولا يخاف بطشه سبحانه وتعالى.

السؤال الثالث:

ما أهم الدروس في الآية ؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يجعل للعواطف تنفيساً، والتنفيس ليس مجرد تعبير عن العاطفة ولكنه رعاية للمصلحة، وكأنّ الحق يقول لنا: (أنا أمنعكم أنْ تخطبوا النساء في العدة أو تقولوا كلاماً صريحاً ولكن لا مانع من التلميح من بعيد) .

٢ـ يقول الحق: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: أنّ الله يعلم أنّ تلك المرأة التي مات زوجها عنها أو طلقها فقد أصبحت أملاً بالنسبة لك، فلو أنه ضيق عليك لعوّق عواطفك ولضاعت منك الفرصة لأن تتخذها زوجة، لذلك أباح التعريض: ﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ فالمواعدة بالسر أمر منهي عنه، أو يقول لها: تزوجيني، لكنّ المسموح به التعريض بأدب كالثناء وغيره، والمرأة تملك شفافية وألمعية تلتقط بها معنى الكلام ومراده.

٣ـ ولا يصح العزم على الزواج إلا بعد انتهاء العدة، ومعنى العزم: أنْ تفكر في المسألة في نفسك حتى تستقر على رأي أكيد، ثم لك أنْ تقبل على الزواج على أنه أمر له ديمومة وبقاء لا شهوة طارئة.

لذلك الزواج القائم على غير روية والمعلق على أسباب مؤقتة كقضاء الشهوة لا يستمر ولا ينجح.

والذين يبيحون زواج المتعة مصابون في تفكيرهم؛ لأنهم يتناسون عنصر الديمومة في الزواج، والنكاح الأصيل لا يُقيَّد بمدة، والأصل فيه العمر كله، لذلك فنكاح المتعة ليست مسألة زواج وإنما المسألة هي تبرير زنى .

٤ ـ لذلك فعقدة النكاح تمر بثلاث مراحل تعطي للطرفين فرصته للتفكير العميق:

آـ التعريض أو التلميح.

ب ـ العزم الذي لا يصح إلا بعد انتهاء فترة العدة.

ج ـ العقد.

❁❁❁❁

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ و ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ في آيتي البقرة ٢٣٦ و٢٤١ على الترتيب ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى هي في حالة المرأة المعقود عليها وطُلّقت قبل أنْ يتم الدخول بها أو لم تُفرض لها فريضة، أي: لم يحدد مهرها . أمّا الآية الثانية فهي في حالة المرأة التي عُقد عليه ثم طُلّقت وقد تم الدخول بها.

٢ـ ففي الحالة الأولى الرجلُ طلَّقَ المرأةَ لكنه لم يدخل بها ولم يستفد منها أو يتمتّع بها ولم يحصل بينهما مسيس، فعندما يدفع النفقة يكون هذا من باب الإحسان، والقرآن الكريم لم يحدد القدر بل تركه مفتوحاً كلٌّ حسب سعته، لذا خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة:٢٣٦] .

بينما لو دخل عليها واختلى بها وحدث المسيس وخدمته وأسعدته ثم طلّقها فيدفع لها، ولو لم يدفع لها سيدخل النار، لذا ختمت الآية بـ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:٢٤١] أي (الذين يتّقون العذاب يوم القيامة).

السؤال الثاني:

ماذا تعني كلمة ﴿حَقًّا﴾ في الآية ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة:٢٣٦]؟ وما إعراب: ﴿حَقًّا﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿حَقًّا﴾ تعني حقًّا حقَّقه القرآن للمرأة وليس لأحد أنْ يتجاوزه، ولا تقول المرأة لا أريده إنما تأخذه وتتصدق به إنْ شاءت.

٢ـ و(حقاً) هنا في الآيتين ٢٣٦و ٢٤١ تفيد توكيد مضمون الجملة؛ لأنه تعالى لمّا أمر بالتمتيع وهو إعطاء قسم من المال للمرأة المطلقة على حسب الأحوال في الغنى والفقر، أراد أنْ يبين أنّ ذلك حق لهن، فأكده بقوله ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ و ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾

٣ـ حقاً: مفعول مطلق منصوب.

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء فعل الشرط في هذه الآية ٢٣٧ بصيغة الماضي ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ وكذلك في آية البقرة ٢٣٠. فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ التعبير بفعل الشرط بالفعل الماضي قد يفيد افتراض حصول الحدث مرة واحدة أو قليلاً، بينما الفعل المضارع يفيد تكرر الحدث وتجدده.

٢ـ لذلك جاء بصيغة الماضي مع أحوال الطلاق؛ لأنّ الطلاق لا يتكرر كثيراً كتكرر الصدقة حيث قال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ وفي آية ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[البقرة:٢٧١] بصيغة الفعل المضارع.

السؤال الثاني:

مامعنى ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ هذه الآية في حالة طلاق الرجل للمرأة المعقود عليها، لكنه لم يتم المسيس بها وحُدد مهرها فلها نصف المهر المسمّى، وهناك استثناء وهو أنْ تعفو المرأة ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾[البقرة:٢٣٧].

٢ـ أما قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ﴾ [البقرة:٢٣٧] فاختلف فيها المفسرون، فقال بعضهم: إنّ الذي بيده عقدة النكاح هو وليّ المرأة، وأمّا البعض الآخر فقال: إنّ الذي بيده عقدة النكاح هو الرجل المطلّق، وهذا يوازن المعنى في الآية أكثر؛ لأنّ الزوج هوالذي بيده عقدة النكاح (وبدون إيجاب وقبول لا يكون هناك عقدة نكاح).

ومعنى أنْ يعفو الذي بيده عقدة النكاح أو الزوج كما قلنا: هو أنْ يعفو الزوج المطلِّق عن القسم الثاني من المهر المسمّى ويعطي المرأة المطلَّقة كامل المهر، فيكون شهماً كريماً معها، والله تعالى سيكافئه على ذلك إن شاء الله.

٣ـ والله تعالى يقول: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ فالقرآن انتصر لصالح الزوجة، فلو عفا الزوج يكون أفضل، فالخطاب في قوله: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ هو للمطلِّقين وليس للمطلقات، والأنسب أنْ يعفو الزوج إذا أراد أنْ يكون من الأتقياء يوم القيامة؛ لأنّ الزوج يعمل وسيحصل على مال غيره، أمّا الزوجة فهي التي تحتاج لمن يعوّضها ويؤنسها ويجبر خاطرها.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعاً، إلا أنّ الغلبة للذكور إذا اجتمعوا مع الإناث؛ لأن الذكورة أصل والتأنيث فرع، هذا في اللفظ .

السؤال الثالث:

ما معنى كلمة (العفو) لغة وشرعاً ؟

الجواب:

كلمة (العفو) هي من الألفاظ المستحبة في الشريعة، وهي تعني ما زاد على الشيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩] أي: أنفقوا من المال الزائد على حاجتكم.

السؤال الرابع:

ما معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؟

الجواب:

الفضل هو الزيادة، أي: لا تكونوا دقيقين في الحساب.

السؤال الخامس:

ماذا تفيد اللام من معنى في قوله تعالى: ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ ؟

الجواب:

اللام في ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ بمعنى (إلى).

السؤال السادس:

ما إعراب ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟﴾ ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ في الآية ؟

الجواب:

١- إعراب الفعل: ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أنْ حرف ناصب و (يعفون) فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل نصب، ونون النسوة: ضمير متصل في محل رفع فاعل، والمصدر: (أنْ يعفون) في محل نصب مستثنى.

٢ـ إعراب ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟﴾ يعفو: فعل مضارع منصوب معطوف على ما قبله.

٣ـ إعراب ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ﴾ تعفوا: فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير فاعل .، والمصدر: (أنْ تعفوا) في محل رفع خبر مقدم.

السؤال السابع:

ما أهم النقاط والدروس في الآية ؟

الجواب:

١ ـ للزوجة أنْ تعفو عن نصف مهرها وتتنازل عنه لزوجها .

٢ـ قول الحق: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ المقصود به الزوج وليس الولي، والولي ليس له أنْ يعفو في مسألة مهر المرأة؛ لأنّ المهر من حق الزوجة .

٣ ـ يقول الحق: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ ؛ لأن من الجائز أنْ يظن أحد الطرفين أنه مظلوم وإنْ أخذ النصف الذي يستحقه، لكنْ إذا لم يأخذ شيئاً فذلك أقرب للتقوى وأسلم للنفوس؛ ولذلك يقول الحق بعد ذلك: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ .

❊❊❊❊

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ الآية تحث على الصلاة وقد توسطت آيات الطلاق والوفاة، فما دلالة هذا؟

وما دلالة ورود الأمر بالصلاة بين آيات خطاب بني إسرائيل أو آيات الجهاد أو آيات الطلاق ؟

الجواب:

إنّ المشكلات بين الزوجين وأحداث الطلاق أو الوفاة قد تؤدي إلى أنْ يحيف أحد الزوجين على الآخر، وقد يؤدي هذا إلى ظلم الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فأمر الله تعالى بالصلاة حتى لا يحيف أحدهما أو يظلم الآخر ويذكّره بالعبادة، وقد ينتصر أحد الزوجين لنفسه فأمره الله تعالى بالصلاة حتى لا يقع في ذلك، ونذكر أنّ الله تعالى أمر بالصلاة في أحداث أكبر من ذلك عند فقد الأمن، وفي حالة الخوف أمر تعالى بالصلاة أيضاً ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾[النساء:١٠١] .

وكذلك الأمر بالصلاة بين آيات الطلاق له سببان: أولاً حتى لا ينشغل الزوجان بالمشكلات العائلية عن الصلاة فيتركوها، والثاني لئلا يحيف أحدهما على الآخر .

كما يرجى مراجعة جواب السؤال الثالث في آية البقرة ٤٥، وذلك لمزيد من المعلومات.

السؤال الثاني:

ما دلالة عطف الجمع ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ على المفرد ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ هذا يسمى في اللغة عطف الخاص على العام، فالصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات، لكن ذُكرت وحدها لأهميتها .

٢ـ وقيل: إنّ الآية فيها جمع وإفراد؛ لأنها تدل على الفروض ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والنوافل ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ .

قال في آية البقرة ٢٣٢: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ وفي آية الطلاق ٢: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾

وترك الصلاة عاقبته وخيمة وأمره خطير جداً، والرسول ﷺ لن يشفع يوم القيامة لتارك الصلاة وإنما سيشفع لمن استحق الشفاعة، ولن تنفع تارك الصلاة شفاعة الشهداء والصديقين والصالحين ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدّثر:٤٨] فعلى كل تارك للصلاة أنْ يبادر ويسارع بالتوبة ويبتعد عن التسويف؛ لأنّ الأمر في منتهى الخطورة .

وفي الحديث «**اغتنموا خمساً قبل خمس: صِحَّتك قبل مرضك، وحياتَك قبل موتك، وفراغَك قبل شُغلِك، وشبابَك قبل هَرَمِك، ودنياك قبل آخِرَتِك**» والناس يوم القيامة ستندَمُ على ساعةٍ مرت عليهم لم يذكروا الله تعالى أو يقوموا بعبادة لله أو يتنافسوا في طاعة الله، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**ما من أحد مات إلا ندم، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: يندم المسيء على إساءته، ويندم المحسن على أنه لم يستزد من إحسانه**».

ويقول تعالى في الحديث القدسي: « **يا ابن آدم خلقتك بيدي، وربّيتك بنعمتي، وأنت تهجرني وتعصيني، فإنْ هجرتني وعصيتني حلمت عليك حتى تتوب، ولإنْ تبت إلي**

قبلتك، فإنْ قبلتك غفرت لك، فإنْ غفرت لك أدخلتك الجنة وأنجيتك من النار، فمن أين تجد لك ربّاً مثلي، وأنا الغفور الرحيم» .

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ في الآية ؟

الجواب:

بلغ عدد تفسيرات العلماء لمعنى الصلاة الوسطى حوالي ٣٢ تفسيراً، منها: صلاة العصر ـ صلاة الجمعة ـ صلاة كانت مفروضة سابقا .

ولكن هناك رأي آخر: أنّ الصحابة لم يسألوا عن هذه الآية فاعتبروا أن كل صلاة هي صلاة وسطى .

وبعضهم قال: بما أنّ عدد الصلوات في اليوم خمسة، والله يقلب الليل والنهار، أي: لا توجد نقطة ابتداء أو انتهاء كالدائرة، وتصبح أي صلاة هي صلاة وسطى؛ لأنه تسبقها صلاتان وتتبعها صلاتان فهي وسطى من حيث الوصف، وتفيد الأفضلية والخيرية (كنتم أمة وسطا) فالوسطى هي الصلاة الفاضلة .

وفريق آخر من العلماء قال: إنّ الله أخفاها لفضيلة خاصة تتحرك بين الصلوات حرص الله على إخفائها حتى يتحرك الناس ويحافظوا على كل الصلوات، كما أخفى تعالى اسمه الأعظم حتى لا يترك الناس بقية أسمائه، وكما أخفى ليلة القدر حتى يجتهد الناس في كل ليالي رمضان، وكما أخفى ساعة الاستجابة في يوم الجمعة حتى يتحرك الناس بالدعاء والعبادة طوال اليوم .

وفريق قال: إنّ الآية فيها جمع وإفراد، فالصلاة تدل على الفروض، والصلوات تدل على النوافل، والله أعلم .

السؤال الرابع:

ما دلاة كلمة ﴿وَقُومُواْ﴾بعد كلمة (الصلاة) ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿وَقُومُواْ﴾في آية البقرة ٢٣٨ بعد كلمة الصلاة ولم يختر سبحانه الركوع أو السجود؛ لأنّ كلمة القيام تتناسب مع قيام الرجل على بيته وأهله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤] وقوامون، أي: قائمون بالحفظ على شؤونهم وخدمة أمورهم، وكما أمرنا الله بالحفاظ على نسائنا أمرنا بالحفاظ على الصلاة، وهذا من تناسق القرآن .

وعندما تجد زوجاً قانتاً خاشعاً فلا يمكن أنْ يكون جباراً على زوجته، وإنْ كان جباراً فاعلم أنّ الزوج هذا لم يستكمل صلاته بالخشوع والقنوت، فلو صلى حقيقةً ما تجاسر على زوجته وما تكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

السؤال الخامس:

ما دلالة رسم كلمة (الصلوة) و(الزكوة) في القرآن بـ(الواو) ؟

الجواب:

هذا رسم المصحف وهو قائم على أمرين:

١ـ أنّ أصل الألف فيهما واو من: صلى / يصلو ـ زكى/ يزكو، وأنّ جمع صلاة صلوات.

٢ـ أنه في بعض القراءات تُفخَّمُ فتُمال إلى الواو؛ لذا تكتب بالواو لأصلها وللقراءة.

٣ـ أمّا كلمة السموات فهي أيضاً من خط المصحف، علماً بأنه حين كُتب المصحف كانت حروف العلة [الواو ـ الألف ـ الياء] لا تُرسم مثل الآن ثم تغير الخط لاحقاً.

والكتّاب لم يبتدعوا خطاً خاصاً للقرآن وإنما هو الخط المتبع آنذاك.

❁❁❁❁

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال (إذا) و(إن) فى هذه الآية ؟

الجواب:

تأمل هذا اللفظ الإلهي وانظر كيف يسوق لك الأمان والاطمئنان، ألم تر كيف جاء ربنا بالأمن بـ (إذا) فقال ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ وجاء بالخوف بـ (إنْ) ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ فهذا بشارة لنا نحن المسلمين بأنّ النصر والأمن سيكون لنا مهما طال أمر الفزع والخوف، ولكن من أين نفهم هذا المعنى؟ نفهمه من استعمال (إنْ) و(إذا) في الآية. فـ (إنْ) تستعمل في الشك والتقليل فأدخلها ربنا تعالى على الخوف، وتستعمل (إذا) لليقين والقطع فاستعملها ربنا مع الأمن.

السؤال الثاني:

جاء فعلا الشرط ﴿خِفْتُمْ﴾ ﴿أَمِنتُمْ﴾ بالماضي بعد أداة الشرط، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

التعبير بفعل الشرط بالفعل الماضي قد يفيد افتراض الحدث مرة واحدة أو قليلاً، في حين الفعل المضارع يفيد تكرر الحدث وتجدده .

السؤال الثالث:

ما دلالة قواعد استعمال (إذا) و (إنْ) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ إنْ: تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣ .

أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦ .

أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣ .

أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١ .

٢ـ إذا: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات:

[البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

أمثلة مشتركة تتضمن (إذا) و(إن) معا:

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الرابع:

ما معنى ﴿رُكۡبَانٗاۖ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الرَّكبُ: هم أصحاب الإبل في السفر، وهم العشرة فما فوقها.

الرُّكبان: الجماعة منهم، وتختص بالإبل فقط.

الرُّكاب: جمع راكب مثل: كافر وكفّار، ولغير الإبل.

الرِّكَاب: الإبل التي يُسار عليها، والواحدة راحلةٌ، ولا واحد من لفظها.

الرَّاكِبُ: إذا كان على العير خاصة، فإذا كان على حصان سمي فارساً، وعلى حمار يسمى فرساً أو حمّاراً.

الرَّكوبةُ ـ بفتح الراء ـ ما يُركَبُ.

❁❁❁❁

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠﴾

السؤال الأول:

نكّر كلمة ﴿مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ في هذه الآية وعرفه ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ في آية البقرة ٢٣٤، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية ٢٣٤.

السؤال الثاني:

الآيتان ٢٣٤ و ٢٤٠ متشابهتان في موضوع الوفاة ومختلفتان في الفاصلة، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية ٢٣٤.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الحول والعام والسنة والحجج ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية ٢٣٤.

❁❁❁❁

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في هذه الآية: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ وقال في الآية ٢٣٦: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٦.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

في بعض الآيات الخطاب للرسول ﷺ بصيغة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ والرسول لم يرها، فما دلالة هذا الخطاب؟

الجواب:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في اللغة العربية تأتي بمعنيين:

آ ـ السؤال عن الرؤية البصرية والرؤية القلبية نحو: ألم تر خالداً اليوم؟ ألم تر الأمر كما أراه؟ هذا معنى.

ب ـ والمعنى الآخر: للتعجُّب، نحو ألم تعلم؟ ألم ينتهِ علمك؟ هذه الصيغة تأتي للتعجيب سواء رآه أو لم يسبق له رؤيته.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الملك:١٩] ألم تعجب من هذا؟ ألم تعجب مما يفعله الرحمن؟ وهم يرون ذلك.

ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الشعراء:٧]

هذه رؤيا مشاهدة لكن فيها تعجيباً.

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة:٢٤٣] ألم ينته إلى علمك؟ ألم تسمع منهم؟ ألا تتعجب من أولئك؟

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[البقرة:٢٥٨] أي: ألا تعجب من هذا المتكبر وكيف كان يحاوره إبراهيم؟

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾[البقرة:٢٤٦] هي للتعجُّب، والقصد منها التعجُّب و ليلفت نظر السامع الذي يحدثه وكذلك المخاطب إلى أمر يدعو إلى التأمل والعجب من الحالة أو من قدرة الله أو ما إلى ذلك.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين آلاف وألوف ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾في القرآن؟

الجواب:

(الألف): هو العدد المعروف وجمعه (ألوف وآلاف) .

ـ آلاف من أوزان القِلّة (أفعال) لذا هو جمع قلة. وأوزان القِلّة هي: [أفعُل، أفعال، أفعِلة، فِعلة].

وجمع القلة من الثلاثة إلى العشرة، فإنْ تجاوزها دخل في الكثرة .

ـ (ألوف): جمع الكثرة.

لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[آل عمران:١٢٤] .

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة:٢٤٣] قال بعضهم: قطعاً أكثر من عشرة آلاف، وقسم أوصلهم إلى أربعين ألفاً.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣] ثم حرف عطف، فعلى أي شيء عطف؟

الجواب:

قد يحذف أحد المتعاطفين للدلالة عليه كما في هذه الآية، والتقدير: موتوا، فماتوا ثم أحياهم .

❋❋❋❋

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ فهل هناك قرض سيئ؟

الجواب:

انظر كيف وصف الله سبحانه وتعالى القرض بالحسن؛ لأنّ الله تعالى مطّلع على القلوب ولا يقبل الله تعالى إلا المال الحلال الصرف، ولا يرضى بالمال إلا إذا كان نقياً خالصاً من شوائب الرياء والمنّ.

السؤال الثاني:

ما فائدة ﴿حَسَنًا﴾ بعد ﴿قَرْضًا﴾ في الآية ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟

الجواب:

١ـ في جميع القرآن لم يذكر القرض إلا ووصفه بالحسن.

٢ـ المقصود بالقرض الحسن:

آـ في الشخص أنْ يكون من دون منٍّ، وعن طيب نفس وبشاشة وجه.

ب ـ وفي المال ينبغي أنْ يكون في المال الحلال الطيب الكريم .

ج ـ وألا يبتغي الخبيث ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة:٢٦٧] .

د ـ ثم في الجهة أنْ يتحرى أفضل الجهات .

هذا هو القرض الحسن يكون من كريم المال وحلاله ويكون من دون منٍّ ويكون في أفضل الجهات التي فيها نفع للمسلمين، ولذلك لا تجده في القرآن إلا موصوفاً بالحسن، ولا تجد القرض إلا لله.

٣ـ الصدقة أطلقها، لكن القرض لم يأت إلا قرضاً حسناً ومع الله تعالى ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[الحديد:١٨] حتى يفرّق بين القرض الذي هو في المعاملات، والقرض الذي هو عبادة مع الله.

٤ـ الإقراض قد يكون بين الناس في المعاملات ولكنّ المقصود هنا هوالعبادات، ولذلك دائماً يقول: ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحديد:١٨] ولو قال: أقرضوا، لم تختص بالعبادة وإنما بالمعاملة بين الناس .

٥ـ ولذلك الصدقة دائماً عبادة، أمّا الإقراض فليس دائماً عبادة فقد يكون في المعاملة والتعامل بين الناس وليس له علاقة بالعبادة.

٦ـ ولذلك هنالك أمران في القرآن: أنه وصف القرض بالحسن، والآخر أنه لله تعالى. وهذان الأمران في جميع القرآن، ولم يرد الإقراض إلا بهذين: أنه حسن وأنه لله تعالى فقط، ولهذا كان ثوابه من الله عز وجل المضاعفة.

السؤال الثالث:

في سورة البقرة قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ وفي آية الحديد ١١ قال: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾[الحديد:١١] واختلفت خاتمتا الآيتين، فما الفرق بين الآيتين؟.

الجواب:

١ـ في سورة البقرة قال تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ أي: ذكر الكم، وفي الحديد ذكر المضاعفة مع الأجر ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي ذكر الكم: فيضاعفه له، وذكر الكيف: وله أجر كريم، فزاد هنا بالأجر الكريم، وهو الحسن البالغ الجودة.

٢ـ سورة الحديد مطبوعة بطابع الإيمان والإنفاق، بينما قال في سورة البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ ويقبض معناه يضيّق الرزق ويمسك.

وهنا في الدنيا يحتمل أنّ الشخص يناله قبض أو بسط، وصاحب المال يحتمل أنْ يصيبه قبض، فهذا الذي يصيبه القبض والتضييق في الرزق يحتاج إلى المال .

ولذلك لمّا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ هذا محتاج إلى المال، فقال: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ فأنت عليك أن تنفق حتى لا يصيبك القبض وحتى يأتيك البسط، وهذا من باب تبصيره في الأمر، وفيها تهديد بالقبض .

أمّا في سورة الحديد فليس فيها تهديد بالقبض، فقال تعالى في الحديد: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١١﴾ [الحديد:١١] .

٣ـ وفي سورة البقرة، قال تعالى في آية أخرى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة:٢٦١] وهذا في مقام التكثير، فناسب التكثيرُ التكثيرَ في السورة.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟

الجواب:

١ـ قسم ذهب إلى أنّ الصدقة غير القرض.

٢ـ وقسم قال: القرض هو تطوع ولا يدخل في باب الفروض، والصدقة في الواجب. وربنا تعالى سمّى الزكاة صدقة، لكنْ هي ليست مقصورة على الزكاة فقط وإنما هي عبادة عامة الزكاة واحدة منها، لكنّ قسماً من الصدقة هو فروض كصدقة الفطر وبعض الصدقات.

٣ـ وقسم قال: القرض هو أعمّ من الصدقة، يدخل في الفروض وغير الفروض(ما كان تطوعاً وغير تطوع)، فإذا كان الأمر كذلك فهو من باب عطف العام على الخاص.

٤ـ وقسم يقول: الصدقة هي في الفروض، والقرض هو في التطوع .

٥ـ والذي يبدو- والله أعلم- أنّ القرض في التطوع يختلف عن الصدقة، لأننا نلاحظ أنّ القرآن الكريم يذكر القرض الحسن بعد الزكاة في مواطن، وقد يأمر به بعد

الأمر بالزكاة كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المائدة:١٢] فذكر الزكاة ثم ذكر القرض الحسن والزكاة فرض، فقال بعدها: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ﴾[المائدة:١٢].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[المزَّمل:٢٠].

كما يبدو - والله أعلم - أنه لمّا عطفها على الزكاة والزكاة فرض، صار القرض من باب التطوع، أي من باب المندوبات، وليس كل المندوبات فروضاً، لكن علمنا أنّ الزكاة فرض وعطفها على الزكاة فلا يأخذ نفس الحكم؛ لأنه ليس بالضرورة أنْ يأخذ المعطوف نفس الحكم خاصة في المندوبات، فربما يكون قد عطف مندوباً على فرض.

٦ـ ثم تسميته (قرض) المُقرِض ليس ملزماً بالإقراض، والقرض في اللغة إعطاء مال تحديداً ويتوقع استرداده، أمّا الزكاة فلا تُردّ.

ولذلك لمّا قال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾فرب العالمين سيرده عليه بأضعاف كثيرة ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ والمقرِض ليس ملزماً بالإقراض، فإذا أردت الاقتراض من أحد فهو ليس ملزماً بإقراضك، وعندما قال ربنا: ﴿قَرْضًا﴾معناه أنه ليس ملزماً، ومعناه أنه من باب التطوع، بخلاف التصدق؛ لأن منه ما يلزم.

وقوله تعالى في أكثر من موضع: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كأنه من باب الترغيب، فتسميته قرضاً هو من باب الترغيب، وليس من باب الإلزام.

السؤال الخامس:

ما إعراب كلمة ﴿قَرْضًا﴾في الآية ؟

الجواب:

إعراب ﴿قَرْضًا﴾فيه وجهان: إذا كان المقصود مالاً تحديداً يكون مفعولاً به، وإذا كان مصدراً فيكون مفعولاً مطلقاً.

السؤال السادس:

ما الفرق بين الحسنة والقرض ؟

الجواب:

ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**رأيتُ ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأنّ السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة**» أخرجه ابن ماجه.

وتفسير ذلك: أنك لو تصدقت بدرهم فقد عملت حسنة تُضاعف لك إلى عشر حسنات حسب قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ لكن هل يردّ السائل الدرهم إليك؟ بالطبع لا.

أمّا القرض فإنك تقرض درهماً مثلاً لشخص، فيكون بذلك عشر حسنات، وعندما يرد لك هذا القرض تكون في حقيقة الأمر قد أخذت تسعة، والتسعة حسب قوله تعالى

في آية الحديد ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١] تُضاعف فتكون ثمانية عشر، والله أعلم.

السؤال السابع:

ما الفرق بين خاتمتي الآيتين البقرة ٢٤٥ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ والحديد ١١ ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾؟

الجواب:

١ـ آية سورة البقرة واقعة في سياق القتال والموت ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣] بعدها قال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤-٢٤٥] والإقراض معلّق على نية تجهيز الجيوش ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فالآيات في الموت، والقتال والموت والقتل مظنّة الرجوع إلى الله تعالى، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ وهي مناسبة لذكر الموت والقتال.

٢ـ أمّا في سورة الحديد، فالكلام في الإنفاق وليس في الموت والقتال، ولمّا كان الكلام في غير هذا السياق في سورة الحديد قال: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١].

السؤال الثامن:

ما الفرق بين استعمال ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ في آية البقرة ٢٤٥ و﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ في آية الملك ٢٤؟ وما دلالة كل تعبير منهما ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى في سورة البقرة تتكلم عن الجانب المالي وعن القرض، والمال يذهب ويجيء، والله سبحانه وتعالى يقبضه ويبسطه، فيناسب الكلام عن البسط والقبض الذهاب والإياب، وذهاب المال وإيابه يناسبان كلمة الرجوع، أنتم وأموالكم ترجعون إلى الله؛ لأنّ فيها قبضاً وبسطاً ففيها رجوع، فناسب ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾.

٢ـ وأمّا آية الملك ٢٤ ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ ففيها كلمة ﴿ذَرَأَكُمۡ﴾ [الملك:٢٤] وذرأ بمعنى: نشر، يذرؤكم في الأرض، أي: يبثّكم وينشركم في الأرض. هذا الذَّرءُ والبثُّ يحتاج إلى جمع وأنْ يجمَع، والحشر فيه معنى الجمع. والذي يناسب الشيء المنثور الموزع في الأرض كلمة الحشر وليس الرجوع؛ لأنّ الحشر فيه معنى الجمع، واللفظة المناسبة لـ ﴿ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الملك:٢٤]؛ أي ﴿بثّكم﴾ تعبير ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الملك:٢٤].

السؤال التاسع:

وردت ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾ بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في سورة البقرة، بينما سائر ما في القرآن ﴿يَبۡسُطُ﴾[الرعد:٢٦] بالسين في أكثر من عشرة مواضع، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ بشكل عام حرف الصاد أقوى من حرف السين؛ وذلك أنّ:

آـ حرف الصاد له أربع صفات قوية: [الاستعلاء والإطباق والإصمات والصفير] وله صفتان ضعيفتان هما: [الهمس والرخاوة].

ب ـ حرف السين له صفتان قويتان فقط، هما: [الإصمات والصفير] وله أربع صفات ضعيفة، هي: [الهمس والرخاوة والاستفالة والانفتاح].

٢ ـ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يختص بشيء دون شيء، فالله هو القابض الباسط في النعم والأرزاق والأعمار والآجال والملك والصدور والتقتير والتوسيع، يسلب قوماً ويعطي قوماً، ويقبض الصدقات ويخلف البذل، فهو بسط مطلق غير مقيد.

٣ ـ بينما في الآيات الأخرى ترى البسط مقيَّداً بالرزق أو بغيره مثل الغيث في الروم: ٤٨.

٤ ـ البسط المطلق أقوى وأعم من البسط المقيد، فجاء بالصاد في الأقوى وجاء للمقيد بالسين .

انظر جدولي صفات الحروف أدناه:

جدول ملخص صفات الحروف العربية

عدد الأحرف	الأحرف	الصفة	عدد الأحرف	الأحرف	الصفة
19	باقي الأحرف	الجهر	10	فحثه شخص سكت	الهمس
21	لن عمر5+باقي الأحرف16	توسط+الرخاو	8	أجد قط بكت	الشدة
22	باقي الأحرف	الإستفال	7	خص ضغط قظ	الإستعلاء
25	باقي الأحرف	الإنفتاح	4	ص ض ط ظ	الإطباق
23	باقي الأحرف	الإصمات	6	فر من لب	الإذلاق
			3	ص ز س	الصفير
			5	قطب جد	القلقلة
			2	و ي	اللين
			2	ل ر	الإنحراف
			2	م ن	الغنة
			1	ض	الإستطالة
			1	ر	التكرير
			1	ش	التفشي

جدول يبين الحروف العربية مع بيان صفاتها القوية والضعيفة ومجموع ما لكل حرف من الصفات

9	19	ء	ي	و		ن	م	ل		ق		غ	ع	ظ	ط	ض				ز	ر	ذ	د			ج			ب	ا	الجهر
3	8	ء							ك	ق					ط								د			ج		ت	ب		الشدة
3	7									ق		غ		ظ	ط	ض	ص							خ							الإستعلاء
2	4													ظ	ط	ض	ص														الإطباق
10	23	ء	ي	و	ه				ك	ق		غ	ع	ظ	ط	ض	ص	ش	س	ز		ذ	د	خ	ح	ج	ث	ت		ا	الإصمات
2	3																ص		س	ز											الصفير
2	5									ق					ط								د			ج			ب		القلقلة
2	2							ل													ر										الإنحراف
1	1																				ر										التكرير
0	1																	ش													التفشي
0	1															ض															الإستطالة
2	2					ن	م																								الغنة
5	10				ه				ك		ف						ص	ش	س					خ	ح		ث	ت			الهمس
6	16		ي	و	ه						ف	غ		ظ		ض	ص	ش	س	ز		ذ		خ	ح		ث			ا	الرخاوة
11	22	ء	ي	و	ه	ن	م	ل	ك		ف		ع					ش	س	ز	ر	ذ	د		ح	ج	ث	ت	ب	ا	الإستفالة
12	25	ء	ي	و	ه	ن	م	ل	ك	ق	ف	غ	ع					ش	س	ز	ر	ذ	د	خ	ح	ج	ث	ت	ب	ا	الإنفتاح
4	6					ن	م	ل			ف										ر								ب		الإذلاق
1	2		ي	و																											اللين
6	5					ن	م	ل					ع								ر										التوسط
		3	2	2	1	2	2	2	2	5	0	3	2	4	6	5	4	2	2	3	3	2	4	2	1	4	1	2	3	2	م صفات قوية
		2	4	4	4	4	4	4	3	1	5	2	3	1	0	1	2	4	4	3	4	3	2	3	4	2	4	3	3	3	م صفات ضعيفة
		5	6	6	5	6	6	6	5	6	5	5	5	5	6	6	6	6	6	6	7	5	6	5	5	6	5	5	6	5	المجموع العام

الأحرف النورانية هي أحرف الجملة : نص حكيم قاطع له سر (14 حرفا)

السؤال العاشر:

قوله تعالى: ﴿يُقْرِضُ﴾ بالفعل المبني للمعلوم، ولم يقل إقراضاً بصيغة المصدر بل قال: ﴿قَرْضًا﴾ فما السبب ؟

الجواب:

(قرضاً) مصدر من الفعل الثلاثي (قرض) بينما نقول: (أقرض إقراضاً) فجمع بين المعنيين، وهذا من باب التوسع في المعنى .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزّمل:٨] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾[نوح:١٧] .

❊❊❊❊

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال ربنا: ﴿الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولم يقل (إلى قوم بني إسرائيل) أو (الجمع من بني إسرائيل)؟

الجواب:

هذا من بديع القرآن واستعمالاته المعجزة، ولو عدنا إلى معنى الملأ، ومعنى القوم أو الجمع، لعلمنا سبب اختيار هذا اللفظ دون غيره، فنحن نعلم أنّ بني إسرائيل كانوا خارجين على حدود الله ولم يشذ أحد منهم، فناسب هذا الاجتماع المطلق على الرأي استعمال كلمة الملأ، التي تعني الجماعة الذين أمرهم واحد، ألسنا نقول: تمالأ القوم، عندما نقصد جماعة اتفقت على شيء؟ وهذا المعنى لا تفيده إلا كلمة (الملأ).

❁❁❁❁

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الجسم والجسد ؟

الجواب:

الجسم: يطلق على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة.

الجسد: يطلق على التمثال الجامد أو بدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه .

السؤال الثاني:

كلمة ﴿بَسۡطَةً﴾ بالسين وردت في آية سورةالبقرة ٢٤٧ ﴿بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ بينما وردت كلمة ﴿بَصۜۡطَةٗۖ﴾ بالصاد في آية الأعراف ٦٩ ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ فما السبب ؟

الجواب:

١ـ حرف الصاد أقوى من حرف السين، حيث إنّ حرف الصاد له ست صفات؛ أربعة منها قوية وهي: (الاستعلاء و الإطباق و الإصمات والصفير) وصفتان ضعيفتان (الهمس والرخاوة)، بينما حرف السين له صفتان قويتان فقط؛ وهما (الإصمات والصفير)، وأربعة ضعيفة؛ وهي (الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح). انظر: جدول صفات الحروف .

٢ ـ آية البقرة هي في وصف طالوت، وآية الأعراف هي في وصف قبيلة عاد قوم هود، وطالوت إنما هو شخص واحد، وأمّا عاد فهي قبيلة، فكان السين الذي هو أضعف أليق بالشخص الواحد، والصاد الذي هو أقوى وأظهر أليق بالقبيلة .

٣ـ هناك أمر إحصائي: السور التي في بداياتها الأحرف النورانية المقطعة وتتضمن حرف الصاد، هي ثلاث سور، وهي:

سورة الأعراف	﴿الٓمٓصٓ ١﴾ [الأعراف:١]	٩٧ صاداً
سورة مريم	﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ [مريم:١]	٢٦ صاداً
سورة ص	﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص:١]	٢٩ صاداً

المجموع ١٥٢ صاداً = ١٩X٨

وهذا من مضاعفات العدد ١٩ المشهور بميزاته في القرآن الكريم

انظر إلى ملحق صفات الحروف للتعرف على صفات الحروف، وذلك في آية البقرة ٢٤٥.

❀❀❀❀

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى الآية؟

الجواب:

جعل رب العالمين كل سعد وخير بني إسرائيل في ذاك التابوت، وهو صندوق كبير مستطيل يحتوي على آثار موسى وهارون، وعمامة هذا ونعال ذاك، والعصا والشعر والأظافر، وكثير من الأمورالأخرى، وكان بنو إسرائيل يتبرّكون بهذا التابوت، وكلما حاربوا أعداءهم من الوثنيين والملحدين قدموا التابوت بين أيدي الجيش، فينتصر الجيش.

ثم استطاعت العماليق وهم أعداؤهم أنْ يسرقوا هذا التابوت ٥٠٠ سنة، وظل العماليق يُشبعون بني إسرائيل ضرباً وخسارة، ولهذا كان بنو إسرائيل ما إنْ يقاتلهم

العدو إلا ويُهزَمون ؛لأنّ التابوت قد ذهب منهم، حتى أرسل الله لهم نبياً وقال: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[البقرة:٢٤٨] .

وبنو إسرائيل لا يصدقون بسهولة ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾[البقرة:٢٤٧] قالوا: ما هذا؟ نحن لا نقبل به . قال: لا بأس، معجزته أنّ الله سوف يأتي بالتابوت بين يديه، قالوا: مستحيل أنْ يحدث ذلك.

وفعلاً جاءت الملائكة تحمله، و ما كانوا يرون الملائكة، فقط سيدنا طالوت هو الذي كان يراهم، فكانت الملائكة تحمل التابوت كأنه طائر وحده حتى وضعوه بين يدي طالوت، فآمن به بنو إسرائيل .

وبقي بنو إسرائيل ينتصرون على العماليق وغيرهم ببركة هذه الآثار آثار موسى عليه السلام .

السؤال الثاني:

وردت كلمة (بقيَّت) في سورة هود مكتوبة بالتاء المفتوحة ،فهل جاء لها رسم بالتاء المربوطة (بقية) ؟

الجواب:

كلمة (بقية) وردت في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

آ- في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[البقرة:٢٤٨] هذه رسمت بالهاء أو التاء المربوطة كما يقال.

ب ـ في سورة هود: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود:١١٦] رسمت بالهاء.

ج – وفي السورة نفسها ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾[هود:٨٦] وردت بالتاء. وهذا راجع إلى مسألة رسم المصحف.

وخط المصحف توقيفيٌّ، ونحن لو تأملنا في هذا المرسوم وفي اختلافاته فليس من السهل أنْ نجد ضابطاً لذلك، ولهذا نقول: الراجح أنه كان بسبب عدم استقرار الخط، فيكتبونها مرة بالتاء ومرة يكتبونها بالهاء، غير مستقرة. وهناك من يقول إن هناك أسراراً غير أنا لا نعرف هذه الأسرار. ومثل ذلك كلمة ﴿رَحْمَتَ﴾ بالتاء المفتوحة وكتبت ﴿رَحْمَةً﴾ بالتاء المربوطة.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ
مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ
أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ﴾ ولماذا جاءت صيغة الطعام مع النهر الذي فيه شراب؟

الجواب:

١ـ (طَعِمَ) لها في اللغة دلالتان: تأتي بمعنى: أكل أو ذاق، ونقول عديم الطعم، أي: عديم المذاق.

وليس بالضرورة أنْ تكون طَعِمَ بمعنى أكَلَ؛ لأنها كما قلنا قد تأتي بمعنى ذاق، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ لا تعني بالضرورة أنه أكل .

٢ـ لكنْ لماذا اختار ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ ولم يقل: (ومن لم يشربه)؟

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾؛ لأنّ الماء قد يُطعم إذا كان مع شيء يُمضغ، شيء تمضغه فتشرب ماءً فأصبح يُطعم، وهذا ممنوع حسب طلب طالوت؛ لأنه لو قال: (لم يشربه) جاز أنْ يطعمه مع شيء آخر بأن يأكلوا شيئاً ويمضغوه ويشربوا الماء معه، وبهذا يكون الشرب قد انتفى لكن حصل الطعم، فأراد تعالى أنْ ينفي هذه المسألة.

فقوله تعالى: ﴿لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾معناه أنْ ينفي القليل وبالتالي ينفي الكثير.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾أي شراب فقط بدون طعام كما نشرب الماء.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ هذه استثناها ﴿غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ ولو قال: يطعمه، لم تُستثنى هذه ويكون له ما يشاء.

لكنْ ألا تدخل هذه في نطاق الطعام؟ إنه يطعم الماء ليتذوقه، والآن تذوقه بهذا القدر وليس له الزيادة فوق التي أباحها الله فيه.

السؤال الثاني:

ما دلالة استخدام ﴿بِنَهَرٖ﴾في الآية ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[البقرة:٢٤٩] ولم يقل: نَهْرٍ؟

الجواب:

هما لغتان: نَهَرٍ ونهْرٍ، والقرآن استعمل (نَهَرٍ) ولم يستعمل (نَهْر) أبداً، والنُّهُرُ:جمع أنهار، وأحياناً يستعمل القرآن الجنس الواحد على معنى الكثير. النَّهَر واحد الأنهار، والنهْر واحد الأنهار أيضاً.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الطاقةِ والقِبَل، كما في الآيات ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[البقرة:٢٤٩] و ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[النمل:٣٧] ؟

الجواب:

١ـ الطاقة: هي القدرة والقوة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي: ليس عندنا قوة ولا قدرة أصلاً.

٢ـ القِبَل: هي القدرة على المقابلة والمجازاة على شيء، تقول: أنا لا قِبَل لي بكذا، ولذلك قال القرآن رواية عن سليمان عليه السلام: ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[النمل:٣٧] أي: لا قدرة لهم عليها، لا قدرة لهم على المقابلة، لا قدرة لهم على مقابلتها بالرغم أنّ قوم بلقيس هم أصحاب قوة، وقالوا: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل:٣٣] أي: عندهم قوة وعندهم بأس في الحرب يستطيعون المقابلة، فردّ عليه سليمان عليه السلام: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[النمل:٣٧] أي: لا يستطيعون أنْ يقابلونا من البداية.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الظن واليقين؟وما دلالة ﴿يَظُنُّونَ﴾ فى الآية؟

الجواب:

١ـ اليقين يرتقي إلى درجة العلم كما في قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾[الحاقة:١٩-٢٠] هل كان شاكّاً؟ لا.

ولذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾[البقرة:٢٤٩] ﴿يظنون﴾هنا يعني: يوقنون بلقاء الله تعالى.

٢ـ الظنُّ درجات، وهو يعتري الإنسان من دون أي دليل، ثم يقوى بحسب الأدلة إلى أنْ يصل إلى اليقين .

لكن أهل اللغة يقولون: إنّ الظن هو عِلْمُ ما لم يُبصر، وأنت لا تقول: (ظننت الحائط مبنياً) ؛ لأن الحائط من الأشياء التي تُرى وتُبصر، وإنما الظن علم ما لم يُبصر .

ولا تقولُ: أظن أنْ الحائط مبنيٌّ، وهو أمامك، ولا يصح هذا التركيب، لكن تقول: أظنُّ أنّ وراء الحائط فلاناً، هذا أمر آخر يجوز فيه الظن. ولذلك قالوا: الظن درجات حتى إنه يصل إلى اليقين.

❊❊❊❊

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾

السؤال الأول:

تقول: أفرغت الماء في الإناء إذا صببته، فلِمَ عبّر ربنا سبحانه وتعالى عن الصبر بالإفراغ، فقال: ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ولم يقل: صبِّرنا، أو اجعلنا صابرين؟

الجواب:

إنّ التعبير عن طلب الصبر بقوله: ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ فيه إبداع وجمال ساحر؛ لأنّ إفراغ الصبر يدل على المبالغة في صبر الداعي لصفة الصبر؛ وذلك أنّ الإفراغ معناه

الصبُّ، وإذا صببت الشيء أو أفرغته فقد ملأت المفرَغ فيه، وإذا أُفرِغ الصبر في قلوب المؤمنين الداعين فهذا يعني أنّ القلوب قد ملئت صبراً حتى غدت وعاءً له.

❁❁❁❁

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾

السؤال الأول:

قال في أول الآية: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ فما فائدة تكرار ذلك ؟

الجواب:

١ ـ قيل: هو تأكيد للأول، تكذيباً لمن ينكر أنْ يكون ذلك بمشيئة الله تعالى.

٢ ـ أنّ ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ مجاز في الاختلاف؛ لأنه كان سبب اقتتالهم، فأطلق اسم المسبب على السبب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ .

والمعنى: ولو شاء الله ما اختلفوا بعد أنبيائهم لكنْ اختلفوا، ولو شاء الله بعد اختلافهم لما اقتتلوا .

٣ـ قول الحق: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيه عدة نقاط، أهمها:

آ ـ الله سبحانه أرسل الرسل يحملون منهج الله لمن يريد أنْ يعلن حبه لله وأنْ يكون خليفة في الأرض بحق وأنْ يصلح في الكون ولا يفسد، ولو شاء الله لخلق الناس كلهم طائعين له، وإنما شاء الله لبعض الأعمال والأفعال أنْ يتركها لاختيارك؛ لأنه يريد أنْ يعرف من الذي يأتيه طوعاً وليظل العبد بين الخوف والرجاء، وبالتالي مطلوب للإنسان الارتفاع الإيماني، فيحب الله على نعمه وعلى أحداثه وأقداره، فيحبه الله ويباهي الله به الملائكة كما ورد في الحديث الشريف.

ب ـ لو أراد الحق سبحانه الكون بلا معارك بين الحق والباطل لجعل الحق مسيطراً سيطرة تسخير، لكنّ الله تعالى أعطانا تمكيناً وأعطانا اختياراً، لذلك نجد من ينشأ مؤمناً ومن ينشأ كافراً، وهكذا نجد الطائع والعاصي كلّاً في فريقه.

وإياك أنْ تفهم أن وجود الكافرين في الأرض دليل على أنهم غير داخلين في حوزة الله، بل إنّ الله هو الذي أعطاهم هذا الاختيار، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولما استطاع أحد أنْ يخرج على مراد الله.

ج ـ الاختلاف بين الناس هو سبب الاقتتال، لكنْ ألا يُمْكِنُ أنْ يكونوا قد اختلفوا ولم يقتتلوا؟ إنّ ذلك لو حدث لكان إجماعاً على الفساد، والحق لا يريد هذا الإجماع على

الفساد، فإنْ لم يسيطر الخير على أمور البشرية فلا أقل من أنْ يظل عنصر الخير موجوداً، ويأتي واحد ليجدد عنصر الخير وينميه.

د ـ الحق سبحانه لا يمحو في أزمنة الباطل معالم الخير والأفعال الحسنة، بل يستبقي معالم الخير ليذهب إليها إنسان يريد الخير، وقد يكون الخير ضعيفاً لكنّ الله لا يمحوه؛ لأنه يعطي به دفعة جديدة لمؤمنين جدد يرفعون راية الحق وإن بدوا ضعفاء.

والله رفع عنا العذاب من أجل وجود الضعفاء بيننا؛ لأنّ الضعفاء يمثلون خلايا الخير في المجتمع، قال ﷺ «**لولا عباد لله رُكَّع، وصبية رُضَّع، وبهائم رُتَّع لصُبَّ عليكم العذاب صباً**»

هـ ـ في الاقتتال توجد تضحيات بالنفس وتضحيات بالمال، ولذلك ندب المؤمنين إلى الإنفاق في سبيل الله .

السؤال الثاني:

ماذا عن تأنيث كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ في الآية، وهل تُذكَّر ؟

الجواب:

كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ ليست مؤنَّثاً حقيقياً؛ لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها .

١ ـ عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ بمعنى العلامات الدالة على المعجزات والنبوءات يؤنث الفعل.

٢ ـ أما عندما تكون ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بمعنى الأمر والنهي، يذكر الفعل.

شواهد قرآنية على التأنيث: أي: بمعنى المعجزات والنبوءات:

الآيات:[البقرة ٢٠٩ ـ البقرة ٢١٣ ـ البقرة ٢٥٣ ـ النساء ١٥٣].

شواهد قرآنية على التذكير: بمعنى الأمر والنهي:

الآيات: [آل عمران ٨٦ ـ آل عمران ١٠٥ ـ غافر ٦٦].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿تِلْكَ﴾ ولم يقل مثلاً: (هؤلاء)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

قول الحق: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الرسل بدل (هؤلاء الرسل) ليدل القرآن على أنّ الرسل هم كوحدة أو جماعة واحدة أي: تلك الجماعة ومهما اختلفوا فهم مرسلون من قبل إله واحد وبمنهج واحد، و﴿تِلْكَ﴾ هي إشارة لأمر بعيد، وهي إشارة كذلك إلى الرسل الذين يعْلَمُهم رسولُ الله ﷺ أو الرسل الذين تقدموا في السياق القرآني.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَضَّلْنَا﴾؟ وما تعريف التفضيل؟ وما فرقها عن المحاباة؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا﴾ التفضيل هو إيثار الغير بمزية بدافع الحكمة، ولا تقل: محاباة؛ لأنّ المحاباة هي إيثار الغير بمزيةٍ بدافع الهوى والشهوة .

السؤال الخامس:

ذكر الله في هذه الآية نماذج من التفضيل وأشار إلى موسى وعيسى عليهما السلام، فلماذا لم يذكر الرسول محمداً ﷺ في الآية أيضاً ؟

الجواب:

١ـ ذكر لنا القرآن نماذج من التفضيل ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهو سيدنا موسى عليه السلام، ومنهم: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وبين موسى وعيسى عليهما السلام قال الحق: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ والخطاب في الآيات لمحمد ﷺ وهؤلاء المذكورون من الرسل هم من أولي العزم من الرسل.

٢ـ ساعة يأتي التشخيص بالوصف الغالب أو الاسم فهذا واضح، ولكنْ ساعة أنْ يأتي بالوصف ويترك لفطنة السامع أنْ ترد الوصف إلى صاحبه، فكأنه من المفهوم أنه لا ينطبق قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ بحقٍّ إلا على سيدنا محمد ﷺ، وجاء بها سبحانه في الوسط بين موسى وعيسى عليهما السلام مع أنّ الرسول ﷺ لم يأت في الوسط وإنما جاء آخر الأنبياء، ليدلك على أنّ منهجه هو الوسط بين اليهودية التي أسرفت في المادية بلا روحانية والنصرانية التي أسرفت في الروحانية بلا مادية، والعالم يحتاج إلى وسطية بين المادية والروحية، فجاء محمد ﷺ فكان قطب الميزان في قضية الوجود.

٣ـ حيثيات التفضيل للرسول ﷺ كثيرة، منها:

آ ـ رسالته هي الوحيدة للإنس والجن ومستمرة حتى قيام الساعة، بينما الرسالات الأخرى محدودة بزمان أو مكان.

ب ـ معجزات الرسل السابقين معجزات مادية حسية كانت في وقتها وليس لها الآن وجود غير الخبر عنها، بينما معجزة الرسول ﷺ معجزة باقية وهي القرآن الكريم، إضافة إلى معجزاته الحسية المادية الكثيرة في أيامه.

ج ـ اختصه الله من بين جميع الرسل بالتشريع، فقد كان الرسل ينقلون الأحكام عن الله وليس لهم أنْ يشرعوا، أمّا الرسول ﷺ فهو الرسول الوحيد الذي قال الله له: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[الحشر:٧]

٤ـ قول الحق: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ نأخذه في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾[الشورى:١١] ونحن نأخذ كل وصف يرد عن الله بواسطة الله ولا نضع وصفاً من عندنا، وبعد ذلك لا نقارنه بوصف البشر، فلله حياة ولك حياة، وحياته ذاتية وحياة كل منا موهوبة مسلوبة فليست مثل حياته .

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الضمير في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ في الآية؟

الجواب:

انظر إلى هذا الأسلوب القرآني فقد قصر ربنا تعالى صفة الظلم على الكافر، فالكفر والظلم متلازمان.

ألم تر كيف فصل بين المبتدأ والخبر بالضمير ﴿هُمُ﴾ مع أنّ حذف هذا الضمير لا يُخِلُّ بالمعنى فلو قال: (والكافرون ظالمون) لكان المعنى تاماً، لكنّ ذكر الضمير ﴿هُمُ﴾ أفاد حصر الظلم على الكافرين، أي: الكافرون هم الظالمون حصراً.

❁❁❁❁

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما أهمية آية الكرسي هذه؟ ولماذا بُدئت بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾؟

الجواب:

آية الكرسي هي سيّدة آي القرآن الكريم، بدأت الآية بالتوحيد ونفي الشرك وهو المطلب الأول للعقيدة عن طريق الإخبار عن الله، وبدأ الإخبار عن الذات الإلهية .

ونلاحظ أنّ كل جملة في هذه الآية تصح أنْ تكون خبراً للمبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾ لأنّ كل جملة فيها ضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى أي: الله لا تأخذه سنة ولا نوم، الله له ما في السموات وما في الأرض، الله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، الله يعلم مابين أيديهم

وما خلفهم، الله لا يحيطون بعلمه إلا بما شاء، الله وسع كرسيّه السموات والأرض، الله لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

مع ملاحظة أن آية الكرسي تتألف من (٥٠) كلمة وعدد حروفها (١٨٥) حرفاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾؟

الجواب:

١ـ الحيّ مُعرَّفة، والقيّوم مُعرَّفة، والحيّ هو الكامل الاتصاف بالحياة ولمْ يقل: (حيّ) بالتنكير لأنها تفيد أنه من جملة الأحياء.

والتعريف بـ (أل) هو دلالة على الكمال والقصر؛ لأنّ ما سواه يصيبه الموت، والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله له الكمال في الحياة قصراً، و كل من عداه يجوز عليه الموت، وهو الذي يفيض على الخلق بالحياة، فالله هو الحيّ لا حيّ سواه على الحقيقة؛ لأنّ من سواه يجوز عليه الموت.

٢ـ القيّوم: من صيغ المبالغة (على وزن «فيعول»)، وهي ليست من الأوزان المشهورة، فهي صيغة مبالغة من القيام، ومن معانيها: القائم في تدبير أمر خلقه وفي إنشائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء، ومن معانيها الذي لا ينعس ولا ينام؛ لأنه إذا نعس أو نام لا يكون قيّوماً، ومن معانيها القائم بذاته، وجاء بصيغة التعريف (القيوم) لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ما الفرق بين السِّنةِ والنَّوم ؟

الجواب:

السِّنَةُ: هي النعاس الذي يتقدم النوم، ولهذا جاءت في ترتيب الآية قبل النوم، وهذا ما يعرف بتقديم السبق، فهو سبحانه لا يأخذه نعاس أو ما يتقدم النوم من الفتور أو النوم، والمتعارف عليه أنْ يأتي النعاس أولاً ثم ينام الإنسان.

وكرر سبحانه لفظة (لا) ولم يقل سبحانه: (لا تأخذه سنة ونوم) أو (سنة أو نوم): ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وهو بهذا ينفيهما سواءً اجتمعا أو افترقا، لكنْ لو قال سبحانه: (سنة ونوم) فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد، فقد تأخذه سنة دون النوم، أو يأخذه النوم دون السنة.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لماذا استعمل ﴿مَا﴾ بدل ﴿مَن﴾؟

الجواب:

١ـ ﴿مَا﴾: ما تفيد ذوات غير العاقل وصفات العقلاء. إذن لمّا قال ﴿لَّهُۥ مَا﴾ جمع العقلاء وغيرهم، ولو قال:﴿مَن﴾ لخصّ العقلاء، و(ما) أشمل وعلى سبيل الإحاطة.

٢ـ وقوله تعالى ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أمران:

آـ قصد الإحاطة والشمول .

ب ـ قدّم الجار والمجرور على المبتدأ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لإفادة القصر والحصر، أي: أنّ ذلك له حصراً وقصراً ولا شريك له في الملك، فنفى الشرك.

٣ـ وجاء ترتيب ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بعد ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ليدلّ على أنه قيوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره، وهناك فرق بين من يقوم على ملكه ومن يقوم على ملك غيره، فهذا الأخير قد يغفل عن ملك غيره، أمّا الذي يقوم على ملكه لا يغفل ولا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه، فله كمال القيومية.

وفي قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تفيد التخصيص، فهو لا يترك شيئاً في السموات والأرض إلا هو قائم عليه سبحانه.

السؤال الخامس:

ما فائدة تكرار اسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟

الجواب:

إذا قُصد التنصيص على الأفراد، أي: إذا قُصد كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التنصيص، تكرر اسم الموصول كما في [الآية البقرة ٢٥٥ ـ و الزمر ٦٨ـ النمل ٨٧ ـ الحشر ١ ـ يونس ٦٦].

السؤال السادس:

ما دلالة استعمال صيغة المثنى للسموات والأرض في آية الكرسي؟

الجواب:

السموات والأرض الكلام عليهما بالمثنى؛ لأنه جعل السموات كتلة واحدة والأرض كتلة واحدة فتحدث عنهما بالمثنى، على اعتبار أنهما مجموعتان.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ في الآية؟ وهل هذه صيغة استفهام ؟

الجواب:

١ـ الآية فيها دلالة واضحة على تبيان ملكوت الله وكبريائه وأنّ أحداً لا يملك أنْ يتكلم إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بإذنه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

وهذا الجزء من الآية والجزء الذي قبلها ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يدل على ملكه وحكمه في الدنيا والآخرة؛ لأنه لمّا قال: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ شمل ما في الدنيا، وفي قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ هذا في الآخرة، فدلّ هذا على ملكوته في الدنيا والآخرة.

٢ـ وأخرج الصيغة مخرج الاستفهام الإنكاري؛ لأنه أقوى من النفي، فدلّ هذا على أنه حيّ قيّوم، لأنّ الذي يَستشفع عنده حيّ والذي لا يستطيع أحد أنْ يتقدم إلا بإذنه يجعله هذا قائماً بأمر خلقه، وكلها تؤكد معنى أنه الحيّ القيّوم.

وتأمل هذا الأسلوب في الاستفهام ﴿مَن ذَا﴾ إنه استفهام لكنه خرج إلى معنى الإنكار والنفي، وكأنّ الله تعالى يريد أنْ يخبرنا عن شرف الشافع ومكانته عند الله تعالى، وهو محمد ﷺ وهو الشفيع في المحشر، فقال: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فلا أحد يشفع عند الله بحق الله، ولكنْ يشفع من خصّه الله تعالى بهذا الإذن، إنها كرامة ما بعدها كرامة.

السؤال الثامن:

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا﴾ هل هي كلمة واحدة أم اثنتان؟ وما الفرق بينهما ؟

الجواب:

١ ـ (من ذا): فيها احتمالان كما يذكر أهل النحو:

آ ـ فقد تكون كلمة واحدة بمعنى (مَن) استفهامية.

ب ـ وقد تكون كلمتين: (مَن) مع اسم الإشارة . يقال: من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟

ويقال في النحو: زيادة المبنى تعطي زيادة في المعنى، فقد نقول: من حضر، ومن ذا حضر؟

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ تأتي بالمعنيين (من الذي) و(من هذا الذي) باعتبار (ذا) اسم إشارة فجمع المعنيين معاً.

٢ ـ لكن (من ذا) أقوى من (من) لزيادة مبناها، ولذلك فالاختلاف في التعبير في قصة ابراهيم عليه السلام في آية الصافات (٨٥) واستعمال: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يعتبر أقوى مما استعمله في آية الشعراء ٧٠ ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لأنه في الأولى ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ لم يكن إبراهيم ينتظر جواباً من قومه، فجاءت الآية بعدها ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أمّا في الشعراء فالسياق سياق حوار فجاء الرد، قالوا: نعبد أصناماً.

إذن فإنّ (من ذا) و (ماذا) أقوى من (من) و(ما).

السؤال التاسع:

لِمَ لمْ يقل هنـا – أمن هذا الذي ـ بزيادة هاء التنبيه، كما في آية الملك ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾[المُلك:٢٠] ؟

الجواب:

في آية سورة الملك رقم (٢٠) قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ هذا مكون من (هـ) للتنبيه والتوكيد و(ذا) اسم الإشارة، وكذلك (هؤلاء) هي عبارة عن (هـ) و(أولاء)، فالهاء تفيد التنبيه والتوكيد، فإذا كان الأمر لا يدعو إليها لا يأتي بها .

ولنستعرض سياق الآيات في سورة الملك مقابل آية الكرسي:

آـ آيات سورة الملك في مقام تحدٍّ، فهو أشد وأقوى من سياق آية الكرسي؛ لأنّ آية سورة الملك هي في خطاب الكافرين.

ب ـ أمّا آية الكرسي فهي في سياق المؤمنين ومقامها في الشفاعة والشفيع وهو طالب حاجة يرجو قضاءها، ويعلم أنّ الأمر ليس بيده وإنما بيد من هو أعلى منه.

ج ـ وأمّا آية سورة الملك فهي في مقام النِّدِّ وليس مقام شفاعة؛ ولذلك جاء بـ (هـاء) التنبيه للاستخفاف بالشخص الذي ينصر من دون الرحمن ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[المُلك:٢٠] وهذا ليس مقام آية الكرسي.

والأمر الآخر أن التعبير في آية الكرسي اكتسب معنيين: قوة الاستفهام والإشارة، بينما آية الملك دلت على الإشارة فقط، ولو قال: (من الذي) لفاتت قوة الإشارة، ولا

يوجد تعبير آخر أقوى من (من ذا) لكسب المعنيين: قوة الاستفهام والإشارة معاً، بمعنى (من الذي يشفع، ومن هذا الذي يشفع).

السؤال العاشر:

ما المقصود بمعنى الآية: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ؟

الجواب:

أي: يعلم ما أمامهم مستقبلاً وما وراءهم، والمقصود إحاطة علمه بأمورهم الماضية والمستقبلية، ويعلم أحوال الشافع الذي يشفع ودافعه ولماذا طلب الشفاعة، ويعلم المشفوع له وهل يستحق استجابة الطلب، هذا عام، فهذه الدلالة الأولية.

السؤال الحادي عشر:

قال تعالى في سورة مريم: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[مريم:٦٤] فما الحكمة في أنها لم ترد على هذا الاسلوب في آية الكرسي؟

الجواب:

في سورة مريم سياق الآيات عن المُلك: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾[مريم:٦٢] ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [مريم:٦٣] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم:٦٥] والذي يرزق هو الذي يورّث فهو مالك، وقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[مريم:٦٥]؛ لأنه مالكهم .

أمّا في سورة آية الكرسي فالسياق عن العلم ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وبعد هذه الجملة يأتي قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي أنّ السياق في العلم؛ لذا كان أنسب أن تأتي ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وهذه الجملة هي كما سبق توطئة لما سيأتي بعدها.

السؤال الثاني عشر:

ما فائدة (مَا) في قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة:٢٥٥] ؟

الجواب:

(ما) تحتمل معنيين في اللغة:

آ ـ تحتمل أنْ تكون مصدرية بمعنى (لا يحيطون بشيء من علمه إلا بمشيئته).

ب ـ وتحتمل أنْ تكون اسماً موصولاً بمعنى (إلا بالذي شاء)، وهنا جمع المعنيين أي: لا يحيطون بعلمه إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه، أي: بالعلم الذي يريد وبالمقدار الذي يريد ويشاء نوعاً وقدراً.

وغير الله لا يعلم شيئاً إلا بما أراده الله بمشيئته وبالقدر الذي يشاؤه، والبشر لا يعلمون شيئاً حتى البديهيات، وهو الذي شاء أنْ يعلّم الناس أنفسهم.

السؤال الثالث عشر:

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ ولم يقل مثلاً: (ولا يعلمون شيئاً من علمه)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

لأنّ الإحاطة تقتضي الاحتواء على جميع أطراف الشيء بحيث لا يشذّ منه جزء من أوله ولا آخره، فأراد ربنا أنْ يصور لنا قصر علمنا وضعف مداركنا، فنحن قد نعلم شيئاً كان مجهولاً بالأمس ولكننا لا نستطيع أنْ نحيط بكل ما يلزم عنه، ولا نقدر على إدراك كل ما له به صلة، ولذلك فإنّ علومنا قابلة للتبديل والتعديل.

وانظر أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ ولم يقل: ولا يحيطون بعلمه؛ لأنّ (من) للتبعيض، وهذا مزيد من الدقة في تصغير معارفنا وعلومنا.

السؤال الرابع عشر:

قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ وفي آية طه ١١٠ قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه:١١٠] فهل هما يحملان نفس المعنى ؟

الجواب:

في قوله تعالى في آية طه ١١٠﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: بذاته، فنفي الإحاطة بالذات في آية طه، ونفى الإحاطة بالعلم في آية الكرسي.

والسبب أنه في سورة طه جاءت الآية تعقيباً على عبادة بني إسرائيل للعجل، وقد صنعوه بأيديهم وأحاطوا به علماً والله لا يحاط به، لقد عبدوا إلهاً وأحاطوا به علماً، فناسب ألا يقول العلم، وإنما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه:١١٠] أمّا في آية الكرسي فالسياق جاء في العلم لذا قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾.

السؤال الخامس عشر:

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ما دلالتها ؟

الجواب:

قوله تعالى:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ دلّ أولاً على أنه من ملكه السموات والأرض، وقبل هذه الجملة قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فدلّ على أنّ الذي فيهما هو ملكه أيضاً، لأنّ المالك قد يملك الشيء لكن لا يملك ما فيه وقد يكون

العكس، فبدأ أولاً ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: أنّ ما فيهما ملكه ولم يذكر أنّ السموات والأرض ملكه، وهنا ذكر أنّ السموات والآرض وما فيهما هو ملكه، وأنّ الكرسي وسع السموات والأرض، كما ورد في الحديث القدسي: «**السموات والأرض كحلقة في فلاة في الكرسي، والكرسي كحلقة في فلاة في العرش**».

وقد وسع كرسيه السماوات والأرض فما بالك بعرشه !!!!

السؤال السادس عشر:

ما الحكمة من استخدام صيغة الماضي في الفعل ﴿وَسِعَ﴾[البقرة:٢٥٥] ؟

الجواب:

الحكمة أنّ صيغة الماضي تدلّ على أنه وسعهما فعلاً، فلو قال: يسع، لكان فقط إخباراً عن مقدار السعة، فعندما نقول: تسع داري ألف شخص، فليس بالضرورة أنْ يكون فيها ألف شخص، ولكن عندما نقول: وسعت داري ألف شخص، فهذا حصل فعلاً .

فالفعل: (تسع): يعني إخباراً وليس بالضرورة أنه حصل، لكن الفعل (وسع) هو بمعنى حصل فعلاً وأن هذا أمر حاصل فعلاً.

السؤال السابع عشر:

ما معنى (كرسيه) في الآية؟ ولماذا جاءت معه كلمة السموات ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مع أنّ السماء أعم؟

الجواب:

١ـ الكرسي محل جلوس الملك، والعرش عندنا مكان الجلوس، والكرسي أقل. ومع المُلك تستخدم عرش، وفي البيت نقول: كرسي.

٢ـ السموات هي محل منازل الملائكة، والأرض محل الثقلين الجن والإنس.

٣ـ المَلِك ينبغي أنْ يكون على رعية، والرعية موجودة في السموات والأرض وليس السماء.

٤ـ السماء عامة، والسموات يقصد بها السموات السبع، وحيث إنّ السموات السبع والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة كما في الحديث، والكرسي في العرش كحلقة في فلاة. فالعرش أكبر، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، فإذا وسع كرسيه السموات والأرض فما بالك بالعرش؟!.

السؤال الثامن عشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ في الآية؟ ولماذا جاء بصيغة المثنى؟ وما دلالة (لا)؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: لا يثقله ولا يجهده، وجاء بـ (لا) للدلالة على الإطلاق ولا تدل على الزمن المطلق، وإنْ كان كثير من النحاة يجعلونها للمستقبل، لكنّ الأرجح أنها تفيد الإطلاق أي: (لا يمكن أن يحصل) . وجاء بصيغة المثنى لأنه قصد السموات والأرض .

السؤال التاسع عشر:

ما معنى (العلي والعظيم) وهما من أسماء الله الحسنى؟ وما دلالة تعريفهما ؟

الجواب:

العليّ: من العلو والقهر والتسلط والغلبة والملك والسلطان والعلو عن النظير والمثيل.

العظيم: من العظمة .

وقد عرّفهما: (بأل التعريف) لأنه لا عليّ ولا عظيم على الحقيقة سواه، فهو العليّ العظيم حصراً.

السؤال العشرون:

كم مرة ورد هذان الوصفان: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ هذان الوصفان وردا مرتين في ملك السموات والأرض، في آية الكرسي رقم (٢٥٥) في سورة البقرة، وفي آية سورة الشورى (٤) ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ والآيتان في ملك السموات والأرض بما يدلّ على العلو والعظمة حصراً له سبحانه.

٢ـ ومن اللطائف في ذلك أنّ الله تعالى ذكر هذين الوصفين ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ في المرة الأولى في السورة ذات الترتيب الثاني في المصحف، اسمان مقابل الترتيب الثاني.

وأعاد ذكرهما مرة ثانية في آية الشورى رقم (٤) فصار المجموع أربع.

السؤال الواحد والعشرون:

بدأت الآية بصفتين ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وانتهت بصفتين ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

الملاحظ في آية الكرسي أنها ذكرت في بدايتها صفتين من صفات الله تعالى ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وانتهت بصفتين ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ وكل جملة في الآية تدل على أنه الحيّ القيّوم والعليّ العظيم، سبحانه تقدست صفاته.

فالذي لا إله إلا هو هو الحي القيوم، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو حيّ وقيّوم، والذي له ما في السموات وما في الأرض أي: المالك والذي يدبر أمر ملكه هو الحيّ القيوم، والذي لا يشفع عنده هو الحي القيوم، ولا يشفع إلا باذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحاط بشيء من علمه هو الحيّ القيّوم، والذي وسع كرسيه السموات والأرض هو الحيّ القيّوم ،والذي لا يؤده حفظهما هو الحيّ القيّوم؛ لأنّ الذي يحفظ هو الحي القيوم وهو العلي العظيم.

والحي القيوم هو العلي العظيم، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم والذي له ما في السموات والأرض والذي لا يشفع عنده إلا باذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والذي لا يحاط بعلمه إلا بما شاء هو العليّ العظيم، فكل جملة في آية الكرسي المباركة تدلّ على أنه الحيّ القيّوم والعلي العظيم.

السؤال الثاني والعشرون:

ما الخطوط التعبيرية في الآية ؟

الجواب:

الملاحظ في الآية أنها تذكر من كل الأشياء اثنين اثنين:

١ـ بدأها بصفتين من صفات الله تعالى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ .

٢ـ وذكر اثنين من سمات النقص ﴿سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ .

٣ـ وكرّر (لا) مرتين ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ .

٤ـ وذكر اثنين في الملكية ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ .

٥ـ وكرر (ما) مرتين ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

٦ـ وذكر اثنين من علمه في ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ .

٧ـ وذكر اثنين مما وسعه الكرسي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ .

٨ـ وختم الآية باثنين من صفاته ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ .

٩ـ وقد ورد اسمان من أسماء الله الحسنى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ مرَّتين في القرآن: في آية البقرة ٢٥٥ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ومرة أخرى في آية آل عمران الثانية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ (لاحظ الرقم ٢ الذي هو رقم الآية).

١٠ـ وكذلك الاسمان ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ ورد في القرآن مرتين أيضاً، مرة في آية البقرة ٢٥٥، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ ومرة في سورة الشورى في الآية الرابعة .

السؤال الثالث والعشرون:

كم اسما من أسماء الله الحسنى ورد ظاهراً أو بإشارة الضمير في آية الكرسي؟

الجواب:

نجد في آية الكرسي ستة عشر اسماً لله تعالى، وإنْ حسبنا الضمير المستتر في (حفظهما) نجد أنها سبعة عشر اسماً، وإذا حسبنا الضمير الموجود في المشتقات مثل: الحي هو ـ القيوم هو ـ العلي هو ـ العظيم هو ـ صارت أسماء الله الحسنى الموجودة في هذه الآية واحداً وعشرين اسماً، ومن هذا جاءت عظمة هذه الآية.

❁❁❁❁

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الرُّشد والرَّشَد والرشاد ؟

الجواب:

١ـ الرُّشد: يقال للأمور الدنيوية والأُخروية، أمّا: الرَّشَد: ففي الأمور الأُخروية فقط، والرُشد عام ويشمل الرشاد.

٢ـ الرشاد هو سبيل القصد والصلاح، وهو مصدر: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾[غافر:٢٩] أي: سبيل الصلاح عموماً أو طريق الصواب.

شواهد قرآنية:

﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾[النساء:٦] الرُشد في الدنيا.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[البقرة:٢٥٦]

﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ۝٢٤﴾[الكهف:٢٤]

٣ـ الرشاد مصدر، والمادة اللغوية واحدة لهذه الكلمات، فـ (الرُّشد والرَّشد والرشاد) كلها مصادر للفعل: رشِد ورَشَد.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (لا) في الآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ﴾ و (ما) ؟

الجواب:

يقال: لا رجلَ في الدار، ويقال: ما من رجلٍ في الدار، فما الفرق بينهما علماً بأنّ التعبيرين نص في نفي الجنس؟

ـ (لا) تستعمل لجواب سؤال حاصل أو مقدر هو: هل من، نحو: من سأل عن وجود أحد في الدار؟ فالجواب: لا، ويكون الجواب كالإعلام.

ـ (ما) تستعمل كردٍّ على قولٍ أو ما نزل هذه المنزلة، نحو من قال: إنّ في الدار لرجلاً، فيكون الرد: ما من رجلٍ في الدار، فهو رد على قول وتصحيح ظن.

شواهد قرآنية على استعمال (ما) كرد على أقوالهم:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[المائدة:٧٣].

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران:٦١-٦٢].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[البقرة:٨].

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾[الأحزاب:١٣].

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[آل عمران:٧٨].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾[التوبة:٥٦].

شواهد قرآنية على استعمال ﴿لا﴾ كإعلام للمخاطب:

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾[البقرة:٢].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ﴾[البقرة:٢٥٦].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد:١٩].

السؤال الثالث:

ما نوع اللام في كلمة ﴿الدِّينِ﴾ في الآية ؟

الجواب:

اللام في ﴿الدِّينِ﴾ لام العهد أو بدل من الإضافة، والمراد: دين الله.

السؤال الرابع:

ما وزن كلمة ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ الطاغوت وزنه فعلوت، نحو: جبروت وملكوت ورهبوت، والتاء زائدة وهي مشتقة من طغا، وهذا اللفظ يقع على الواحد والجمع.

شواهد قرآنية:

على الواحد ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾[النساء:٦٠].

على الجمع ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[البقرة:٢٥٧].

٢ـ الأصل فيها التذكير، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧] فإنما أُنِّثت إرادة الآلهة.

٣ـ معنى الطاغوت: الشيطان ـ الكاهن ـ الساحر ـ الأصنام ـ وبشكل عام كل ما يعبد من دون الله.

السؤال الخامس:

ما المقصود من قوله تعالى في الآية ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ أي: تميز الحق من الباطل والإيمان من الكفر.

والفعل (تبين) إذا ظهر ووضح.

السؤال السادس:

ما المقصود من قوله تعالى: ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ وجمعها (عُرا)، والعروة هي الشيء الذي يتعلق به .

والوثقى تأنيث الأوثق، والمعنى: من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الواضحة القوية الدالة عليه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ أصل الفصم: كسر الشيء من غير إبانة، والمقصود المبالغة؛ لأنّ هذة العروة لا انقطاع لها ولا انكسار للدلالة على ثباتها.

السؤال السابع:

في آية البقرة ٢٥٦ يقول تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ ولم يقل في آية لقمان رقم ٢٢: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

الطاغوت رأس كل طغيان من ظالم أو غيره، هذا معنى الطاغوت مثل: فرعون والشيطان وجمعها طواغيت.

والكفر بالطاغوت أحياناً يؤدي إلى أذى شديد وهلكة، لذلك تحتاج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ يعني لا يحصل فيها أي خدش أو انفصال أو شيء.

فلما ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى مظلمة كبيرة أو إلى عذاب أو إلى هلكة أكّد ربنا تعالى فقال: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾.

أمّا في لقمان فهي اتباع ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ ﴾[لقمان:٢٢] فلا تحتاج، لذلك لمّا ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى هلكة كما صلّبهم فرعون في جذوع النخل، قال: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ تستمسك ولا تنفصم ولا تنفصل وكأنها تحفيز للاستعصام والاستمساك بالله سبحانه وتعالى.

السؤال الثامن:

ما دلالة ﴿فَقَدِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ ؟

الجواب:

١ـ (قد) حرف تحقيق مع الفعل الماضي .

٢ـ وإنْ كان مع الفعل المضارع فمن معانيها: التقليل أو الشك وتفيد التوكيد والتكثير أيضاً.

شواهد قرآنية:

ـ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ [البقرة:١٤٤] هذا يقين والله تعالى يرى ويعلم سبحانه وتعالى.

ـ ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ ﴾[الأحزاب:١٨].

٣ـ إذا دخلت (قد) على الماضي فهي للتحقيق بأنّ الأمر تحقق، وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تعني تحقق استمساكه.

ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾[المؤمنون:١]: هذا إخبار وتحقق.

قال الشاعر:

أيهـــــا الراكـــــب المُـــــيَمِّمُ أرضي   أقــرِ مــن بَعضِــيَ السَّــلامَ لبعضــي

إنَّ جســمي كــما عَلِمــتَ بِــأَرضٍ   وفــــؤادي وســـــاكنيه بــــأرضِ

قـــد قضــى الله بالفِـــراقِ علينـــا   فعســى باجتِماعنــا ســوف يَقضــي

❁❁❁❁

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى كلمة الولي ؟

الجواب:

تستعمل للتابع والمتبوع والناصر، والوليّ هو التابع المحب الذي يتولى أمره والولي الناصر، يعني: الله ولينا ونحن أولياء الله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يتولى أمرهم، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس:٦٢] .

والولي تستعمل للفاعل والمفعول وتسمى من الأضداد. يقال: مولى رسول الله، والله مولانا، وهناك كلمات كثيرة في اللغة العربية تستعمل في هذا، وهي واضحة في اللغة وفي الاستعمال القرآني أيضاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الجبت والطاغوت ؟

الجواب:

الطاغوت:

١ـ اشتقاقه من الطغيان وفعلها (طغى) وأصلها: طغووت، على وزن: ملكوت وجبروت ورهبوت، وهي مصادر تدل على المبالغة كما في الحديث «**جُلّلت الأرض والسماء بالعزة والملكوت**».

٢ـ المعنى: كل ما عُبد من دون الله، وهو كل رأس في الضلال حتى الساحر والكاهن والصنم والمارد من الجن، وهي عامة.

٣ـ استعملت في القرآن للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع، ويمكن أنْ تجمع طاغوت وطواغيت، كضيف وأضياف وطفل وأطفال.

٤ـ في آية البقرة ٢٥٧ كلمة الطاغوت فيها جمع؛ لأنّ للمؤمنين ولياً واحداً، وهو الله تعالى، فقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أمّا الكافرون فأولياؤهم متعددون من الشياطين وغيرهم، لذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[البقرة:٢٥٧] .

٥ـ آية الزمر ١٧ استعمل الطاغوت للجمع والمؤنث، وهي في الآية بمعنى الأصنام، وهي جمع بدليل ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[الزُّمَر:١٥] .

الجبت:

١ـ تأتي أحياناً بمعنى الطاغوت: وهي عامة وتطلق على الساحر والكاهن وعلى الأفعال غير المرضية، مثل الطيرة والعيافة والاعتقادات الباطلة والصنم .

٢ـ لها في المعنى نفس دلالة الطاغوت لكنّ فيها توسعاً في المعنى، مثل: الطيرة والعيافة والاعتقادات والمفاهيم والأفكار.

٣ـ ليس من صيغتها فعل وليس لها جمع ولا مثنى، وفي كتب اللغة يقولون: (الجبت) ليس من محض العربية في الأصل.

السؤال الثالث:

لماذا لم يقل الله هنا: طواغيت بدلاً من طاغوت؟

الجواب:

إنّ الطاغوت كلمة تتم معاملتها هنا كما نقول لك: فلان عدل، صفة مشبهة، أو الرجال عدل، وعلى هذا جاءت كلمة طاغوت، فالشيطان والدجال والكاهن والساحر والحاكم الذي يحكم بغير حكم الله كلهم طاغوت، فالطاغوت تطلق على الواحد أو الاثنين أو الجماعة، والمخرجون من النور إلى الظلمات هم أولياء الطاغوت، والدخول إلى النار يكون للطواغيت ولأتباعهم، وقانا الله وإياكم عذابها.

السؤال الرابع:

ما أهم الوقفات مع هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ كلمة (وليّ) جاءت من كلمة (وَلِيَ) أي: جاء الشيء بعد الشيء من غير فاصل، هذا يليه هذا، أي: هو الأقرب، وبالتالي هو أول من يفزع لينقذ وينجد.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهو أول من يفزع إليك بدون أن تصرخ؛ لأنه سميع عليم .

٣ـ كلمة (مولى) تطلق على السيد وتطلق على الخادم، قال الشاعر:

مولاك يا مولاي طالبُ حاجةٍ

٤ـ ولاية الله للمؤمنين أنه ناصرهم ومُحِبُّهم ومُجيبُهم ومُعينُهم، وهو قد أوضح لهم من الأدلة على الإيمان، هل هناك حبٌّ أكثر من هذا؟ هل ترَكَنا لنبحث عن الأدلة أو أنه لفتنا إلى الأدلة؟ لقد أوجد لنا الأدلة قبل أنْ نؤمن، وعندما آمنا والانا بالمعونة، وإنْ حاربنا خصومنا يكون معنا، وتستمر الولاية حتى يعطينا الجزاء الأوفى في الآخرة، فهو وليُّنا في كل المراحل.

٥ـ أفرد الله (الطاغوت) وأورد بالجمع الأفراد الذين ينقلهم الطاغوت إلى الظلمات.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعبير ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

التركيب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه دلالتان لغويتان:

١ـ استفهام عن رؤية قلبية أو بصرية مثل آية الفيل (١) مع (كيف) نحو قولك: ألم تر فلان اليوم أو: ألم تر كيف حُلَّ الموضوع؟

٢ـ بمعنى التعجُّب بمعنى: ألم ينتهِ لعلمك؟ من أجل لفت نظر السامع وطلب التأمل، مثل آية الفرقان (٤٥) مع (إلى).

إذن (ألم تر إلى) لها دلالة غير دلالة (ألم تر كيف).

٣ـ مع ملاحظة أن التعبير (ألم تر) ورد في القرآن الكريم في ٣١ موضعاً.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (مِتّم) بكسر الميم و(مُتّم) بضم الميم؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ﴾ استعمل الفعل المضارع (أميت)، ولم يرد لا في القرآن ولا في الشعر العربي في غير هذا الموضع استعمال المضارع (أميت)، وجاء على لسان من يحاجج إبراهيم فى ربه وليس الله عز وجل.

٢ـ (أمات) رباعيٌّ، و(يميتُ) من الرباعيِّ:

أـ عندما يقول: (مِتُّ) أصلها (أُمِتُّ) والتاء نائب فاعل، أي: أماته الله، ثم بناه لصيغة المفعول.

ب ـ وعندما يقول: (مُتُّ) ينسب الموت لنفسه، فتُعرب التاء في مُتُّ: (ضمير مبني في محل رفع فاعل).

وفي الحالين الأمر مردُّه إلى الله سبحانه وتعالى.

٣ـ إذا قال (مِتُّ) يكون على سبيل المجاز؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو المميت سبحانه والإنسان لا يميت نفسه.

وهذه القراءات (مِتُّ) قراءة سبعية، و(مُتُّ) قراءة سبعية، لكنّ الفهم إذا كسر يفهم أنه بُني للمجهول، وإذا ضم الميم يكون قد نسب الفعل إلى نفسه، وفي الحالين يكون الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

من المار على القرية المذكورة في هذه الآية ؟

الجواب:

اختلف المفسرون في الشخص المقصود في هذه الآية، وجمهور العلماء على أنه (العزير)، وقيل غيره .

والأصل في تعاملنا مع القرآن أنّ ما سكت عنه ربنا سبحانه وتعالى نسكت عنه؛ لأنه لا ثمرة فيه إلا إذا ورد فيه خبر صحيح من رسول الله يكون موضحاً لجزئية معينة

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿فَأَمَاتَهُ﴾ فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾ واستخدام الضرب على السمع للتعبير عن الموت في آية الكهف ١١ ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾[الكهف:١١]؟ وما دلالة استخدام ﴿بَعَثَهُۥ ۖ﴾ وليس أحياه؟

الجواب:

١ـ أهل الكهف لم يموتوا وإنما ناموا؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف:١٨] والراقد ليس ميتاً؛ ولذلك لا يصلح أن يقول: أماتهم.

٢ـ أمّا قوله تعالى في آية البقرة ٢٥٩ ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾

أـ نلاحظ أنه تعالى استعمل كلمة (يحيي) وكلمة الموت (أماته)، فلما استعمل الإحياء والموت ناسب ذلك أنْ يقول: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ لأنه تكلم عن موت وحياة.

ب ـ لكنْ قد يقول قائل: لما تكلم الله عن موت وحياة قال: ﴿فَأَمَاتَهُ﴾ فلِمَ قال: ﴿بَعَثَهُۥ﴾ ولم يقل: (وأحياه)؟

والجواب أنّ قوله: ﴿فَأَمَاتَهُ﴾ مناسب للموت، ويُفترض في غير القرآن أنْ يقال: فأماته الله مئة عام ثم أحياه، أي: جعل فيه الروح، أي: جعله حياً.

أمّا بعثه: فالبعث فيه معنى الإنهاض، بعثه: يعني أن الحياة جزء منه، ولمّا قال: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي: جعله ينهض.

والفعل (بعث) له معنيان متقاربان:

ـ المعنى الأول هو أرسله: كأنه بعد تقييده، وكأنه كان عنده ثابتاً ثم أرسله، لذلك يقولون: أرسل السهم.

ـ المعنى الثاني هو النهوض: يقول بعث الناقة عندما تكون باركة، بعثها: أي أقامها وأنهضها بأنْ حلّ رباطها.

وهذان المعنيان متقاربان: بعثه، أي: أنهضه كاملاً مبصراً عاقلاً؛ لأن (بعث) بمعنى استوى قائماً كما تستوي الناقة واقفة إذا بعثتها، وفي الآية: عندما ينهض هذا النائم الميت، معناه أنه أنهض بوعيه وبعقله حتى يحاور حتى يقال له: كم لبثت؟ ويجيب.

٣ـ ولما عُرِّفَ قدرةَ الله سبحانه وتعالى ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فبدأ الحمار شيئاً فشيئاً يتكوّن، عند ذلك قال: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾.

وهذه مسألة كان يعلمها، لكنها الآن أصبحت عنده يقيناً وكأنه كان متعجباً من كيفية إحيائها وهي قرية ميتة؟ فجعلها الله تعالى آية لمن بعده، ونحن من هؤلاء الذين يرون فيها آية من آيات الله .

السؤال الثالث:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ ما دلالة استخدام الواو ؟

الجواب:

لماذا حذف المعطوف عليه في قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ ؟

عندما أحيا الله تعالى العزير هل أحياه فقط ليجعله آية للناس؟ هنالك أمور أخرى ذكر منها: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾، فلمَ نجد العطف مقدراً على محذوف؟ لنفهم أنّ هناك أموراً أخرى لم يذكرها الشرع.

السؤال الرابع:

هناك قراءتان لكلمة (نُنشِزُها) فما الفرق بينهما؟

الجواب:

في كلمة ﴿نُنشِزُهَا﴾ قراءتان: قُرئت (ننشُرُها) من (أنشر) بالراء بمعنى بعث فـ (ننشُرُها) هنا أي: نُحيِيها.

وقُرئت ﴿نُنشِزُهَا﴾من (أنشز) إذا رُفِعَ الشيءُ، والآية تعني رفعها حين تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم بها، فالقراءتان تدلان على معنى واحد.

❊❊❊❊

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ختام الآية ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ بدل ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾؟

الجواب:

١ـ سياق الآية قد يحسم الأمر لدى المتكلم وحسب ما يريد المتكلم، فمثلاً عندما يذكر ربنا إحياء الأرض بعد موتها، لا يكون التعقيب في ختام الآيات واحداً، وإنما حسبما يريد المتكلم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يس:٣٣] فذكر إحياء الأرض الميتة وذكرموضوع الأكل، وفي آية أخرى

قال: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ١٩﴾ [الروم:١٩] فاستدل بها على أمر آخر غير الأكل.

وفي حياتنا اليومية تقول: سافرت إلى مدينة من المدن، فتقول: سافرت إلى مدينة من أجمل المدن، أو تعقب على أهلها فتقول: وجدت فيها أناساً طيبين، أو تعقب على المدة التي قضيتها فيها.

٢ـ التعقيب في آية البقرة رقم ٢٥٨ والكلام عن إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وهو حاكم معتدٍ ومعتزٌّ بحكمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٢٥٨﴾.

آـ لمّا قال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت، ألا يعلم أنّ الله على كل شيء قدير؟ بالطبع يعلم.

ب ـ ولمّا قال النمرود: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ جاء بشخصين قتل واحداً وأطلق الآخر.

ج ـ ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ وهي عامة؛ لأنّ الله أظلم قلوبهم فلم يُبْقِ لهم وجهاً ثابتاً يتمسكون به، فأين منهم الهداية وقد صاروا بعيداً عن مواطن أهل العناية.

وقصر فعل الهداية لزيادة المعنى وإفادة العموم.

٣ـ التعقيب في آية البقرة رقم ٢٥٩ ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل

لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ وانتهت الآية بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ والآية واضحة على إبراز قدرة الله سبحانه فناسب المضمون الخاتمة.

٤ـ آية البقرة ٢٦٠:

قال المفسرون: إنّ الله تعالى إذا خرق الناموس والأسباب فلعزته ولحكمةٍ يريدها هو؛ لأنّ الذي يفعل هكذا بالنواميس هو الحاكم والقادر والعزيز، فالله تعالى لا يفعل ذلك إلا لحكمة يريدها ولعزّته هو سبحانه وتعالى، فأراد ربنا لا أنْ يبين قدرته؛ لأنّ إبراهيم يعلم قدرته، لكنه أراد أن يبين عزته وحكمته تبعاً للسياق الذي وردت فيه الآية، فناسب ذلك التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠] وقبلها قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة:٢٥٩] إذن هي متماشية مع السياق.

السؤال الثاني:

في هذه الآية تكررت ﴿ثُمَّ﴾ مرتين، فهل هي تفيد التراخي في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ﴿ثُمَّ﴾ تفيد الترتيب والتراخي، والفاء تدل على التعقيب.

٢ـ ﴿ثُمَّ﴾ تفيد معنيين:

آ ـ ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ معناه هناك أكثر من جبل، أي: هناك صعود أربعة جبال، فاستعمل ﴿ثُمَّ﴾ حتى يجعل لإبراهيم سعة في أن يلتقط الطير ويصعد الجبال، ولو جاء بالفاء لم يجعل له سعة .

ب ـ ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ هذا يدل على قدرة الله أيضاً؛ لأنه بمرور الزمن قد يفسد اللحم، وكلما كان أقرب للذبح سيكون أسرع في الحياة، لكنْ حتى يبين أنه حتى لو تأخر الوقت وفسد اللحم سيحصل الأمر، ولو استعمل الفاء لم يفد هذا المعنى .

فجاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ ليجعل له متسعاً في الحركة ثم ليدل على قدرة الله، بمعنى أنه حتى لو تأخر الوقت سيحصل هذا الأمر والطيور ستأتيك مسرعة، وهذا أدل على قدرة الله، بينما لو جاء بالفاء لم يفد هذين المعنيين.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: احملهن إليك واضممهن إليك حتى تتعرف إليهن وترى وتحفظ أشكالهن، وهي أيضاً تشم رائحتك وتتعرف من أنت وتعرفها أنها هي نفسها بعد ذلك، وما قال القرآن: قطّعهن؛ لأنّ هذا معلوم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ .

قال الشاعر:

إني رأيــــــــت فتــــى قـــــد   زاد قلبــــــــــــي خبــــالا
قـــد صـــار هـــراً وكلبــــاً   وبَعـــدُ قـــدْ صـــار غـــزالا
ولي بـــــــذاك دليـــــــلٌ   مـــــن قـــــول ربي تعـــــالى

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[البقرة:٢٦٠] .

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في كلمة ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على لسان إبراهيم عليه السلام في هذه الآية؟ وكذلك في آية البقرة ٢٥٩ في قصة العزير؟

الجواب:

١ـ الكلام على لسان إبراهيم عليه السلام، وينبغي أنْ نتذكر أنّ إبراهيم عليه السلام في هذا الطلب كان يخاطب الله سبحانه وتعالى، وكان الله تعالى يخاطبه وليس وراء مخاطبة الله عز وجل إيمان، بمعنى أنه عندما يكلّم الله عز وجل ويسمعه ويسمع كلام الله تعالى فهل يحتاج إلى إيمان فوق هذا؟ هل يحتاج إلى دليل؟ هو يناجي ربه وربه يخاطبه، إذن المسألة ليست مسألة إيمان أو ضعف إيمان أو محاولة تثبيت إيمان؛ لأنّ مخاطبة الله عز وجل هي أعلى ما يمكن أن يكون من أسباب الإيمان.

٢ـ إبراهيم عليه السلام هو الأوّاه الحليم، وهو كليم الله عز وجل، والقضية معه ليست قضية إيمان .

٣ـ كان يمكن في غير القرآن أن يقال: (أرني كيف تحيي الموتى ليطمئن قلبي) فلماذا دخلت ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ ؟ الله سبحانه وتعالى يعلم أنه مؤمن؛ لأنه يكلّمه فكيف لا يؤمن.

والتساؤل عادة يكون لتقرير أمر، كما قال الله عز وجل في سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون:١] كان يمكن في غير القرآن أن يقول: (قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد أنّ المنافقين لكاذبون)، وإنما وضع بين هذه وهذه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون:١] لدفع ما قد يتوهمه إنسان، فجاءت في مكانها وهي جملة إيضاح وتثبيت معنى.

٤ـ وهنا قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ هذا للسامعين؛ لأنّ السامع عندما يسمع إبراهيم عليه السلام يقول: أرني كيف تحيي الموتى سيسأل: ألم يكن إبراهيم كامل الإيمان؟ فحكى لنا وذكر ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ إذن أثبت الإيمان لإبراهيم عليه السلام حتى لا يخطر في قلوبنا أنّ إبراهيم عليه السلام طلب هذا الأمر ليثبت إيمانه وهو مؤمن.

٥ـ إذن ما موضع الاطمئنان هنا؟ علماؤنا يقولون إنّ إبراهيم عليه السلام وهو كليم الله عز وجل والأوّاه الحليم كان في قلبه شيء يريد أنْ يراه ويلمسه، أنْ يرى سر الصنعة الإلهية، أنْ يرى هذه الصناعة كيف تكون؟

والقلب نقول عنه إنه غير مطمئن إذا كان يشغله شيء، ولفظة ﴿أَرِنِي﴾ تعني أريد أنْ أرى رؤية العين؛ لأنّ إحياء الموتى لا يُرى، فهو كان يتطلع إلى أنْ يرى هذا الشيء، والله

تعالى لم يجبه: لِماذا تريد أن ترى؟ هؤلاء الأنبياء مقرّبون إلى الله سبحانه وتعالى هو يختارهم فلا يفجؤهم بردٍّ يضربهم على أفواههم .

٦ـ ولذلك قيل له: خذ أربعة من الطير، و يبدو أنّ الجبال التي كانت حوله أربعة، والجبل هو كل مرتفع صخري عن الأرض وإنْ كان قليلاً.

وقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: احملهن إليك واضمُمهن إليك حتى تتعرف إليهن وترى أشكالهن، وهي أيضاً تشم رائحتك وتتعرف من أنت، وما قال القرآن: قطّعهن؛ لأنّ هذا معلوم من كلمة ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾.

إذن أربعة طيور ذُبِحن وقُطِّعن وجُمّعن وقُسِّمن أربعةَ أقسامٍ، ووضع إبراهيم عليه السلام كل قسم على كل جبل فاجتمعت جميعاً بمجرَّد أنْ ناداها وجاءت إليه مسرعات ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.

٧ـ هذا ليس مجرد إخراج ميت إلى الحياة، وإنما بهذا التقسيم إبراهيم عليه السلام كان يريد أنْ يرى هذا الشيء- ليس شكّاً- فيرى يد الله عز وجل كيف تعمل، شيءٌ أحبَّ أنْ يراه ولا علاقة له بقوة الإيمان؛ لأنّ إيمانه لا شك فيه وأثبته لنا القرآن الكريم .

٨ـ في موقف شبيه قصة العزير: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة:٢٥٩] أراه مثالاً في نفسه هو، مسألة إحياء الموتى كانت تداعب

أذهان وفكر الكثيرين من باب الاطلاع على الشيء ولمعرفته وليس للشك؛ لأنه كان هناك يقين بأنّ الله تعالى يحيي الموتى وهذا هو الإيمان.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ ما دلالة ﴿مِّنَ﴾ في قوله ﴿مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ وهل تفيد معنى زائداً فيما لو قال: فخذ أربعة طيور؟

الجواب:

جيء بـ ﴿مِّنَ﴾ في الآية لتدل على التبعيض، وهذا ما يضيف معنى آخر وهو التعدد والاختلاف، خلافاً لقولنا: أربعة طيور، فهذه العبارة لا تدل على تعدد أنواعها، فقد تكون الطيور من صنف واحد، وقد دخلت ﴿مِّنَ﴾ على هذه الآية لتدلنا على التعدد والاختلاف، حتى لا يتوهم مشكك بأنّ بعض الأنواع أهون بالإحياء والبعث من بعض.

السؤال السادس:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ لِمَ خصّ ربنا تعالى إجابة الطيور بالسعي لا بالطيران، مع أنّ هذا مخالف لطبيعة الطير؟

الجواب:

جعل الله سبحانه وتعالى هذا السعي دليلاً وآية على عودة الحياة بعد موت، والحياة التي رُدّت إليهن مخالفة لحياتهن السابقة، ولذلك عجزن عن الطيران؛ لأنه غير معهود بهذه الحياة الجديدة.

السؤال السابع:

ما اللمسة البلاغية في قوله تعالى ﴿سَعۡيٗاۚ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿سَعۡيٗاۚ﴾ حال منصوب جاء على صيغة المصدر، وهو أبلغ من (ساعيات)؛ لأنه أخبر عن الذات بالحدث المجرد، كأنه ليس شيء يثقله من الذات فأصبح حدثاً مجرداً.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء:٣٧] حال جاء بها على وزن المصدر (مرح) وهذا يفيد المبالغة؛ لأنك إذا أتيت بالحال مصدراً فهو للمبالغة قطعاً، وعندما تقول: جاء ركضاً، أبلغ من: جاءك راكضاً.

❁❁❁❁

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾

السؤال الأول:

ما وجه الخصوصية في الحبّة التي اختارها الله تعالى للدلالة على مضاعفة الأجر والثواب؟

الجواب:

جعل الله سبحانه وتعالى الحبة مثلاً لمضاعفة الأجر والثواب؛ لأنّ تضعيفها ذاتيّ فهي تزداد وتنمو وتخلف بنفسها لا شيء يزاد عليها، وكذلك الحسنة يضاعفها الله تعالى بذاتها لا بعمل آخر يضاف إليها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة هذه: ﴿سَنَابِلَ﴾ بجمع الكثرة، وفي آية يوسف ٤٣ ﴿سُنبُلَٰتٍ﴾ [يوسف:٤٣] بجمع القلة، ما قواعد استعمال جمع القلة وجمع الكثرة في القرآن الكريم؟

الجواب:

أولاً: القواعد النحوية:

١ـ القاعدة أنْ يكون جمع القلة للقلة، وجمع الكثرة للكثرة، وجمع الكثرة يكون أكثر من عشرة.

شواهد قرآنية:

﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٍ﴾ [يوسف:٢٠] جمع كثرة، و﴿أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٍ﴾ [البقرة:٢٢٦] جمع قلة، و﴿عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [التوبة:٣٦] جمع كثرة، ﴿سَبۡعَةُ أَبۡحُرٍ﴾ [لقمان:٢٧] جمع قلة، و﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ [التكوير:٦] جمع كثرة، ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [آل عمران:١٢٤] جمع قلة، و﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [البقرة:٢٤٣].

٢ـ جمع المذكر السالم والمؤنث السالم من جموع القِلّة، خاصة إذا كان يوجد معه جمع آخر يدل على الكثرة، فإذا لم يكن معه جمع آخر استخدم للقليل والكثير.

مثلاً: جمع (ساجد) ساجدون وسُجّد وسجود، أي هناك أكثر من جمع، فتكون (ساجدون) للقلة؛ لأنه يوجد جمع للكثرة: سُجّد.

٣ـ والجموع في العربية سبعة وأربعون جمعاً، منها أربعة فقط للقلّة والباقي للكثرة، وأوزان جمع القلة هي:

ـ أفعُل، مثل: أنفُس وأعيُن .

ـ أفَعال، مثل: أسياف وأعناب.

ـ أفعِلة، مثل: أرغفة وأعمدة.

ـ فِعلَة، مثل: فتية وصبية.

٤ـ ويجوز أنْ يستعمل القلة للكثرة، والكثرة للقلة حسب المقام، أمّا في القرآن فقد يُعطى وزن القلة للكثرة والكثرة للقلة لأمر بليغ.

ثانياً ـ سنبلات وسنابل:

١ـ سنبلات جمع قِلّة، وسنابل جمع كثرة.

٢ـ العدد واحد (سبع) في الآيتين، فلماذا استعمل القِلة مرة والكثرة مرة؟

٣ـ الآيات هي قوله تعالى:

آ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ (سبع) استعملت مع جمع كثرة سنابل؛ لأنها في مقام مضاعفة الأجور والتكثير.

ب ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف:٤٣] (سبع)

استعملت مع جمع القلة ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ [يوسف:٤٣]؛ لأنّ الآية تتحدث عن رؤيا محددة ولا مجال للتكثير فيه، والمقصود من العدد فيها هو سبعة بالضبط بدون زيادة .

٤ـ أمثلة أخرى:

ـ (قيام) جمع كثرة، و(قائمون) جمع قلة.

ـ (أعين) للبصر، و(عيون) للماء.

ـ (الأبرار) جمع قلة، وهي تستعمل للمؤمنين فقط ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار:١٣]

ـ (البررة) جمع كثرة وهي تستعمل للملائكة فقط؛ لأنهم أكثر نحو: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس:١٦] .

ـ قوله تعالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف:٢٠] مناسبة مع كلمة (بخس) في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف:٢٠] في سورة يوسف، وتعني أكثر من عشرة فهي كثرة، لكن حتى لو دفعوا أكثر من عشرة دراهم يبقى الثمن ثمناً بخساً.

ـ قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:١٨٤] في آية الصيام في سورة البقرة، قللها فهي أيام معدودات، ليست كثيرة، وهنا تنزيل الكثير على القليل، حيث قلل أيام الصيام لكن أجرها كبير.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢٦١ : ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وقال في آية الأنعام ١٦٠ : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فما سبب هذا الفرق في الأجر ؟

الجواب:

آية البقرة ٢٦١ خاصة في النفقة في سبيل الله فجعلها سبعمائة ضعف .

وأمّا آية الأنعام فهي في مطلق الحسنات من الأعمال .

❁❁❁❁

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية في ذكر الفاء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٤] في آية البقرة ٢٧٤ وحذفها ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في آية البقرة ٢٦٢؟ وما الفرق بين الفاء والواو العاطفتين في بعض آيات القرآن مثل هاتين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ (الفاء) كما هو معلوم تأتي للتعقيب، والتعقيب أي: يأتي بعدها مباشرة، في عقب الشيء، أمّا الواو فهي لمطلق الجمع ولا يدل على ترتيب أو تعقيب، وتأتي الفاء للسبب، أي: سببية: درس فنجح، والواو ليس فيها سبب.

٢ـ الآيتان بدأتا باسم الموصول (الذين) وكلاهما في سياق الإنفاق .

٣ـ لماذا جاء بالفاء في الثانية دون الأولى؟

آـ الفاء واقعة في جواب اسم الموصول، وهنا الاسم الموصول مشبّه بالشرط، واسم الموصول أحياناً يشبّه بالشرط بضوابط،فتقترن الفاء في جوابه كما تقترن بجواب الشرط،وكل واحدة لها معنى.

مثال: الذي يدخل الدار له مكافأة، والذي يدخل الدار فله مكافأة.

الأولى فيها احتمالان إمّا أن له مكافأة بسبب دخوله الدار،كأنّ الدار مقفلة وهو يفتحها،أي:أنّ المكافأة مترتبة على دخول الدار،وإمّا أن يكون للشخص الذي يدخل الدار مكافأة بسبب آخر،إذن هناك احتمالان عندما لا تذكر الفاء.

وإذا ذكرت الفاء فلا بدّ أنّ المكافأة مترتبة على الدخول قطعاً وليس لأي سبب آخر،وهذا تشبيه بالشرط؛ أي أنّ المكافأة شرط الدخول في الدار.

ب ـ أيضاً هناك ملاحظة، وهي أنه في تشبيه الموصول بالشرط أحياناً يكون الغرض من ذكر الفاء هو التوكيد،أي أن ما يُذكر فيه الفاء آكد مما لم يذكر،كقوله تعالى في آية البقرة ٢٦٢ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾[البقرة:٢٦٢]بدون فاء،والثانية في آية البقرة ٢٧٤ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[البقرة:٢٧٤].

نلاحظ أن الله تعالى زاد فيها ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [البقرة:٢٧٤]ونسأل: أيهما آكد؟

بالطبع التي فيها الفاء؛لأنّه في الآية الأولى قال فقط:﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٦٢] أمّا في الثانية فقال:﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة:٢٧٤] **فحدد أكثر**، لذا جاء بالفاء في مقام التوكيد والتفصيل.

أمّا الآية الأولى فذكر فيها الإنفاق في سبيل الله ولم يفصّل،فاقتضى الحذف.

السؤال الثاني:

ما دلالة (ثم) في الآية ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾[البقرة:٢٦٢] ؟

الجواب:

١ـ لم يقل الحق: (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ولا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى)، وإنما جاء بـ (ثم) هنا فقال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾ ، وذلك أنّ المنفق بالمال قد لا يمن ساعة العطاء، ولكنْ قد يتأخر المنفق بالمن، فكأنّ الله سبحانه ينبّه كل مؤمن إلى أنه يجب أنْ يظل الإنفاق غير مصحوب بالمن فلا يمتنع وقت العطاء فقط، ولكنْ لا بدّ أنْ يستمر عدم المن حتى بعد العطاء وإنْ طال الزمن.

٢ـ و(ثم) تفيد التراخي، والمن عبء نفسي كبير، وكلمة (أجرهم) هي طمأنة إلى أنّ الأمر قد أُحيل إلى موثوقٍ بأدائه وإلى قادرٍ على هذا الأداء، قالت الزهراء بنت رسول الله ﷺ وقد كانت تجلو الدرهم وتطيبه قبل أنْ تتصدق به: (**إني لأعلم أنه يقع في يد الله قبل أنْ يقع في يد الفقير**).

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ؟

الجواب:

قول الحق: ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾[البقرة:٢٧٤] ولم يقل: (ولا خوف منهم) لأنّ الحق يريد أنْ يوضح لنا أنّ هناك عنصراً ثالثاً سيتدخل بصورة المحب فيقول: ادخر للأيام القادمة، ادخر لأولادك.

والله ينبهنا أنّ المنفق في سبيل الله يجد الحماية والعطاء من الله فلا خوف على المنفق ولا يحزن.

وآفة الناس أنهم يقيسون الرزق بما يدخل له من مال ولا يقيسون الأمر برزق السلب، ورزق السلب هو محط البركة، وذلك بإبعاد أهله وأولاده من الأمراض والمصائب، فيوفر في ذلك مالاً كثيراً فتظهر البركة على كسبه.

أمّا غير المنفق خوفاً من مصاريف الأولاد والمستقبل فيسلبه الله الرزق بالبلاء والأمراض والمصائب.

لذلك أيها المؤمن إنْ لم تسع الناس بمالك فسعهم بحسن الرَّدِّ، قال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»؛ ولذلك يقول الحق في الآية التي تليها: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾[البقرة:٢٦٣] .

السؤال الرابع:

ما أهم الأسس التي أراد الله أنْ يوضحها في آيات الإنفاق في سورة البقرة؟

الجواب:

من دراسة آيات الإنفاق في سورة البقرة نجد أنّ الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يوضح لنا أسس الإنفاق ومعالجة آفاته:

آ ـ أنّ النفقة لا تنقص المال وإنما تزيده سبعمئة مرة.

ب ـ أنّ النفقة لا يصح أنْ يبطلها الإنسان بالمن والأذى.

ج ـ أنّ القول المعروف خير من الصدقة المتبوعة بالمن والأذى.

د ـ أنّ الإنفاق يجب ألا يكون رئاء الناس، وإنما يكون ابتغاءً لمرضاة الله.

❁❁❁❁

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين المغفرة والغفران ؟

الجواب:

الغُفران: وردت مرة واحدة فقط في القرآن في قوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥] وهي طلب المغفرة من الله ومنه وحده فقط.

المغفرة: لم تأتِ في الطلب وإنما في الإخبار كقوله تعالى: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[الأنفال:٧٤] وكقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ﴾[البقرة:٢٦٣]؛ لذلك قد تتعدد المغفرة من غير الله، وهي ليست خاصة بالله فقط .

السؤال الثاني:

لماذا ختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)﴾؟

الجواب:

لأنها تضمنت ذكر الأذى فتطلب من ذلك الحلم، فقال: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)﴾ أي: لمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحلم؛ لأنّ الحليم لا يعجل بالعقوبة ولا يغضب سريعاً إذا أُوذي، فلمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحِلم.

❁❁❁❁

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)﴾

السؤال الأول:

قال: في آية البقرة ٢٦٤: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ وقال في آية إبراهيم ١٨ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[إبراهيم:١٨] فما الحكمة؟

الجواب:

١ـ في آية البقرة المثل للعامل فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب؛ لأنّ (على) من صلة القدرة.

وفي آية البقرة السياق في الإنفاق والصدقة، والمنفق معطٍ وليس كاسباً ولذلك أخّر الكسب .

٢ـ في آية إبراهيم عليه السلام، المثل للعمل لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ﴾[إبراهيم:١٨] وتقديره: مثل أعمال الذين كفروا ،والسياق هنا في العمل، والعامل كاسب فقدّم الكسب .

فكان تقديم (مما) تقديم نفي ما كسبوا أنسب؛ لأنه صلة (شيء)، وهو الكسب.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ كيف نوفق هذه الآية ونحن رأينا أنّ الله هدى خلقاً كثيراً من الكفار من قريش وغيرهم ؟

الجواب:

المراد بذلك ممن سبق علمه عند الله بأنه لا يؤمن، وأنه يموت على كفره فهو عام مخصوص، أو أنه غير مهدي في حال كذبه وكفره . والله أعلم .

السؤال الثالث:

لم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ ولماذا لم يقل مثلاً: (الظالمين)؟

الجواب:

السبب أنّ الله ذكر في الآية ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ﴾ أي أنه كافر، فناسب ذكر الكافرين في ختامها .

ولو قال: ظالم، فالظالم ليس بالضرورة كافراً ؛ فقد يكون ظالماً غيره، ومن المعلوم أنّ كل كافر ظالم، ولكن ليس كل ظالم كافراً .

❁❁❁❁

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى الطَّلّ في الآية ؟

الجواب:

الطَّلُّ هو الندى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (خبير) و(بصير) في فاصلة الآيتين البقرة ٢٦٥ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾[البقرة:٢٦٥] والنساء ٩٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾[النساء:٩٤]؟

الجواب:

١ـ البصير:من البصر، والبصرُ: يأتي بمعنيين في اللغة، إمّا البصر وهو الحاسة الباصرة التي ينظر بها، وإمّا (البصيرة) من الإبصار في القلب.

إذن كلمة (بصير) فيها أمران: بصير ضد الأعمى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الرعد:١٦] من ناحية الرؤية، وبصير لمن كان قلبه بصيراً (ذا معرفة).

والنظر هو طلب الاستدلال والهدى وطلب ظهور الشيء، والنظر يشاهد بالعين فيفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي، فصح بهذا أنّ النظر تقليب لعينٍ حيال مكان المرئي طلباً لرؤيته .

ولمّا كان الله يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صح أنه لا يوصف بالنظر، وأما الرؤية فهي إدراك المرئي .

والعين آلة البصر وهي الحدقة ،والبصر اسم للرؤية.

٢ـ الخبير هو العليم ببواطن الأمور، فربنا عندما يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾[فاطر:٣١] يعني: محيط ببواطن الأمور وظواهرها، أي: خبير ببواطن الأمور وبصير بظواهرها .

❁❁❁❁

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (الضعف) في القرآن في آية البقرة ٢٦٦ ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ وآية النساء ٢٨ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾؟

الجواب:

١ـ كلمة (الضعف) ضد (القوة)، والقوة إمّا مادية وإمّا معنوية .

٢ـ آية البقرة ٢٦٦ هي مثال لمن يحوّل عمله الصالح إلى سيء، وفي الآية شبه ذلك في الدنيا بحديقة واسعة لإنسان ما، وفيها من كل الثمرات والأنهار تجري من تحتها، فماذا يريد الإنسان بعد هذا من حيث الجانب المادي؟ وأصابه الكبر فهو لا يستطيع أنْ يزرع، وهذا الرجل الكبير عنده أطفال صغار السن و﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾ .

وهذه مصيبة عظمى، وهذه الصورة التي يرسمها القرآن صورة جنة أثمار وأعناب ونخيل والذرية ضعفاء ما عندهم قوة لإعادة الزراعة واحترقت الجنة، وهكذا شأن الذي يتحول من الإيمان إلى الضلال والمعصية والكفر.

٣ـ الضعف فيه لغتان: بفتح الضاد (الضَّعف) وبالضم (الضُّعف). وهما لهجتان عربيتان فصيحتان نزل بهما جبريل عليه السلام على صدر رسول الله ﷺ حتى لا يعترض أحدٌ على أحد.

٤ـ أما ـ الضِّعف ـ بالكسر فيعني: المكرر، وضِعف كذا يعني: مثله، وليس مرتين كما هو الشائع، تقول هذا ضِعف هذا، أي: بقدره، فإذا أردت بقدر مرتين، تقول: ضِعفين.

السؤال الثاني:

ما دلالة خاتمة الآية ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾؟

الجواب:

١ـ وردت هذه الفاصلة في سورة البقرة مرتين في الآيات [٢١٩ـ ٢٦٦].

٢ـ تأتي هذه الفاصلة عند طلب التفكر إمّا بضرب مثل، وإمّا يكون جواباً عن سؤال حتى يتفكر الإنسان في الإجابة .

٣ـ للعلم الآيتان[٢١٩ ـ ٢٦٦] تتعلقان بالمال .

السؤال الثالث:

استعمل القرآن أحيانا (النخل) وأحيانا (النخيل) فما الفرق بينهما ؟

الجواب:

١ـ النخل: اسم جنس جمعي، والنخيل جمع، واسم الجنس أشمل وأعم من الجمع كما قرره علماء اللغة، وكما هو في الاستعمال القرآني؛ ذلك أنّ اسم الجنس يشمل المفرد والمثنى والجمع ويقع على القليل والكثير .

إذن (النخل) أعم وأشمل من (النخيل) ؛ لأنه اسم جنس جمعي، ويؤيد ذلك الاستعمال القرآني؛ فقد أورد القرآن (النخيل) في ثمانية مواضع، وهي فيها لا تفيد الشمول؛ وهذه المواضع:

[البقرة ٢٦٦ ـ الإسراء ٩١ ـ المؤمنون ١٩ ـ يس ٣٤]، وفي هذه الآيات الأربع جعل النخيل في جنات، فلا يشمل ما في غير الجنات.

وفي آية الرعد ٤ قال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ فخرج ما لم يُسقَ بماء واحد.

وفي آية النحل ٦٧ قال: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فخرج منه ما لم يتخذ منه السُّكْرُ.

٢ـ أما (النخل): فهو عامٌّ يشمل الصغير والكبير المثمر وغيرَه، سواء في جنات أم في غيرها، وسواء كانت نخلة واحدة أم أكثر .

في آية الرحمن ٦٨ في وصف الجنة ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾ ونخل الجنة كثير كثير.

في آية الشعراء ﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴾ والنخل ههنا يشمل ما في الجنات وغيرها.

في آية الرحمن ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴾ أيضا النخل ههنا يشمل ما في الجنات وغيرها.

وكذلك كلمة (النخل) الواردة في الآيات: [القمر ٢٠ ـ الحاقة ٧ ـ طه ٧١ ـ ق ١٠] لم يخصص النخل فيها بشيء، فهو أعم من النخيل وأشمل .

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاختلاف في نهايات آيات البقرة [٢٦٣ـ ٢٦٧ـ ٢٦٨]؟

الجواب:

١ـ فاصلة الآية ٢٦٣ ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ لمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحلم؛ لأنّ الحليم لا يعجل بالعقوبة ولا يغضب سريعاً إذا أُوذي، فلمّا ذكر الأذى ناسب ذكر الحِلم.

٢ـ فاصلة الآية ٢٦٧ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ هذه ليس فيها ذكر أذى وإنما إنفاق ما هو خِلاف الأَوْلى، أنت إذا أنفقت من الخبيث فالله غني عن هذا، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا

﴿تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧]؛ لذا يجب أنْ تنفق الطيب وليس الخبيث الرديء، فإذا أنت أنفقت الخبيث في سبيل الله فالله غني عن هذا.

٣ـ فاصلة الآية ٢٦٨ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الله واسع بالرحمة والفضل، وهو واسع المغفرة والفضل، عليم بما تنفقون، فيجازيكم على ما تنفقون، فهو واسع العطاء واسع الخير واسع الرحمة، وعليم بما تفعل فيجازيك، فلماذا تخشى الفقر؟ الشيطان يعدكم الفقر والله تعالى واسع العطاء وواسع المغفرة وواسع الرحمة، فلماذا تخشى الفقر.

❁❁❁❁

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قدّم ربنا سبحانه وتعالى الفاعل على فعله في الآية ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾؟

الجواب:

الفاعل هو (الشيطان) والفعل يعدكم، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾ ولم يقل: يعدكم الشيطان، بلْ قدم الفاعل على فعله؟ فلماذا؟

إنّ في تقديم اسم الشيطان وابتداء الآية به إيذاناً لك أيها المؤمن بذمّ الحُكم الذي سيأتي بعده لتحذر الوقوع به، ألا ترى أنك تحذِّر السامع فتقول له: السفاح في دار صديقك، وذلك بخلاف قولك: في دار صديقك السفّاح.

السؤال الثاني:

ما معنى (الفحشاء) في القرآن؟ وما معناها في هذه الآية خاصة؟

الجواب:

كل فحشاء في القرآن هي زنا، إلا في هذه الآية فجاءت بمعنى البخل .

السؤال الثالث:

ماعلاقة هذه الآية رقم ٢٦٨ بالآية ٢٦٩؟

الجواب:

آ ـ طلب المغفرة والفضل من الله تعالى هو من الحكمة .

ب ـ الذي يؤتى الحكمة يؤتى خيراً كثيراً وأكثر من المال .

ج ـ في الآية تحذير من وسوسة الشيطان في عدم الإنفاق لئلا يصير فقيراً، فوعد الله تعالى المؤمنين بالمغفرة منه والفضل .

د ـ نكّر ﴿مَّغْفِرَةً﴾ وأضاف لها ﴿مِّنْهُ﴾ فعُلِمَ أنّ المقصود تعظيم هذه المغفرة؛ لأنها من الله العظيم، وعِظم المعطي يدل على عِظم العطية وكمالها أنها من الله الغفور حصراً.

لذلك هناك فرق شاسع بين طريق الشيطان الذي يأمر بالبخل وعدم الإنفاق في سبيل الله، وطريق الحق سبحانه وتعالى الذي يعد بالمغفرة والفضل والخير العميم.

فمن الحكمة والعقل اتباع طريق الحق؛ لأنّ فيه المغفرة وفضل الله تعالى والخير في الدارين، ولذلك ختم الآية رقم (٢٦٩) بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ والله أعلم .

السؤال الرابع:

ما دلالة فاصلة هذه الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية السابقة ٢٦٧.

❀❀❀❀

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾

السؤال الأول:

الآيتان ٢٦٨و ٢٦٩ تتحدثان عن الإنفاق والحكمة فما العلاقة بينهما ؟

الجواب:

الآيتان الكريمتان هما قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾[البقرة: ٢٦٨-٢٦٩].

وطلب المغفرة والفضل من الله إنما هو من الحكمة؛ لأنه يعني أنّ صاحبها أوتي من الحكمة ومن الخير أكبر وأوسع ممّا في المال .

فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾[البقرة:٢٦٨] ثم قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ﴾[البقرة:٢٦٩] يعني أنّ الذي يطلب المغفرة والفضل خيره أكبر من مجرد المال مهما كان هذا المال؛ لأنه داخل في الخير وداخل في الفضل وداخل في المال وداخل في كل شيء، ففيها ارتباط والكلام عام.

السؤال الثاني:

ما المقصود بالحكمة في هذه الآية؟ ولِمَ لم تنسب لله عز وجل؟

الجواب:

١ـ الحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً، أو هي توفيق العلم بالعمل، فلا بدّ من الأمرين معاً: القول والعمل، فمن أحسن القول ولم يحسن العمل فليس بحكيم، ومن أحسن العمل ولم يحسن القول فليس بحكيم.

فالحكمة لها جانبان: جانب يتعلق بالقول، وجانب يتعلق بالعمل، والحكمة خير كثير كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩].

٢ـ الله تعالى مؤتي الحكمة؛ ولذلك نلاحظ أنه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

وقال: ﴿ءَاتَيْنَا﴾[لقمان:١٢] بإسناد الفعل إلى نفسه، ولم يقل: لقد أوتي لقمان الحكمة، بل نسب الإتيان لنفسه، والله تعالى في القرآن الكريم يسند الأمور إلى ذاته العلية في الأمور المهمة وأمور الخير، ولا ينسب الشر والسوء إلى نفسه البتة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[الجن:١٠].

٣ـ أمّا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩] فقد قال عز وجل قبلها: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩] فنسب إتيان الحكمة إلى نفسه، ثم أعادها عامة بالفعل المبني للمجهول.

❁❁❁❁

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

جاء فعل الشرط ﴿أَنفَقْتُم﴾ بصيغة الماضي، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الفعل الماضي ﴿أَنفَقْتُم﴾ هو إخبار بأنّ ما فعلته أو حصل منك قد علمه الله. ولو جاء بصيغة المضارع (تنفقوا) لدل على التجدد والتكرار .

❁❁❁❁

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

السؤال الأول:

إلى من يعود الضمير في قوله تعالى في الآية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ؟

الجواب:

قد يتقدم معنى المفسر ولا يتقدم لفظه صراحة، وفي الآية الضمير في ﴿فَهُوَ﴾ عائد على الإخفاء ولم يتقدم ذكره بل تقدم فعله . والله أعلم .

السؤال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ . لماذا قدّم العمل على الخبرة ؟

الجواب:

القاعدة في القرآن أنه إذا كان الكلام عن عمل الإنسان فإنه يقدم العمل على الخبرة، وإذا لم يكن الكلام عن العمل وإنما في أمر قلبي أو عن الله تعالى فإنه يقدم الخبرة .

وفي الآية الصدقة هي عمل فقدمه فقال: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ .

السؤال الثالث:

جاء فعل الشرط بصيغة المضارع ﴿تُبْدُوا﴾ ﴿تُخْفُوهَا﴾ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

التعبير بفعل الشرط المضارع يفيد تكرار الحدث وتجدده، كما هو في هذه الآية حيث تتجدد الصدقات دائماً .

❀❀❀❀

﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ من بعض كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية، فما هذه المنظومة في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال السادس من آية البقرة رقم ١٥٨ .

❀❀❀❀

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

ماذا أراد ربنا بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهل ضرب الأرض فِعل الأغنياء ؟

الجواب:

هذا وجه بديع من أوجه اللغة العربية وهو باب الكناية، والكناية: أنْ تقول كلاماً وتريد ما يلزم عنه، فتقول: هذا رجل سيفُه طويلٌ، يريد ما يلزم عنه وهو طول الرجل فلا يحمل السيف الطويل إلا الرجل الطويل.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كناية عن عجزهم وفقرهم، فهم عاجزون عن التجارة لقلة ذات اليد، والضرب في الأرض كناية عن المتاجرة؛ لأنّ شأن التاجر أنْ يسافر ليبتاع ويبيع فهو يضرب الأرض برجليه أو بدابته.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية في ذكر الفاء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في آية البقرة ٢٧٤ وحذفها ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في آية البقرة ٢٦٢؟ وما الفرق بين الفاء والواو العاطفتين في بعض آيات القرآن مثل هاتين الآيتين ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٢.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿يُنفِقُونَ﴾ فلماذا يستعمل القرآن الصيغة الفعلية في الإنفاق ؟

الجواب:

١ـ استعمل القرآن الفعل ﴿أَنفَقَ﴾ و﴿يُنفِقُ﴾ بصيغه المختلفة حوالي ٧٠ مرة جميعها بالصيغة الفعلية؛ لأنّ الإنفاق أمر يتكرر ويتجدد ويحدث باستمرار، ولأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث .

٢ ـ ولم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة في آل عمران١٧ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران:١٧] وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات .

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال تعالى: ﴿يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ولم يقل: يأخذون الربا مع أنّ الأكل يختص بالطعام لا بالمال؟

الجواب:

نعم، الأكل في حقيقته هو ابتلاع الطعام، ولكن ربنا عبّر عن أخذ الربا بالأكل ليبين لنا حرص المرابي على أخذ المال بِشَرَهٍ.

❋❋❋❋

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾

السؤال الأول:

لِمَ خصَّ ربنا الكافر بعدم المحبة دون المرابي؟

الجواب:

١ـ تأمل هذا السر البديع في خاتمة الآية، فقد ختمها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ مع أنّ بداية الآية توحي أنّ ختامها: والله لا يحب كل مرابٍ أثيم، فلِمَ خصّ ربنا الكافر بعدم المحبة دون المرابي؟

إنّ الإخبار بأن الله تعالى لا يحب جميع الكافرين يؤذن ويشعر بأنّ الربا شعار أهل الكفر وهو سمة من سماتهم فهم الذين استباحوه، وفي هذا تعريض بأنّ المرابي مُتَّسمٌ بخلال أهل الكفر والشرك وإنْ كان مؤمناً.

٢ـ آية البقرة ٢٧٦ نزلت في ثقيف وقريش لمّا أصروا على الربا وعارضوا حكم الله بقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾[البقرة:٢٧٥] فهم كفار شرعاً آثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه، ولذلك ناسب ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[البقرة:٢٧٦].

السؤال الثاني:

ما فائدة العدول عن قوله (يبغض) إلى قوله: ﴿لَا يُحِبُّ﴾[البقرة:٢٧٦] مع أنه لا يلزم من نفي المحبة البغض ؟

الجواب:

البغض صفة مكروهة للنفوس فلم يحسن نسبته إلى الله لفظاً، و حال العبد مع الله إمّا في طاعة أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفي طاعته تعين ضدها فعبّر بما هو أحسن لفظاً.

السؤال الثالث:

ما أهم الوقفات في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ قول الحق: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ هو قول معجز وقضية خطيرة، فالله هو الذي يمحق فلا تستهن بنسبة الفعل لله، وانظر إلى المرابين كيف انتهت حياتهم، وانظر إلى الدول المرابية كيف تصاب بالمصائب تلو المصائب .

٢ـ قال: ﴿كَفَّارٍ﴾ ولم يقل: (كافر)، وقال: ﴿أَثِيمٍ﴾ وليس (آثم)؛ لأنّ الذي يريد أنْ يرد حكم تحريم الربا على الله قد كفر كُفرَين: أحدهما لأنه لم يعترف بهذه، والكفر الآخر لأنه رد الحكم على الله، وهو (أثيم) بصيغة المبالغة؛ لنستدل على أنّ القضية قضية كبيرة عند الله تعالى.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما أهم الدلالات في الآية ؟

الجواب:

١ـ عطف عمل الصالحات على الإيمان.

٢ـ استعمل كلمة ﴿أَجْرُهُمْ﴾ ليدل على أنه لا يوجد مخلوق يملك سلعة إنما كلنا مستأجرون.

فالمخ والعقل مخلوقان من الله ونشغلهما في المادة المخلوقة لله، ولذلك ليس للإنسان إلا عمله وبالتالي أجره، وهذا الأجر هو عند ربه الذي لا يضيّع له شيئاً، وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أقوى من قوله (على ربهم أجرهم)؛ لأنّ الأول يجري مجرى إذا باع بالنقد، وذاك النقد جاهز متى شاء البائع أخذه، وأمّا الثاني فيجري مجرى ما إذا باع بالنسيئة في الذمة، ولا شك أنّ الأول أقوى.

٣ـ قول الحق: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا من أنفسهم على أنفسهم ولا من أحبابهم عليهم، وكذلك لا خوف عليهم فيما يستقبلهم من أحوال القيامة.

٤ـ قول الحق: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾؛ لأنّ أي شيء فاتهم من الخير سيجدونه محضراً أمامهم فلا يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

❁❁❁❁

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قدّم ربنا تعالى الأمر بالتقوى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ على الأمر بترك الربا، مع أنّ الآيات تعالج قضية الربا؟

الجواب:

أُمِر الناس بتقوى الله تعالى قبل الأمر بترك الربا؛ لأنّ تقوى الله هي أصل الامتثال والاجتناب، وترك الربا من جملتها وخصلة من خصال التقوى.

السؤال الثاني:

ما أهم دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ لما بيّن الله تعالى في الآية السابقة ٢٧٥ أنّ من انتهى عن الربا فله ما سبق، فقد كان يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه والباقي في ذمة القوم، فأوضحت هذه الآية أنّ المقبوض السابق قبل نزول الآية معفوّ عنه، وإن لم تقبضوه كله أو بعضه فإنه يحرم قبضه.

٢ـ قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ يدل على أنّ الإيمان لا يتكامل إذا أصر الإنسان على كبيرة، وإنما يصير مؤمناً بالإطلاق إذا اجتنب كل الكبائر.

وهذا التركيب العجيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ يضع الناس أمام أنفسهم وجهاً لوجه، وسر هذا التركيب يكمن في كلمة (إنْ)، وهي أداة شرط تستعمل في القرآن عندما يكون الأمر موضع شك قابلاً للظن والاحتمال، أمّا (إذا) فتستعمل في مواضع اليقين.

وقد ورد تركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ مع فئتين من الناس:

الأولى: وهم المؤمنون الصادقون الذين لا يُشَكُّ في صدقهم وحسن بلائهم وسابق جهادهم وصحبتهم للنبي ﷺ.

الثانية: وهم المنافقون الفاسقون الذين لا يُشك في خياناتهم وتلونهم وكذبهم.

ومن السهل أنْ نفهم التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ مع الفئة الثانية، فهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين؛ ولذلك يخاطبهم الله عز وجل بأسلوب الشك في إيمانهم ويبين للمؤمنين الصادقين كذبهم ونفاقهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾[البقرة:٩١] .

أمّا ورود هذا التركيب مع فئة المؤمنين الصادقين المخلصين فكما في آية الأنفال (١) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[الأنفال:١] وقد نزلت هذه الآية الكريمة على النبي ﷺ في غزوة بدر ومعه الصحابة الذين هم أكرم أهل الأرض بعد أنبياء الله، فمن الواضح أنّ مثل هذه

الآية عندما يرد مع مثل هؤلاء الناس يكون تطهيراً لهم وتعليماً وتذكيراً، كأنها؛ أي الآية تضعهم في منزلة الشك في إيمانهم إنْ لم يفعلوا ما يأمرهم الله به فيهبُّوا للعمل بأحكام الله، فيدفعوا عنهم صورة التردد والشك وليدخلوا في دائرة الإيمان الوثيق الذي يعلمه الله منهم بصدق أقوالهم وأعمالهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿وَذَرُواْ﴾أي: اتركوا، ما كلمات منظومة الترك في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١- **الترك:**

هو التخلي عن شيء بلا عودة مطلقة.

شواهد قرآنية:

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الدخان:٢٤] وهو ترك نهائي.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[يوسف:٣٧] أي: بلا رجعة.

﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة:٢٦٤] أي: هذا العمل ليس له أجر في الآخرة كالربا؛ لأنه يُحبط العمل .

٢- **دع:**

وهو تركٌ مؤقت لشيء لحساب شيء أهم، ولا يمنع من العودة إليه بعد أنْ تتم الشيء المهم، مثال: دع اللعب وصلِّ. [الأحزاب ٤٨].

٣- ذر:

التخلي عن شيء لتفاهته، وهو مأخوذ من الوَذَرِ وهي القطعة التي تقطع في عملية الختان، وهي ترمز إلى تفاهة الشيء.

* شواهد قرآنية:

[البقرة ٢٧٨ـ القيامة ٢٠ـ٢١ الأنعام ٩١ـ المدثر ١١].

٤- تولى:

ذهب بسرعة ومنها ولّى دبره.

شواهد قرآنية:

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾[القصص:٢٤] في قصة موسى عليه السلام، سقى لهما أولاً، ثم ذهب مسرعاً إلى الظل لأدبه وحيائه.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾[الصافات:٩٠] بمعنى هربوا وتخلوا عنه.

٥- أعرض:

الإعراض: هو التخلي عن شيء لقبحه ترفعاً عنه.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[يوسف:٢٩] باشمئزاز وتكبر.

﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾ [النساء:١٦] هنا تنبيه بعدم التعرض للتائب بعد توبته والترفع عن التعيير.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف:٥٧] هنا بمعنى التحدي واحتقار الحرمة.

❁❁❁❁

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُواْ﴾[البقرة:٢٧٩] هل هناك أكثر من قراءة لهذه اللفظة ؟

الجواب:

قوله: ﴿فَأْذَنُواْ﴾ [البقرة:٢٧٩] هناك قراءة ﴿فآذنوا﴾؛ أي فاعلموا، وفي الآية مبالغة في التهديد.

❁❁❁❁

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما نوع الفعل (كان) في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ﴾ فيها ﴿كان﴾ تامة بمعنى: وجد أو حدث .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ العسرة من الإعسار وهو تعذر وجود المال.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠] الميسرة من اليسر واليسار، وفي الآية حذف بتقدير، فالحكم إنظار المعسر، أي: إمهاله.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿تَصَدَّقُوا۟﴾ ولم يقل: تتصدقوا، فلماذا ؟

الجواب:

قوله: ﴿تَصَدَّقُوا۟﴾ فيه حذف وتخفيف التاء، والأصل (تتصدقوا)، والحذف هنا لندرة الحالة وهو التصدق بدين المعسر، فحذف التاء لما لم يكن كالصدقة المعتادة لكونها أقل .

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ أي: جعل العمل من لوازم العلم وفيه تهديد للعصاة.

٢ـ كل تطوع كان محصّلاً للمقصود من الفرض بوصف الزيادة كان أفضل من الفرض، كما أنّ الزهد في الحرام فرض وفي الحلال تطوع، والزهد في الحلال أفضل كما في الآية ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٠].

السؤال الخامس:

ما دلالة كلمة ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ في الآية ؟

الجواب:

اليسار هو الغنى المؤقت، كالفقير إذا جاءه مال فعليه أنْ يؤدي دينه، وهذا يفسّر أنْ يُنظر المعسر حتى يزول عذره، وقد يكون الفقير موسراً بين ساعة وساعة ولا يصبح غنياً بين ساعة وساعة، وقولنا: ذو سعة، بمعنى موسّع عليه، وقوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ بمعنى إن وُجِد.

❀❀❀❀

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ و ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨١] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٥.

السؤال الثاني:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١] الآيتان جملتان وصفيتان، فلماذا الحذف (فيه) في إحداهما والذكر في الأخرى؟

الجواب:

السبب أنّ التقدير حاصل (يجزي فيه)، لكن لماذا الحذف؟ الحذف يفيد الإطلاق ولا يختص بذلك اليوم، فالجزاء ليس منحصراً في ذلك اليوم وإنما سيمتد أثره إلى ما بعد ذلك اليوم، وكلما يذكر الجزاء يحذف (فيه) (لا تجزي) و(لا يجزي).

أمّا في الآية الثانية البقرة ٢٨١ فذكر ﴿فِيهِ﴾ لأنه منحصر فقط في يوم الحساب وليس عموماً، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[النور:٣٧] ؛ لأنّ ذلك اليوم منحصر في يوم القيامة والحساب لذا ذكر ﴿فِيهِ﴾ وحذف ﴿فِيهِ﴾ عندما كان اليوم ليس محصوراً بيوم معين.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ هذه آخر آية نزلت على الرسول محمد ﷺ وعاش بعدها أياماً معدودة اختلف في عددها من ٧ أيام إلى ٨١ يوماً، والله أعلم.

٢ـ الرجوع إلى الله ليس المراد منه المكان والجهة، وإنما الرجوع إلى علمه وحسابه فتوفى كل نفس ما عملت من مكتسب، وفي هذا وعيد للفساق والفجار والكفار، ويتم ذلك بتمام العدل والبعد عن الظلم.

السؤال الرابع:

على أي شيء نصبت كلمة ﴿يَوْمًا﴾ في الآية ؟

الجواب:

يوماً: منصوب على المفعول به لا على الظرفية، والمعنى تأهبوا لذلك اليوم، واليوم عبارة عن زمان مخصوص وذلك لا يتقى، وإنما يتقى أحداث وشدائد ذلك اليوم .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ماذا عن النفس والروح وتعلقهما في الجسد ؟

الجواب:

يكثر السؤال عن الفرق بين النفس والروح، وفيما يلي نوضح المتعلقات بين الروح والجسد ومراحلهما:

١ـ مرحلة عالم الذَّرِّ: خلق الله الأرواح قبل خلق الأجساد، فهي مرحلة الروح بلا جسد ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾[الأعراف:١٧٢].

٢ ـ مرحلة عالم الأجنة: الروح والإنسان في بطن أمه وهو جنين، وهي مرحلة الروح غير الكاملة، حيث الروح متعلقة بالجنين تعلق حياة لا تعلق إدراك ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[النحل:٧٨] .

٣ ـ مرحلة الإنسان السوي: هنا الإنسان مدرك عاقل بالغ، والنفس هنا هي تعلق الروح بالإنسان السوي، فالنفس هي روح وجسد، بدليل أنّ الروح عندما تصعد يصبح الجسد جثة، وهذه النفس هي التي عليها التكاليف الشرعية بعكس ما سبق من المراحل .

٤ ـ مرحلة النوم: الإنسان النائم تصعد روحه، لكنها لا تنفصل عن الجسد انفصالاً تاماً ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ

وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾[الزُّمَر:٤٢] فالنوم هو الموتة الصغرى، وليس على الإنسان حرجٌ في هذه المرحلة؛ لأنه غير مدرك إدراكاً تاماً وهو نائم .

٥ ـ مرحلة البرزخ: هنا تبقى الروح في عالم البرزخ، وهو العالم الذي يفصل بين الدنيا والآخرة إلى أنْ يأذن الله تعالى بيوم البعث، فتعود كل روح إلى جسدها الخاص بها استعدادا ليوم البعث والحساب، وهذه المرحلة تبدأ عند الموت حيث ينتهي عمل الإنسان .

خصائص الروح والجسد:

١ـ الروح له نزوع للأعلى والجسد له نزوع للأسفل، وكلّما سمت الروح يكون الإنسان روحانياً ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم:٥٧] وكلما نزع الجسد للأسفل يكون الإنسان مادياً ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:١٧٦] بمعاصيه وشهواته ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾[البقرة:٦١] فالهبوط هنا دلالة على الهبوط والسفلية.

٢ ـ كلّما اهتممنا بالروح وأهملنا متطلبات الجسد المادية ارتفعت بنا الروح وسمت، وهذا ما نشعر به في شهر رمضان مع تلاوة القرآن وحلاوة العبادات .

٣ ـ أخطر مرحلة والتي يحاسب عنها الإنسان هي مرحلة النفس في الإنسان السوي كما هو مبين في الآيات أعلاه .

وقد ورد ذكر النفس في القرآن الكريم مرات عديدة لأهميتها وللدلالة على أنّ معظم ذنوب ابن آدم من هوى النفس البشرية . ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

لذلك فإنّ معظم الذنوب هي من هوى النفس وليس من وساوس الشيطان.

٤ ـ كيف نعرف الفرق بين هوى النفس ووساوس الشيطان ؟

الشيطان يجعل الإنسان يقع في الذنب ناسياً للذنب وعقوبته، أمّا إذا علم الإنسان أنّ هذا الذنب حرام وعليه عقاب ثم يقع في الذنب فهذا يكون من وساوس النفس .

كما أنّ الشيطان يوسوس للإنسان بأي طريق في صلاته وعبادته ليحاول أنْ يوقع الإنسان في الذنب بغض النظر عن الذنب؛ لأنه يريد فقط أنْ يعصي الإنسان ربه، أمّا هوى النفس فهو ما ترغب به النفس البشرية وقد يكون ذنباً واحداً متكرراً .

لذلك على الإنسان أنْ ينتبه لنفسه من نفسه قبل الشيطان، كما قال البوصيري:

وخالف النفسَ والشيطانَ واعصِهما　　وإن هما محّضاك النُّصحَ فاتَّهِمِ

٥ـ علاج الشيطان الاستعاذة ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠٠-٢٠١] .

٦ـ أمّا علاج النفس فالعزم على مخالفة ما تدعو إليه النفس، والانتباه إلى أنّ النفس تطمع ولا تشبع أو تقنع، فمخالفتها هو العلاج «**حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره**».

أنواع النفس:

١ـ النفس المطمئنة: وهي أرقى الأنواع؛ لأنها مطمئنة بذكر الله وعبادته وتكون مطمئنة بالآخرة.

٢ ـ النفس اللوامة: وهي التي تلوم صاحبها دائما على المعاصي والذنوب، وكأنها تعمل رقيباً ومحاسباً على الأعمال والأقوال، وقد أقسم الله بها فقال: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[القيامة:٢] .

٣ـ النفس الأمّارة بالسوء: وهي أسوأ الأنفس؛ لأنها تأمر صاحبها بارتكاب الذنوب والمعاصي دون تورع أو خشية من الله تعالى، بل على العكس تزين لصاحبها المعصية.

لذلك فتطويع النفس ضروريٌّ للإنسان حتى يتغلب على أهوائه ونوازعه، ولعلّ من أهم الأسباب التي يعين الله تعالى عباده بها على أنفسهم هو إخلاص النية له تعالى، فلو علم الله صدق العبد لأعانه على نفسه ومقاومة إغرائها وشهواتها .

اللهم اجعلنا ممن أخلص النية لك في كل أمر وأعنا على مقاومة هوى أنفسنا واعصمنا من الزلل والذنوب ومن عذاب الآخرة، اللهم آمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ
وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ
ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ
شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ
فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا
رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا
فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن
تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ
وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ
عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا
شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

السؤال الأول:

ماذا عن دلالة ﴿إِذَا﴾ و ﴿إِن﴾ في هذه الآية، وفي القرآن الكريم ؟

الجواب:

(إذا) تستعمل فيما هو كثير وفيما هو واجب، و(إنْ) لما هو أقلّ في عموم الشرط؛ وتفصيل ذلك:

١ـ ﴿إن﴾: تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

٢ـ ﴿إذا﴾: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات:[البقرة ١٨٠ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

أمثلة مشتركة تتضمن إذا وإنْ معاً:

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في الآية: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ ولماذا ذكر الله والرب في الآية نفسها ؟

الجواب:

١ـ لفظ (الله) غيرلفظ (الرب)، لفظ الجلالة (الله) هو اسم العلم من العبادة وهو الإله المعبود، وأمّا (الرب) فهو المربي والموجه والمرشد والمعلّم والقيّم، ولذلك يصح أنْ تقول عن إنسان: هو رب الدار، رب الشيء.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ ما سبب الاختيار وجمع لفظ الجلالة والرب فيها؟

هذه الآية جزء من آية الدَّين ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ ويتكلم فيها عن الدائن والمدين، والدائن أحسَنَ إلى المدين وأجره أعلى من أجر المتصدق؛ لأنّ المتصدق أجره عشرة أضعاف والدائن ثمانية عشر كما في الحديث؛ لأنه أخرج المحتاج من حاجته، إذن الدائن أحسن إلى المدين، فعلى المدين ألا يبخس حق من أحسَنَ إليه، والرب أحسن إلى العبد في تعليمه وتوجيهه، إذن الدائن هو الذي أحسن إلى المدين، والله هو الذي أحسن إلى الدائن فمكنّ له، وقال في ختام الآية: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ والمعلم مربٍّ، أي: رَبٌّ، فناسب رَبّاً من ناحية الإحسان ومن ناحية التعليم.

٣ـ لو قال فقط: (وليتق الله) لن يكون فيها معنى الإحسان والإفادة، وهذا أحسَنَ إليك كما أحسن الله إليك، وقد آتاك المال وجعل يدك أعلى .

و لو قال: (ليتق ربَّه) فإن كلمة (رَبٍّ) لا تعني الله بالضرورة؛ لأنَّ الرب قد يكون رَبَّ الدَّيْنِ، فأراد أنْ يجرّدها لله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ والبخس هو النقص، فهل اختيار البخس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ لغاية وسبب؟

الجواب:

نعم، فالبخس وإن كان بمعنى النقص إلا أنه يدل على الإنقاص بخفاء وغفلة عن صاحب الحق، لذلك كان اختيار هذا اللفظ دون غيره.

السؤال الرابع:

ما دلالة (أنْ) في الآية ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ؟

الجواب:

- (أنْ) هنا تفيد معنى: كراهة أنْ تضل إحداهما، أو لئلا تضل، وكما في قوله تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل:١٥] يقولون: كراهة أنْ تميد بكم، أو لئلا تميد بكم وقوله تعالى: في آية هود ٤٦ ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يعني: لئلا تكون من الجاهلين.

السؤال الخامس:

في قوله تعالى في الآية: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ما فائدة تكرار إحداهما في الآية ؟

الجواب:

تكررت كلمة (إحداهما)؛ لأنّ كل واحدة من المرأتين يجوز عليها ما يجوز على صاحبتها من الضلال والتذكير، وتكرار كلمة ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ مع الضلال ومع التذكير لئلا يُتوَهَّم أنّ إحدى المرأتين لا تكون إلا مذكِّرةً للأخرى.

السؤال السادس:

ما الفرق بين (استشهدوا) و(أشهدوا) في آية البقرة ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ وفي نفس الآية ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ الفعل (استشهد) على وزن (استفعل) والهمزة والسين والتاء تأتي للطلب، وله معنيان:

آـ اطلبوا شهيدين .

ب ـ أو اطلبوا ممن تكررت منه الشهادة وممن تعلمون قدرته وعلمه على أدائها، أي: بقصد المبالغة.

٢ـ وأما الفعل (أشهدوا) فليس فيه هذا الأمر، وإنما يدل على مجرد الشهادة .

ومعنى ذلك أنَّ ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ معناها أقوى .

٣ـ علينا أن نلاحظ السياق الذي وردت فيه كلمة (استشهدوا)، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ﴾، وجاءت مع تقييدات في حفظ الحقوق ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ والذي لا يستطيع أن يحفظ حقه قال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ إذن في هذا الموقف نطلب ممن يستطيع أنْ يتحمل الشهادة ويكون

أميناً قادراً على أنْ يتحمل أداءها، فقال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ﴾.

أمّا في الآية الثانية: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ﴾ فهذا في البيع الذي ليس فيه أحد قاصر ولا يستطيع أنْ يُمِلَّ ما عليه الحق وما إلى ذلك وإنما حالة اعتيادية، من أجل هذا قال: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾ لأنّ البيع لا يحتاج.

إذن الحالة التي تستدعي دعوة الأمين والقوي والمقتدر والعالم بالشهادة ذكرها في موطنها، والتي لا تحتاج لم يقل فيها (اكتبوها)، بل قال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ﴾

ولذلك فيما هو أهم جاء بالفعل الذي يدل على الأهمية في الطلب والمبالغة ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾، وفي الأمر الاعتيادي الذي يحصل في الأسواق قال: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾ فوضع كل فعل في الموضع الذي ينبغي أن يوضع فيه.

فانظر إلى هذا التصوير البديع الذي ترسمه زيادة السين والتاء في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾ تجد هذه الكلمة تدل على طلب شهادة الشاهدين وتكليف بالسعي للإشهاد، وهذا ما لا يفيده لفظ (وأشهدوا) الذي يدل على مجرد الشهادة.

السؤال السابع:

في قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾ هل (لا) هنا نافية أم ناهية ؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ و ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾هذا حكم شرعي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ (لا) هنا ناهية وليست نافية بدليل الراء في ﴿يُضَآرَّ﴾مفتوحة، وأصلها (لا يضارَر) أي: لا يضره أحد، أو (لا يضارِر) ومحتمل أنّ الكاتب والشهيد يُضغط عليه ويُضر به ويُهدَّد فيغيِّر من شهادته، فيحتمل هذا المعنى، أو أنّ الشهيد لا يريد أنْ يشهد لأسباب في نفسه فيغير في الشهادة، أي أن المعنى: (لا يضارَر أو لا يضارِر).

٢ـ ولو أراد أنْ يقيّد لقال: ولا يضارَر فيكون قطعاً هو المقصود (نائب فاعل)، و لو أراد أنّ الكاتب هو الذي يُضِرُّ يقول: لا يضارِر.

٣ـ ولذلك بدل أنْ يقول: ولا يضارِر أو ولا يضارَر، جاء بتعبير يجمعهما معاً ويريد كليهما، ويسمى هذا بالتوسع في المعنى.

٤ـ ونحو ذلك قوله تعالى في القرآن: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾[البقرة:٢١٧] في مكان وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾[المائدة:٥٤] في مكان آخر، وكذلك ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾[الأنفال:١٣] و ﴿وَمَن يُشَآقِّ﴾[الحشر:٤]

.

٥ـ وكذلك نجد مثل ذلك في قوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[البقرة:٢٣٣] ما المقصود من الآية؟ المعنى أنه لا يوقع عليها ضرر بحيث يضرها الأب إذا كانت مطلقة؟ أو هي لا تضر زوجها بحيث تمنع ابنها، والمعنيان مرادان، وكلاهما منهي عنه.

٦ـ هذا باب اسمه التوسع في المعنى، وهناك دلالة قطعية ودلالة احتمالية، وهذه الاحتمالية تحتمل معاني قد تراد كلها أو بعضها، فإذا أريد بعضها أو كلها سميت بالتوسع في المعنى.

السؤال الثامن:

ما أهم الوقفات الأخرى في الآية والتي لم تذكر ؟

الجواب:

١ـ في الآية حث على الاحتياط في أمر الأموال، خاصة بعد أنْ سبقها طلب الإنفاق وترك الربا، وهذه الأمور لا تحصل إلا بوجود المال، ولذلك أمر بحفظ الأموال عن طريق الكتابة وغيرها.

٢ـ التداين تفاعل من الدَّيْنِ، ومعناه داين بعضكم بعضاً، أي: أنّ البيع هنا بالدين.

٣ـ (إذا) تأتي للكثير الوقوع و(إنْ) في الآية لقليل الوقوع .

٤ـ قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليكون معلوماً كالتوقيت بالسنة والشهر واليوم، ولا تجوز التسمية على الحصاد أو إلى قدوم الحاج.

٥ـ قوله: ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ فيه إشارة إلى كتابة التفاصيل التي تمنع النزاع، ولا يكتب الألفاظ المجملة، فالكاتب يجب أنْ يكون فقيهاً عارفاً أديباً مميزاً بين الألفاظ المتشابهة.

٦ـ قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ الفعل (تكون) يمكن أنْ يكون تاماً أو ناقصاً.

٧ـ قوله: ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ﴾ المقصود فيه الإرشاد إلى طريق الاحتياط.

٨ـ كلمة (الكتابة) ومادتها: (الكاف والتاء والباء) تكررت مرات كثيرة في هذه الآية، وقد ورد حرف الكاف فيها: ٢٣ مرة، وحرف التاء: ٣٠ مرة، وحرف الباء ٢٣ مرة.

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ هذا أمر للمُملِي الذي عليه الحقُّ بأنْ يُقِرَّ بمبلغِ المال الذي عليه ولا ينقُصَ منه شيئاً.

والرَّبُ: هو المربِّي والقيم والمشرف، واسم الله هو علم على واجب الوجود الذي يستحق العبادة، وقد جمع الله بين الاسمين مبالغة في الحث على التقوى.

فالدائن أحسَنَ إلى المدين بإقراضه المال وهو أعلى أجراً من المتصدق، وهذا من فضل الله على الدائن من حيث الإحسان، حيث جعل يده أعلى من يد المدين، وهذا يستحق منه شكر الله ربه وتقواه أنْ أعطاه هذا الفضل .

كما أنّ المدين بعد أن أحسن الدائن إليه من واجبه ألا يبخس من حق الدائن، وعليه أنْ يتق الله في أداء الدين بأكمله في وقته المحدد .

السؤال التاسع:

في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ ما فائدة الباء هنا في الآية ؟

الجواب:

ذكر كلمة ﴿بِدَيْنٍ﴾ بعد كلمة ﴿تَدَايَنتُم﴾ ليرجع إليها الضمير في ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ وللتأكيد ولتخصيص أحد المعنيين من التداين، وهو التداين بالمال؛ لأنّ المعنى الآخر هو المجازاة من قولهم: كما تدين تدان.

السؤال العاشر:

قوله تعالى: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ ولم يقل: شاهدين، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ بمعنى (شاهدين)، واستعمل صيغة فعيل بمعنى فاعل؛ لأنّ مطلق شاهد قد يكون زوراً، لذلك جاء الحق بصيغة المبالغة، كأنه شاهد عرفه الناس بعدالة الشهادة حتى صار شهيداً.

وكلمة (شهيد) بمعنى شاهد، مثل: بديع بمعنى مبدع، وأليم بمعنى مؤلم، وحكيم بمعنى محكم، غير أنّ في وزن (فعيل) مبالغة، وهو أنه يدل على استحقاق الصفة، كأن من شأنه الإبداع أو النبل أو الشهادة.

السؤال الحادي عشر:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ زيدت ﴿مَا﴾ فما دلالة ذلك، علماً أنها لم تأت في جزأين آخرين من نفس الآية ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ و ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾

الجواب:

يستعمل القرآن الكريم الحروف الزائدة بهدف التوكيد، فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد.

وهنا زيدت (ما) في جزء من الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ ولم تأتِ في جزأين آخرين من نفس الآية، والسبب هو أنه زيدت ﴿مَا﴾ مؤكدة على الشهداء

حضور الشهادة عند الدعوة إليها، بخلاف موضعين اثنين في نفس الآية ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ و ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ والسبب أنّ الشاهد قد يتباطأ أو يتكاسل أو ينكص عن الشهادة؛ لأنه ليست له مصلحة خاصة به، أو قد تلحق به ضررا فاحتاج إلى التوكيد .

❁❁❁❁

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ولم يقل: (إذا)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعمل ﴿وَإِن﴾ للدلالة على العدد القليل لهذه الحالة بعكس استعمال (إذا).

السؤال الثاني:

في قوله تعالى في الآية: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ لِمَ أطلق على الرهان اسمَ الأمانة؟

الجواب:

كل من يقرأ هذه الآية يعلم أنّ الأمانة في قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ يُراد بها الرهان الذي سبق ذكره ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ وسمّى ربنا سبحانه وتعالى الدَّيْنَ في الذمة أو

الرهنَ أمانةً؛ لتعظيم الحق عند المدين، فاسم الأمانة له مهابة في نفس الإنسان لا تضفيه كلمة الرهان، وفيها تهويل من عدم الوفاء بالاتفاق لئلا يُسمى ناكث العهد خائناً.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ لِمَ ذكر ربنا تعالى كلمة ﴿ٱللَّهَ﴾ وكلمة ﴿رَبَّهُۥ﴾ وهما اسمان لمسمّى واحد؟

الجواب:

ذكر اسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ في الآية مع أنه يمكن الاكتفاء بقولنا (وليتق ربه)؛ لإدخال الرَّوع في ضمير السامع ولغرس المهابة في قلبه ليكون حذراً من الإخلاف، فاسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾[البقرة:٢٨٣] له وقع في نفس السامع يشعرك بالمهابة والتعظيم.

انظر الجواب بالتفصيل في الآية السابقة ٢٨٢.

السؤال الرابع:

لماذا لم يكتف بقوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ وإنما أسند الإثم إلى القلب ؟

الجواب:

لم يكتف بقوله ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ وإنما أَسند الإثمَ إلى القلب؛ وذلك أنّ الشهادةَ محلُّها القلب، وكتمانها هو أنْ يبقيها في قلبه، فنسب الإثمَ إلى القلب، وهو تعبيرٌ بديعٌ؛ لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ .

ألا ترى أنك إذا أردت التوكيد قلت: هذا مما أبصرته بعيني، ومما سمعته بأذني، ومما عرفه قلبي.

والقلب هو رئيس الأعضاء، وهو المضغةُ التي إنْ صلحت صلح الجسدُ كلُّه وإنْ فسدت فسد الجسد كلُّه، فكأنه قيل: قد تمكّن الإثمُ في أصل نفسه ومَلَكَ أشرفَ مكانٍ فيه، ولئلا يُظنَّ أنّ كتمان الشهادة من آثام اللسان فقط .

السؤال الخامس:

ما أهم الوقفات في الآية ؟

الجواب:

١ـ حروف كلمة (السفر) اشتقت من الظهور والكشف، والسِّفْر: هو الكتاب؛ لأنه يبين الشيء ويوضحه، وسمي السَّفَرُ سَفَراً؛ لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال، أو أنه لما خرج إلى الصحراء فقد انكشف للناس، وأسفرت المرأة عن وجهها، أي: كشفت.

٢ـ أصل الرهن من الدوام، يقال: رهن الشيء إذا دام وثبت، ونعمة راهنة، أي: دائمة ثابتة.

٣ـ في الآية حذف، والتقدير: فرهان مقبوضة بدلاً من الشاهدين أو ما يقوم مقامهما.

٤ـ قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ هو بيع الأمانة بدون كتابة ولا شهود، وعلى المدين أنْ يتقي الله ولا يجحد، وقد يكون خطاباً للمرتهن بأنْ يؤدي الرهن عند استيفاء المال فإنه أمانة في يده.

٥ـ إنّ جواز الرهن لا يختص بالسفر، ولم يذكره هنا في الآية لتخصيص الحكم به، لكنْ لمّا كان السفر مظنة عوز الكاتب والشاهد الموثوق بهما أمر الله تعالى على سبيل الإرشاد ولحفظ مال المسافرين بأخذ الرهان.

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ لأنّ الإثم مقترن بالقلب، ولأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما يقال: أبصرته بعيني، وسمعته بأُذني، ووعاه قلبي.

❊❊❊❊

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى في بداية الآية: ﴿لِّلَّهِ﴾ علام يدل تقديم الجار والمجرور ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ﴾ قدّم الجار والمجرور لإفادة الحصر والقصر، فكل ما في الوجود أمره إلى الله وحده فقط وليس لأحد غيره، وهذا يدل على كمال المُلك مُلْكاً ومِلْكاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم السماوات على الأرض في الآية ؟

الجواب:

قدّم السماوات على الأرض لأسبقيتها في الخلق.

السؤال الثالث:

ما دلالة تقديم وتأخير كلمة ﴿تُخْفُوهُ﴾ على الإبداء في آية سورة البقرة ٢٨٤، وسورة آل عمران ٢٩؟

الجواب:

قوله تعالى: في آل عمران ٢٩: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾.

المحاسبة في سورة البقرة هي على ما يُبدي الإنسان وليس ما يُخفي، ففي سياق المحاسبة قدّم الإبداء، أمّا في سورة آل عمران فالآية في سياق العلم؛ لذا قدّم الإخفاء؛ لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى.

السؤال الرابع:

ما القواعد العامة في القرآن في تقديم أو تأخير السر، وكذلك في الإعلان والإخفاء والجهر ؟

الجواب:

١ـ في القرآن الكريم قد يقدم السر على العلن، كما في آية يس ﴿إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦﴾[يس:٧٦] وذلك:

آـ لأنّ مرتبة السر مقدمة على مرتبة العلن .

ب ـ كما أنّ السر يدل على الإحاطة بالمعلومات كلها، فمن كان يعلم السر فهو يعلم العلن من باب أولى.

٢ـ الملاحظ في القرآن الكريم أنه لا يقتصر على تقديم السر، فهو كما يقدم السر على الإعلان قد يقدم الجهر على الإخفاء، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾[الأعلى:٧].

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[البقرة:٢٨٤] .

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾[الأنبياء:١١٠] .

٣ـ وهو أحياناً يكتفي بذكر أحدهما دون الآخر، فيكتفي بذكر الإسرار دون الإعلان كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾[محمد:٢٦].

وقد يكتفي بذكر الأمور الظاهرة كذكر العمل والصنع، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحُجُرات:١٨] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠] وكل ذلك بحسب ما يقتضيه المقام.

٤ـ وكذلك في القرآن الكريم نلاحظ أنه إذا تقدم الكلام على المنافقين أو الكفار قدّم الإخفاء، وإذا تقدم ذكر المؤمنين قدّم الإبداء، بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين، وهذا مُطَّرد في جميع القرآن الكريم.

غير أنه مع هذا الخط العام للتقديم والتأخير يكون التقديم والتأخير مناسباً للسياق الذي ترد فيه الآية.

وبيان ذلك من الشواهد القرآنية:

أولاً ـ في مواضع تقديم السر على العلن:

آ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ البقرة ٧٧ـ هود ٥ـ النحل ٢٣ـ يس ٧٦، وهذه المواطن الأربع هي خاصة بذكر الكافرين.

ب ـ ﴿مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النحل:١٩] بصيغة الخطاب في موطنين: [النحل ١٩ـ التغابن ٤] وهما ليسا مختصين بالكافرين، وإنما هما من المواطن العامة التي تشمل عموم بني آدم، وإنْ كان قد جرى فيها ذكر للكافرين.

مع ملاحظة أن آية النحل قد وقعت في سياق تعداد النعم على الإنسان، والسورة بدأت في الكلام عن الشرك والمشركين ثم عن الكفار، ولم يرد في سياق آية النحل ذكر للمؤمنين.

وأمّا آية التغابن فالسياق فيها لم يختص بالكلام عن الكافرين، إلا أنه جرى بعدها مباشرة في الآيات(٥ـ٧) ذكر للكافرين، فتكون آية التغابن قد وقعت في سياق الكافرين، سواء تقدمها ذكر الكافرين أم وقع في عقبها.

وعلى أية حال فالقاعدة صحيحة، فكل ما تقدم فيه السر على الإعلان كان في سياق الكلام عن الكافرين، سواء تقدم الآية أم كان في عقبها.

ثانياً: في مواضع تقديم العلن على السر:

﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] والخطاب فيها للمؤمنين.

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [المائدة:٩٩] وهو خطاب للمؤمنين.

ثالثاً ـ حسب سياق الآية:

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى:٧] قدّم الجهر؛ وذلك لتقدم قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾[الأعلى:٦] والإقراء لا يكون إلا جهراً، بخلاف القراءة فقد تكون سراً وجهراً، فناسب تقديم الجهر.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنبياء:١١٠] قدّم الجهر على الكتمان؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[الأنبياء:١٠٩] والإيذان هو الإعلام والإشهار، وذلك لا يكون إلا جهراً .

رابعاً ـ الاكتفاء بأحدهما دون الآخر:

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد:٢٦] ولم يقل: وجهرهم؛ لأنه ذكر ما جهروا به وهو قولهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾[محمد:٢٦] ولم يذكروا الأمر الذي يطيعونهم فيه ولم يبينوه وإنما أسروه فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾[محمد:٢٦] أي لا يخفى عليه ما أسروه.

والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿فَيَغْفِرُ﴾ في آية البقرة ٢٨٤ حيث قدّم، وآية المائدة ٤٠ حيث أخّر ؟

الجواب:

قوله تعالى في المائدة ٤٠ : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

١ـ لو نظرنا في الآيات سنجد أنّ المغفرة تقدمت في ثلاث آيات في البقرة وفي آل عمران والمائدة، وتقديم المغفرة على العذاب هو الأصل؛ لأنه تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] وفي الحديث في «صحيح البخاري»: «**رحمتي سبقت غضبي**».

٢ـ لماذا تقدمت (يعذّب) على (يغفر) في الآية ٤٠ في سورة المائدة؟

هذا الأمربسبب أنها جاءت عقب ذكر السارق والسارقة وقطع اليد، لاحظ الآية ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[المائدة:٣٨] فلا بدّ أن يقدّم العذاب؛ لأنّ الكلام في البداية كان عن عذاب ثم عن مغفرة، ولو عكست لما استقام الكلام .

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ما دلالة ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ ؟

الجواب:

المحاسبة مشتقة من الحسبان وهو العدّ، ويحاسبكم، أي: يعدّه عليكم، ثم أطلق هذا اللفظ على ما ينجم عن العدّ والإحصاء وهو المؤاخذة والمجازاة، فحساب الله تعالى هو إحصاء لأعمالك وأفعالك ثم مجازاتك على ذلك.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ يدل على كمال العلم المحيط بالكليات والجزئيات.

السؤال الثامن:

قال تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: (يؤاخذكم)، فلماذا ؟

الجواب:

قال تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: (يؤاخذكم)؛ فالله عليم بالسرائر والضمائر، وروي عن ابن عباس أنّ الله تعالى إذا جمع الخلائق يخبرهم بما كان في نفوسهم؛ فالمؤمن يخبره ثم يعفو عنه لمن يشاء فضلاً، وأهل الذنوب يخبرهم بما أخفوا من التكذيب والذنب فيعذبهم عدلاً.

وقيل: أريد بالآية العموم ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾وقيل: لا نسخ فيه؛ لأنه خبر لا أمر أو نهي، والمراد الاحتراز من العزم القاطع لا مجرد حديث النفس؛ ولأنه أخبر عن المحاسبة لا عن المعاقبة .

السؤال التاسع:

ما نوازع النفس ؟

الجواب:

نوازع النفس كثيرة منها: [الهاجس ـ الخاطر ـ حديث النفس ـ الهم ـ العزم] والحالة الأخيرة هي التي يجب الانتباه لها؛ لأنها قريبة من وقوع الذنب وانتقاله من هواجس النفس إلى الوجود، وقد نظمها بعضهم بقوله:

مراتِبُ القَصدِ خمسٌ: هاجسٌ ذكروا فخاطرٌ، فحديثُ النفس، فاستَمِعا
يليه هَمٌّ فعزمٌ كُلُّها رُفعت سوى الأخيرِ ففيه الأخذُ قد وقعا

السؤال العاشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: أنّ المغفرة بيد الله، ولكنه ترك الزمام للبشر؛ ليفعلوا أسباب المغفرة ويتوبوا إلى الله ويكثروا من الحسنات.

السؤال الحادي عشر:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ أي: أنه كامل القدرة إضافة إلى كونه كامل الملك والملكوت وكامل العلم.

٢ـ ولمّا ثبت لله تعالى أنّ له كمال المُلك وكمال العلم وكمال القدرة أوجب هذا كمال صفات الربوبية، ولذلك أتبع هذه الآية ببيان كون المؤمنين في نهاية الانقياد والطاعة والخضوع لله تعالى، وذلك هو كمال العبودية.

حسبُ نفسي عِزّاً بأنّي عبدٌ يحتفي بي بلا مواعيدَ ربُّ
هو في قُدسِه الأَعَزِّ ولكنْ أنا ألقى متى وأين أُحِبُّ

٣ـ وقدّم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه، كما هو ظاهر في آية البقرة وغيرها، حيث جاءت ترغيباً في المسارعة إلى طلب المغفرة وإشارة إلى سعة مغفرته ورحمته وأنّ رحمته غلبت غضبه.

السؤال الثاني عشر:

قوله تعالى: في آية البقرة ٢٨٤ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وقوله تعالى: في آية الزخرف: ٨٥ ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ وفي آية المائدة ١٧ ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ﴾ أي: بزيادة (وما بينهما) فما السبب ؟

الجواب:

١ـ جاء في القرآن الكريم في ثلاث آيات هي:

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ﴾[المائدة:١٧] .

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾[المائدة:١٨] .

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[الزُّخرُف:٨٥] أي بزيادة (وما بينهما).

٢ـ ومن ملاحظة هذا الموضوع في القرآن الكريم يتبين لنا التالي:

آـ في كل موطن في القرآن الكريم يذكر ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾[الزُّخرُف:٨٥] يأتي تعقيب على من يذكر صفات الله بغير ما يستحق:

شواهد قرانية:

آية المائدة ١٧ : تعقيب على قول النصارى.

آية المائدة ١٨ : تعقيب على قول اليهود.

آية الزخرف ٨٥: تعقيب على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴿٨١﴾﴾ .

ب ـ في كل آية ورد ذكر السماوات والأرض وما بينهما، أي: أنه ذكر ثلاثة أمور: السماوات والأرض وما بينهما، نجد بالمقابل وفي جميع الآيات المذكورة أعلاه أنه سبقها ذكر ثلاثة أمور تتعلق باليهود والنصارى والمشركين، انظر الجدول التالي مع أرقام الآيات:

السورة	موسى/ اليهودية	عيسى/ النصرانية	محمد/ الإسلام
المائدة	١٢	١٤	١٩
الزخرف	٤٦	٥٧	٨١

❁❁❁❁

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما نوع ﴿لَا﴾ في قوله تعالى: في الآية ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ (لا) هي النافية لا تجزم ولا تؤثر على الفعل، إنما نفي فقط للفعل الذي يليها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ ما الفرق بين المغفرة والغفران فى القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة (غفران) لم ترد إلا في موطن واحد، وهو في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ وهي في طلب المغفرة من الله تعالى. إذن كلمة (غفران) مخصّصة بطلب المغفرة من الله تعالى، وهذه دعاء أي: نسألك المغفرة ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾ إذن (غفران) تستعمل في طلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً.

٢ـ (المغفرة) لم تأت في طلب المغفرة أبداً، وإنما جاءت في الإخبار وفي غير الطلب، كما في الآيات: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ﴾ [البقرة:٢٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ [الرعد:٦] . وقد تأتي من غير الله سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٢٦٣﴾ [البقرة:٢٦٣] فقد تأتي من العباد.

إذن (المغفرة) ليست خاصة بالله سبحانه وتعالى ولها أكثر من جهة، ولم يستعملها القرآن في طلب المغفرة، بينما كلمة (الغفران) مختصة بطلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً.

السؤال الثالث:

ما أهم اللفتات في الآية ؟

الجواب:

لّما بيّن تعالى في الآية المتقدمة كمال المُلك وكمال العلم وكمال القدرة له سبحانه وتعالى - وذلك يوجب كمال صفات الربوبية- أتبع ذلك بأنْ بيّن كون المؤمنين في نهاية الانقياد

والطاعة والخضوع، وذلك هو كمال العبودية. لذلك فالمرجو من عميم فضل الله وإحسانه أنْ يحفنا بكمال العناية والرحمة والإحسان، اللهم حقق هذا الرجاء والأمل ياربنا يارحمن يا رحيم.

وفي الآية مسائل:

١ـ ذكر الله إيمان الرسول ﷺ أولاً ثم ذكر إيمان المؤمنين بالرسالة بناء على توزيع الفاعل في الفعل (آمن) بين الرسول والمؤمنين .

٢ـ ثم جمعهما الله بقوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ فجمعهم في كُلِّيَّةٍ كأن قلوبهم قلب واحد فقال: كُلٌّ .

ثم فصّل بعد الإجمال فقال: ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وهذه الأربعة من ضرورات الإيمان، وفائدة هذا الجمع أنْ يبين زيادة شرف الإيمان حيث مدح به خواصّه ورسله.

٣ـ قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ بتقدير فعل محذوف، أي: يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله.

وكلمة ﴿أَحَدٍ﴾ هنا بمعنى الجمع الذي هو آحاد، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة:٤٧] وحاجزين جمع، فكأنه يقول: لا نفرق بين آحاد من رسله، ولأنّ أحداً يصلح للمفرد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما نفياً وإثباتاً، تقول: ما رأيت أحداً إلا بني فلان أو إلا بنات فلان، وتقول: إنْ جاءك أحد بكتابي فأعطه المال، ويستوي فيه

الكل، فالمعنى لا نفرق بين اثنين منهم أو بين جماعة منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ﴾[الأحزاب:٣٢] .

٤ـ قوله: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ يعني: الجمع بين العلم والعمل.

٥ـ قوله: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ فيه إشارة أنّ المؤمن خائف من التقصير لذلك يلتمس المغفرة، والمصدر (غفرانك) وقع موقع الفعل، وقد قُرن هذا الغفران بأمرين: أحدهما الإضافة، أي: إلى الضمير في غفرانك، والثاني: (ربنا) وكأنّ المؤمن يقول لله: أنتَ الكامل في هذه الصفة وأنت غافر الذنب وأنت الغفور.

فقوله: ﴿غُفۡرَانَكَ﴾ أي: أطلب يارب الغفران الكبير، فإنْ كان جرمي كبيراً لكنّ غفرانك أعظم من جرمي، أي: عاملنا بما أنت له أهل لا بما نحن أهل له.

٦ـ وقوله: ﴿رَبَّنَا﴾ اعتراف بالربوبية لله، أي ربيتني في الماضي فاجعل عملي في الماضي شفيعي إليك في أنْ تربيني في المستقبل، فتمم هذه التربية بفضلك وكرمك.

وهو خطاب قرب من حيث لم يظهر فيه أداة نداء، ولم يُجر الله سبحانه وتعالى على ألسنة المؤمنين في كتابه العزيز نداءَ بُعدٍ قَطُّ.

٧ـ قوله: ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ فيه إقرار بالمعاد إلى الله وحده، حيث قدّم الجار والمجرور فأفاد القصر والحصر أي لا إلى غيرك . والله أعلم.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين آية البقرة ٢٨٦ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ و آية الطلاق ٧ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ ؟

الجواب :

١ـ لو نظرنا في الآيتين سنجد السبب واضحاً. آية البقرة تتكلم عن التكاليف عموماً وفي أمور الحياة وفي العمل، وأنه من عمل خيراً كان له ومن عمل سوءاً كان عليه، وهذا في عموم التكاليف، فقال الله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ فهو كسبٌ واكتساب.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ جمهور العلماء قال كما قال: الرسول ﷺ «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا به ما استطعتم**» أي: بقدر طاقتكم.

وقالوا أيضاً في معناها: إنّ جميع التكاليف هي في وسع البشر؛ لأنه سبحانه و تعالى لم يكلّف البشر شيئاً لا يطيقونه ولم يكلفهم ما لا يطيقونه، فإذا كانوا لا يطيقون يخفف عنهم.

٢ـ لكن آية الطلاق ٧ وهي قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ الإيتاء هنا هو الإعطاء. وعندما ننظر في سياق الآية نجد الكلام عن المال، أي: ما آتى الله للإنسان من مال، والكلام في الآية عن الإنفاق والمنفق عليه، والكلام أيضاً هو عن المطلَّقات، أي: ما أعطاها من الرزق، فلا يكلف الفقير أنْ ينفق ما ليس في وسعه، بل لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها من حيث المال، وعندما يكون هناك إنفاق فبقدر ما عندك تُنفِق ، أي بمقدار ما آتاك الله، فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق:٧].

السؤال الثاني :

لماذا نكّر كلمة (نفس) في الآية فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ ؟

الجواب :

في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ دلالة التنكير للأنفس، أي: هي للعموم والشمول، أي: جنس النفس، وأيُّ نفس لا يكلفها الله تعالى إلا وسعها وإلا ما تطيقه، والرسول ﷺ عندما يقول: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن أمر فانتهوا**» ففي مسألة النهي نقطع، فلمّا نُهينا عن الربا انتهى الأمر، وإذا أمرنا بأمر نأتي منه بقدر طاقتنا، أمرنا بالصيام فنصوم فإذا كان الإنسان مريضاً يخفف عنه.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين (كسبت واكتسبت)؟

الجواب :

هناك رأيان :

١ـ اكتسب على وزن (افتعل) وفيها تمهّل، مثل: اصبر واصطبر وجهد واجتهد. واصطبر هو صبر طويل شديد، فصيغة افتعل فيها تمهّل ومدّة واجتهاد وإبطاء. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ .

و كلمة (الاكتساب) فيها تمهل واجتهاد وليست (اكتسب) عامة؛ لأنها في الشر، بينما (الكسب) يكون في الخير والشر، لكنّ الكسب أسرع والاكتساب فيه تمهّل واجتهاد، واكتساب السيئات يحتاج إلى مشقة، أمّا الخير فقد يأتيك وأنت لا تعلم، فقد يغتابك أحد وتكسب أنت خيراً وهو يكتسب شراً.

٢ـ هناك رأي آخرفي الفرق بين: كسب واكتسب، فالكسب هو أمر طبيعي، لذلك نجد أنّ أفعال الخير تأتي كسباً لا اكتساباً، بينما الفعل: (اكتسب) على وزن (افتعل) فيه تكلف؛ لأنّ صاحب الشر يتكلف الفعل فيحاول أنْ يستر نفسه، مثل السارق للبستان أو سارق النظرة من المرأة الأجنبية، بعكس نظر الرجل إلى زوجته فيتم بدون تكلف، فالشر هو الذي يحتاج إلى افتعال.

والمرحلة الأولى من الشر يكون أهل الشر في حياء من فعل الشر؛ لأنّ في نفوسهم بقايا خير، لكنْ عندما يعتبرون الشر حرفة ومَلَكَة فهنا المصيبة إذ تحيط بكل منهم خطيئته، فلا تجعل له منفذاً إلى الله ليتوب، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨١] فالمصيبة الكبرى

عندما يصل المرء إلى مرحلة لا يحتاج الشر عنده إلى افتعال ويسقط في بلادة الحس الإيماني وتكون الشرور عليه سهلة لأنه تعود عليها.

٣ـ ونلاحظ أن كل ﴿لَهَا﴾ في القرآن جاءت مع ﴿كَسَبَتْ﴾ وكلمة ﴿وَعَلَيْهَا﴾ جاءت مع ﴿اكْتَسَبَتْ﴾ إلا في آية واحدة في سورة البقرة ٨١ ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الإنساء والنسيان، وما علاقة النسيان بالشيطان؟

الجواب:

١ـ النسيان: خلقه الله في الإنسان، لذلك ينسى الشخص من تلقاء نفسه، ويكون عما كان، أمّا السهو فيكون عما لم يكن.

٢ـ الإنساء: من أنسى، مثل: أكرم إكراماً.

٣ـ لا النسيان ولا الإنساء يتعلقان بالشيطان،فقد تستطيع أن تُنسي شخصاً أمراً ما بإلهائك إياه ببعض الأمور الأخرى.

٤ـ الله تعالى ينسب الإنساء لنفسه كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩].

* شواهد قرآنية:

ـ آية طه ٥٢ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ لا ينسى من تلقاء نفسه.

ـ آية الكهف ٦٣ ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ فتى موسى يتكلم عن نفسه، وعن أن وساوس الشيطان ألهته فنسي.

ـ آية يوسف ٤٢ ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ هذا سرد لما حدث، يتكلم عن الشخص الذي ظن أنه ناج، أي: أنّ الشيطان بسبب وساوسه وإلهائه له جعله ينسى موضوع يوسف عليه السلام.

ـ آية البقرة ٢٨٦ ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ عامة من تلقاء أنفسهم.

ـ آية المؤمنون ١١٠ ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي: أنّ انشغالكم بسخرية المؤمنين أنساكم ذكر الله والإيمان به.

ـ آية البقرة ١٠٦ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ متعلقة بالله تعالى.

السؤال الخامس :

ما الفرق اللغوي بين الألفاظ الثلاثة: (قدر ـ استطاع ـ أطاق) في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ قدر: تعني أنّ الإنسان يقوم بالعمل دون أي جهد وأنّ العمل عليه سهل، ولذلك وصف الله تعالى ذاته العلية بأنه قدير؛ لأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: (كن فيكون).

* شواهد قرآنية: [البقرة ١٤٨ـ الأنعام ٣٧ ـ النحل ٧٧ ـ الإسراء ٩٩].

٢ـ استطاع: الفعل مشتق من الاستطاعة، وهي أنْ تقوم بالعمل الذي يساوي قوتك وجهدك دون أن تدخر منه شيئاً أو تتكلف أي جهد إضافي.

* شواهد قرآنية: [آل عمران ٩٧ـ الأنفال ٦٠].

٣ـ أطاق: من الطاقة، وهي القيام بالأمر ببذل أقصى الجهد والمشقة والتعب الشديد، أي: يقوم بالعمل ببذل مزيد من الجهد والعنت والشقاء.

* شواهد قرآنية:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] .

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

السؤال السادس :

قوله تعالى:﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ ما الفرق بين التحميل والتكليف والاختبار والفتنة ؟

الجواب :

١ـ التحميل لا يكون إلا لما يُستثقل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ والإصر هو الثقل.

٢ـ أما التكليف فقد يكون لما لا ثقل له، نحو الاستغفار فتقول: كلفه الله الاستغفار ولا تقول: حمّله ذلك.

٣ـ الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق، بينما الاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب .ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: هو مبتلى بالنعمة، بل مختبر بها.

والابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، بينما الاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر هو العلم الذي يقع بكُنهِ الشيء وحقيقته.

٤ـ الفتنة أشد أنواع الاختبار، وأصله عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده، ويكون في الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات:١٣] وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥] وقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:١٦-١٧] فجعل النعمة فتنة؛ لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المُنعَم عليه . والله أعلم.

السؤال السابع :

ما أهم اللفتات والدروس في الآية ؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يحتمل أنْ يكون ابتداء خبراً من الله، ويحتمل أنْ يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين، أي: معطوفاً على قوله: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ويؤيد ذلك قولهم ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾.

ويكون تقدير الكلام : كيف لا نسمع ولا نطيع والله لا يكلفنا إلا ما في وسعنا.

٢ـ يقال: كلفته الشيء فتكلف، والكلفة اسم منه، وأمّا الوسع فهو ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، فالوسع دون المجهود في المشقة، وهو ما يتسع له قدرة الإنسان .

٣ـ قوله: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ فيه اعترافٌ بعبوديتنا لله بأنه خالقنا ومتولٍّ أمورنا وناصرنا، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧] وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ [التحريم:٤] أي: ناصره. والله أعلم.

السؤال الثامن :

ورد في الآية أربعة أنواع من الدعاء كلها بدأت بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ إلا في الدعاء الرابع، فما دلالة ذلك ؟

الجواب :

آ ـ اعلم أنّ الله تعالى حكى في هذه الآية عن المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء كلها بدأت بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾ إلا في النوع الرابع من الدعاء حيث بدأ بـ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ وهذه الأدعية هي :

١ـ الدعاء الأول : قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وكأننا نقول: يا رب نقدرك حق قدرك ولا نجترىء على عصيانك عمداً، وإنْ عصينا فإنما هو نسيان أو خطأ.

وأخطأ من (الخطأ)، وهو الزلل عن الحد من غير تعمد، أمّا (خَطِىء)، فهو لا يكون إلا إثماً؛لأنه تعمد.

٢ـ الدعاء الثاني: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (والإصر) في اللغة الثقل والشدة، وهو العهد الثقيل الذي في تحمله أشد المشقة.

٣ـ الدعاء الثالث : قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ .

والسؤال : لمَ قال آنفاً: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ وقال هنا: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ ؟

والجواب أنّ الإصر في اللغة هو الثقل والشدة، والشاق يمكن حمله، أمّا ما لا يكون مقدوراً فلا يمكن حمله، أي: الحمل للشاق والتحميل للأمور غير المقدور عليها.

٤ـ الدعاء الرابع قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ وفيه اعتراف بأننا لا نقوى على غضب الله؛ لذلك نطلب المغفرة، فنحن ندعوه بألا يدخلنا في الذنب الذي يؤدي إلى غضبه ونطلب من الله المغفرة، و(الرحمة) هي الدعاء بألا يدخلنا في الذنب أصلاً.

ب ـ اعلم بأنه في الأنواع الثلاثة من الأدعية كان المطلوب فيها الترك وكانت مقرونة بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ .

وأما الدعاء الرابع فهوطلب فعلٍ في قوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ فقد حذف هنا لفظ ﴿رَبَّنَا﴾ لأنّ النداء إنما يُحتاج إليه عند البعد، أمّا عند القرب فلا ، وفي ذلك إشعار بأنّ العبد إذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى، وفي هذا سر عظيم .

السؤال التاسع :

ما الفرق بين العفو والمغفرة ؟

الجواب :

١ـ العفو أنْ يسقط عنك العقاب؛ لأنّ العفو هو محو الأثر، وأمّا المغفرة فهي أنْ يستر عليك الجرم صوناً من عذاب التخجيل والفضيحة، فالأول هو العذاب الجسماني، والثاني هو العذاب الروحاني .

٢ـ وعندما تخلص منهما أقبل على طلب الثواب، وهو أيضاً قسمان :

آـ ثواب جسماني، وهو نعيم الجنة، فقوله: ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ قد يكون طلباً للثواب الجسماني.

ب ـ وثواب روحاني، وغايته أنْ يتجلى له نور الله، وهو قوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ وهذه الكلمة تدل على نهاية الخضوع والتذلل بأنه سبحانه هو المتولي لكل نعمة للمؤمنين، وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها. والله أعلم

السؤال العاشر :

ما اللطيفة العددية في الرقم (٢٨٦) والذي يمثل رقم آخر آية من سورة البقرة؟

الجواب :

الرقم (٢٨٦) والذي يمثل عدد آيات سورة البقرة يتألف من ثلاث خانات فإذا أخفيت الخانة اليمنى كانت النتيجة العدد(٢٨)، وهو عدد السور المدنية في القرآن الكريم ، وإذا أخفيت الخانة اليسرى كانت النتيجة العدد(٨٦) وهو عدد السور المكية في القرآن الكريم ، ومجموع الرقمين [٢٨+٨٦] = ١١٤ ، وهو عدد سور القرآن الكريم ..فتأمل!!

رابعاً ـ تناسب افتتاح سورة البقرة مع خاتمتها :

قال تعالى في بدء سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾
[البقرة:١-٢-٣-٤-٥-٦]

١ـ فذكر المؤمنين الذين يؤمنون بما أنزل إلى الرسول عليه السلام وما أنزل من قبله، ثم ذكر الذين كفروا.

وقال في آخر السورة : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥] .

فذكر في أول السورة أنهم يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، وكذلك ذكر في آخر السورة.

فقد قال في أول السورة : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [البقرة:٤] .

وقال في آخرها إنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله.

فناسب البدء الختام.

٢ ـ ذكر في أول السورة أنهم يؤمنون بالغيب.

وذكر في آخر السورة أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكل هذا من الغيب.

ثم إنّ الإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بكل ما ذكروا من الغيب.

٣ ـ ذكر الكافرين في أول السورة فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة:٦] .

وقال في خاتمتها : ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة:٢٨٦]. فدعا بالنصر عليهم، فناسب مفتتح السورة خاتمتها من أكثر من وجه. والله أعلم .

سورة آل عمران

أولاً ـ تناسب خواتيم سورة البقرة مع أوائل سورة آل عمران:

١ ـ قال في خواتيم البقرة:

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾[البقرة:٢٨٤].

وقال في أوائل آل عمران:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)﴾[آل عمران:٥-٦].

فقوله في سورة البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ﴾[البقرة:٢٨٤].

يناسب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)﴾[آل عمران:٥]

فالملك ملكه وهو يعلم ما فيهما لا يخفى عليه شيء فيهما.

وأثبت له المشيئة في المغفرة والتعذيب.

وأثبت له المشيئة في التصوير في الأرحام، فهو- سبحانه - على كل شيء قدير.

٢ـ قال في خواتيم البقرة:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال في مفتتح آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٣-٤].

فذكر في خواتيم البقرة من آمن بالله والملائكة والكتب والرسل.

وذكر في أول آل عمران الكتب وذكر التوراة والإنجيل وذكر أنّ القرآن مصدق لما بين يديه.

٣ـ ذكر دعاء المؤمنين في خواتيم البقرة: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وذكر دعاء الراسخين في العلم في مفتتح آل عمران: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران:٨-٩].

٤ـ قال في خاتمة البقرة على لسان المؤمنين: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال في أوائل آل عمران ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران:١٢].

كما ذكر نصر المؤمنين في معركة بدر.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران:١٣] .

فكأن ما ذكره في آل عمران استجابة لما دعا به المؤمنون في أواخر البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة:٢٨٦] .

جاء في «البحر المحيط»: مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لأنه لما ذكر آخر البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦] . ناسب أنْ يذكر نصره تعالى على الكافرين حين ناظرهم رسول الله ﷺ ورد عليهم بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة .

ولمّا كان مفتتح آخر آية البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥] .

فكان في ذلك الإيمان بالله وبالكتب ناسب ذكر أوصاف الله تعالى وذكر ما أنزل على رسوله وذكر المنزَّل على غيره صلى الله عليهم.

ثانياً: هدف السورة: الثبات.

كل سورة من سور القرآن الكريم لها وحدة موضوع، واسم كل سورة مستوحى من هذا الموضوع. وهدف سورة آل عمران: الثبات، فبعد أنْ عرض الله تعالى لنا المنهج الذي يجب علينا أنْ نتبعه في سورة البقرة جاءت سورة آل عمران لتدلنا على الطرق التي تعيننا على الثبات على هذا المنهج، سواء كنا من حديثي العهد بالمنهج أو قديمي العهد، فكل المؤمنين يحتاجون إلى الثبات على المنهج؛ حتى لا يتخاذلوا ولا يخافوا أنْ يزيغوا أو يضلوا.

وسورة آل عمران تنقسم قسمين اثنين:

١. القسم الأول من الآية (١- ١٢٠)، هذه الآيات تدلنا على كيفية الثبات فكرياً في مواجهة الأفكار الخارجية.

٢. القسم الثاني من الآية (١٢١- إلى نهاية السورة)، وفيها كيفية الثبات داخلياً.

وقد بدأت سورة آل عمران بالثبات فكرياً من الخارج لتجهيز البيئة المحيطة ثم انتقلت للثبات الداخلي للفرد، وسورة آل عمران تتمحور حول حادثتين:

آـ حادثة وفد نصارى نجران الذي يمثل أول حوار للأديان في التاريخ، وكيف نثبت في مواجهة الأفكار الخارجية من خلال المناقشة مع وفد نصارى نجران، وهي تعلمنا فكرة مناقشة أهل الكتاب عامة.

ب ـ والحادثة الثانية: غزوة أحد، لتدلنا على كيفية الثبات العملي، ورغم أنّ غزوة أحد وقعت قبل حادثة وفد نجران، إلا أنّ ورودها بعدها إنما هو لتحقيق فكرة الثبات الخارجي أولاً، ثم الداخلي.

بداية السورة ونهايتها تدلان على أنّ الحق معنا وعلينا أنْ نتمسك به: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] . و: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران:٢٠٠] .

ونستعرض سورة آل عمران ومحاورها:

١ـ الثبات على الحق: والآيات كثيرة في الثبات لكل الطبقات وكل الناس:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢] .

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾[آل عمران:١٠٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

٢ـ عقبات الثبات: نحو قوله تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:١٤] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[آل عمران:١٥٥].

٣ـ عوامل الثبات:

آـ اللجوء إلى الله تعالى:

ـ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران:٨].

ـــ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[آل عمران:١٩٢-١٩٣-١٩٤].

وكذلك دعوة سيدنا زكريا: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ﴾[آل عمران: ٣٨ - ٣٩].

وسورة آل عمران هي أكثر السور التي ورد فيها دعاء؛ لأننا إذا أردنا الثبات على المنهج علينا أنْ ندعو الله تعالى ونلجأ إليه حتى يعيننا على الثبات؛ لأننا بأمسّ الحاجة إلى عون الله تعالى على الثبات.

ب ـ **العبادة**: وهذه السورة مليئة بنماذج عُبّادٍ.

السيدة مريم وعبادتها:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران:٣٧].

وسيدنا زكريا: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران:٣٩].

ج ـ **الدعوة إلى الله**: لأنه عندما يدعو أحدنا غيره إلى الله تعالى فهذا يعين على الثبات:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤]،: و ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران: ١١٠].

د- وضوح الهدف: يجب أنْ يكون الهدف واضحاً في الحياة.: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩١] .

هـ- الأخوّة: تركيز على الأخوّة في الدين بشكل شديد؛ لأنها من أهم ما يُعين على الثبات.: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران:١٠٣] .

والنصف الأول من سورة آل عمران يدعو للثبات فكرياً، ويتمثل في مناقشة راقية للرسول ﷺ مع أهل الكتاب ليعرض معهم أين الحق، وقد أقام وفد نجران في مسجد الرسول ﷺ وناقشهم فيه أيضاً، وعلينا أنْ نتخذ هذه التعاليم لمحاورة الذين اختلفوا معنا في المعتقد ونقتدي بالرسول ﷺ .

كيف تثبّت سورة آل عمران المؤمنين؟

١- تقوية عقيدة المسلمين قبل النقاش: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾[آل عمران:١٨-١٩-٢٠].

٢ـ إيجاد نقاط اتفاق بين المسلمين وأهل الكتاب:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران:٦٤].

٣ـ الحجج والبراهين وسيلة القرآن للتثبيت:

ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[آل عمران:٥٩].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾[آل عمران:٦٥].

٤ـ تحذير أهل الكتاب من التكذيب:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[آل عمران:٧٠-٧١].

٥ـ التحدّي الشديد: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١].

٦ـ العدل في النظرة إلى أهل الكتاب: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[آل عمران:٧٥].

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران:١١٣].

٧ـ الثناء على الأنبياء الذين أُرسلوا إلى اليهود والنصارى:

ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[آل عمران:٣٣]

ونلاحظ أن القسم الأول من السورة اختتمت فيه الآيات بآية تتكلم عن الثبات: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[آل عمران:١٢٠] واختتمت آيات القسم الثاني بآية تتكلم عن الثبات أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] .

النصف الثاني من السورة:

يتحدث هذا القسم عن غزوة أحد؛ لأنها تركت في نفوس المسلمين أثراً شديدا من جرّاء عصيانهم لأوامر الرسول ﷺ، ونلاحظ أن تسلسل قصة غزوة أحد و أن تثبيت المسلمين جاء على سياق غاية في الحكمة .

١ـ أولاً يذكر الله تعالى فضله على المسلمين: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[آل عمران:١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤] .

٢ـ ثم يرفع من روحهم المعنوية فيخفف عنهم، ثم يلوم المخالفين لوماً رقيقاً:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران:١٥٢] .

٣ـ ثم يرفع روحهم المعنوية مرة أخرى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران:١٥٤] .

٤ـ ثم يذكر أسباب الهزيمة والمعصية ﴿الآية ١٥٢﴾. رابطاً ببدايات السورة في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران:١٤]. وهذه الشهوات هي التي تدفع للمعصية، وكذلك الربا يؤدي إلى الخلافات، ولهذا وردت آية الربا في سورة آل عمران أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران:١٣٠] .

تسمية السورة:

أمّا تسمية السورة بـ (آل عمران) فهي إكرام لزوجة عمران والسيدة مريم ابنة عمران، فالسيدة مريم عليها السلام كانت رمزاً للثبات في العبادة والعفّة، وزوجة عمران كانت رمزاً للثبات بنصرة الإسلام .

وكذلك سورة آل عمران فيها نظرة عالية للمرأة بذكر زوجة عمران ومريم عليها السلام، التي رفعت من الروح المعنوية لدى سيدنا زكريا فدعا ربه أنْ يهب له ذرية

صالحة، وفي هذا إشارة أنّ رمز الثبوت هم النساء، ولذا جاء ترتيب سورة النساء مباشرة بعد سورة آل عمران . والله أعلم .

السمة التعبيرية للسورة:

هناك سمة تعبيرية لكل سورة، حيث تكثر فيها كلمات معينة، مثل كلمة (الله) في سورة البقرة، وكلمة (الرب) في سورة آل عمران، و(الرحمن والرحمة) في سورة مريم، فهي أكثر سورة في القرآن تردد فيها الرحمة والرحمن.

❁❁❁❁

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الٓمٓ ١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية الأولى في آية البقرة .

❁❁❁❁

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾

السؤال الأول:

(الحي القيوم) هما اسمان من أسماء الله الحسنى، فما معناهما ودلالتهما ؟

الجواب:

١ـ الحيّ معرّفة، والقيّوم معرّفة. والحيّ: هو الكامل الاتصاف بالحياة ولم يقل: (حيّ) لأنها تفيد أنه من جملة الأحياء.

والتعريف بـ (ال) هي دلالة على الكمال والقصر؛ لأنّ من سواه يصيبه الموت. والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله وحده له الكمال في الحياة، وكل من عداه يجوز عليه الموت، وهو الذي يفيض على الخلق بالحياة، فالله هو الحيُّ لا حيَّ سواه على الحقيقة؛ لأنّ من سواه يجوز عليه الموت.

٢ـ القيّوم: من صيغ المبالغة،على وزن(فيعول)، وهي ليست من الأوزان المشهورة﴾، ومن معانيها القائم في تدبير أمر خلقه في إنشائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء، ومن معانيها الذي لا ينعس ولا ينام، لأنه إذا نعس أو نام لا يكون قيّوماً، ومن معانيها القائم بذاته، وجاء بصيغة التعريف (القيوم)؛ لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً.

❁❁❁❁

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا لم يلتزم القرآن بنفس الأحرف المقطعة في كل السور؟ وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين دلالتي كلمتي (الكتاب والقرآن)؟

الجواب:

من ناحية اللغة كلمة (قرآن) هي في اللغة مصدر الفعل (قرأ) مثل: غفران وعدوان، ثم استعملت عَلَماً للكتاب الذي أُنزل على الرسول ﷺ (القرآن).

أمّا (الكتاب) فهو من الكتابة، لأنّ الكتاب متعلق بالخط، وأحياناً يطلق عليه الكتاب وإن لم يُخطّ، فقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لم يُنزّل مكتوباً وإنما أُنزل مقروءاً، ولكنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أنْ ينزّل على رسول الله ﷺ.

أما من ناحية الاستعمال: فيلاحظ أنه عندما يبدأ بالكتاب يتردد في السورة ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن، وقد لا تذكر كلمة القرآن مطلقاً في السورة. أمّا عندما يبدأ بالقرآن فيتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر من الكتاب، وقد لا يرد ذكر الكتاب مطلقاً في السورة، وإذا اجتمع القرآن والكتاب فإنهما يترددان في السورة بشكل متساو تقريباً.

السؤال الثالث:

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

وهل هناك جدول إحصائي يربط بين التناسب في ذكر الكتاب أو القرآن في أول السورة وما يتردد من نفس الألفاظ في نفس السورة.

الجواب:

أولاً: القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة هي:

١ـ إنّ كل سورة يلي فيها الأحرف المقطعة ذكر (الكتاب) وحده ولم يذكرْ معه (القرآن) فإنه تتردد فيها لفظة (الكتاب) أكثر من لفظة (القرآن) وربما لا ترد فيها لفظة (القرآن).

٢ـ وكل سورة يلي فيها الأحرف المقطعة ذكر (القرآن) وحده ولم يذكر معه لفظة (الكتاب) تتردد فيها لفظة (القرآن) أكثر من لفظ (الكتاب)، وربما لا يرد فيها لفظ (الكتاب).

٣ـ وكل سورة اجتمع فيها ذكرهما، تردد ذكرهما بصورة متقاربة بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر بأكثر من لفظ واحد .

وهذا النهج لم يختلف في أية سورة من السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة.

ثانياً ـ الجدول الإحصائي هو:

اللفظ	السورة	تردد لفظ الكتاب	تردد لفظ القرآن
الكتاب	البقرة	٤٧ مرة	١ مرة واحدة
الكتاب	آل عمران	٣٣ مرة	ـ
القرآن	طه	١ مرة واحدة	٣ مرات
القرآن	ق	١ مرة واحدة	٢ مرتان
الكتاب والقرآن	الحجر	٢ مرتان	٣ مرات
الكتاب والقرآن	النمل	٥ مرات	٤ مرات

ثالثاً ـ الملاحظات:

١ ـ الكتاب: من الكتابة ومشتقاتها .

٢ ـ القرآن: مشتق من القراءة.

٣ـ الفرقان: هو الفرق بين الحق والباطل .

٤ـ الذكر: هو ذكر الآيات، وذكر آلاء الله، وذكر الحلال والحرام.

٥ ـ في سورة آل عمران تردد لفظ الكتابة ومشتقاتها ٣٣ مرة.

٦ـ لم يجتمع لفظ الكتاب والقرآن معاً إلا في مطلع سورة الحجر وسورة النمل.

٧ ـ لم يحصل أنْ زاد لفظ القرآن على لفظ الكتابة أو العكس في هذا النوع إلا في (سورة ص) فإنّ ذكر القرآن والكتاب تساويا، حيث ورد كل منهما مرة واحدة مع أنّ مطلع السورة هو ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [ص:١].

السؤال الرابع:

ما أسماء القرآن التي وردت في القرآن ؟

الجواب:

هي كثيرة منها:

١ـ الكتاب.

٢ـ القرآن.

٣ـ الفرقان.

٤ـ الذكر.

٥ـ التنزيل.

٦ـ الحديث.

٧ـ الموعظة.

٨ـ الحُكم والحكمة والحكيم ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس:١-٢] والمُحكَم ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١].

٩ـ الشفاء.

١٠ـ الهدى والهادي: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

١١ـ الصراط المستقيم.

١٢ـ الحبل.

١٣ ـ الرحمة.

١٤ـ الروح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] .

١٥ـ القصص.

١٦ـ البيان: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٨] والتبيان ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] .

١٧ـ البصائر: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٢٠٣].

١٨ـ الفصل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ [الطارق:١٣].

١٩ـ المثاني: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحِجر:٨٧] .

٢٠ـ النعمة.

٢١ـ البرهان.

٢٢ـ البشير والنذير.

٢٣ـ القيم: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[الكهف:٢].

٢٤ـ المهيمن: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨].

٢٥ـ النور.

٢٦ـ الحق.

٢٧ـ العزيز ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾[فُصِّلَت:٤١].

٢٨ـ الكريم.

٢٩ـ العظيم: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحِجر:٨٧].

٣٠ـ المبارك: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾[الأنبياء:٥٠].

السؤال الخامس:

ما الفرق بين ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أَنزَلَ﴾ في الاستعمال القرآني، وكلاهما وردا في هذه الآية الكريمة؟

الجواب:

١ـ لقد عبّر السياق القرآني عن نزول الكتب السماوية بالفعلين: ﴿نَزَّلَ﴾لمّا ذكر القرآن و﴿أَنزَلَ﴾لمّا ذكر التوراة والانجيل، ألا يشعرك ذلك بمعنى جليل يريد الله تعالى أنْ يقذفه في قلبك في هذا التغاير بين الفعلين؟ نعم، عندما استخدم الله تعالى فعل ﴿نَزَّلَ﴾

بالتضعيف أشعرك هذا التضعيف بالقوة والشدة زيادة عن الفعل (أنزل)، وهذه الشدة تؤذن بقوة نزول القرآن في كيفيته وكمّيته، وهذا تعظيم لقدر القرآن وشأنه.

٢ـ إنّ فعل ﴿نَزَّلَ﴾ يفيد التدرج والتكرار لأجل التضعيف، وفعل ﴿أَنزَلَ﴾ للإنزال العام الذي يفيد مرةً واحدةً ويحتمل الزيادة، وقيل: إنّ ذلك هو الأكثر وليس نصاً في أحد المعنيين .

ولذلك سُمِّيَ الكتاب تنزيلاً؛ لأنه لم ينزّل جملة واحدة بل سورةً سورةً وآيةً آيةً، وليس نصاً فيه .

وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:٣] يشير إلى تفصيل المُنزّل وتنجيمه حسب الدواعي وأنه لم ينزل دفعة واحدة .

أمّا لفظ ﴿أَنزَلَ﴾ فلا يعطي ذلك إعطاء ﴿نَزَّلَ﴾ وإنْ كان محتملاً، وكذلك جرت أحوال الكتب السماوية أيضاً، فإنّ التوراة إنما أوتيها موسى عليه السلام جملةً واحدة في وقت واحد، أمّا القرآن فنزل مقسّطاً من لدن ابتداء الوحي، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] وهو القرآن، ثم قال: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[النساء:١٣٦] والمراد التوراة .

السؤال السادس:

هل من فرق في المدلول بين التعبيرين (نزّله إليك) و (نزّله عليك)؟

الجواب:

١ـ التعبير (نزّله إليك) لم يستعمل إلا مع العاقل، كما جاء في القرآن للتعبير عن الرسول ﷺ.

٢ـ أمّا (نزّله عليك) فيستعمل للعاقل وغير العاقل، كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾[الحشر:٢١].

٣ـ وفي العقوبات لم يستعمل إلا (على).

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[آل عمران:٣] في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[آل عمران:٣] انظر إلى هذا التعبير وما يضفيه من تعظيم لقدر القرآن، فقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[آل عمران:٣] فيه استعارة لفظية، فكأنه جعل القرآن أمام الكتب السابقة جميعها، وجعلها في شرفه وضيافته، ألا تجد نفسك تقول إذا أردت تعظيم شخص ما: جلس الناس بين يدي فلان؟!

❁❁❁❁

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾[آل عمران:٤] في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[آل عمران:٤] فيه أقوال:

١ـ أنه الزبور: وهذا بعيد؛ لأن الزبور ليس فيه شرائع بل مواعظ فقط، والزبور من زبرت، أي: كتبت.

٢ـ أنه القرآن وإنما أعاد ذكره؛ ليبين أنه أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فرقاً فيما اختلف عليه اليهود والنصارى.

٣ـ أنّ الكتب الثلاثة جعلها الله فارقة بين الحلال والحرام .

٤ـ الفرقان هو المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب التي تدل على صحتها، ويفيد الفرق بينها وبين سائر الكتب الوضعية المختلفة .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن قَبْلُ﴾[آل عمران:٤] بُني على الضم، فلماذا ؟

الجواب:

الظرف ﴿مِن قَبْلُ﴾[آل عمران:٤] بني على الضم لانقطاعه عن الإضافة، بخلاف (جئت قبلَه) أو (جئت من قبلِه)، وهذا شبيه بقوله تعالى في آية الروم ٤ ﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤].

❁❁❁❁

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

عند التأمل في الآيات في سورة آل عمران التي تختم بـ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾[آل عمران:٦] نجد أنّ السياق قد يكون للمستقبل، فهل هذا صحيح ؟

الجواب:

١ـ هذا التأمل في مكانه في سورة آل عمران، لكنّ هذا الكلام ليس مطلقاً في كل القرآن الكريم، وإنما الذي نجده أنه قد يكون للمستقبل، وقد يكون للأمر الثابت حينما يكون وصفاً لله سبحانه وتعالى كهذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران:٦] لأنّ تصوير الله عز وجل للناس في الأرحام ليس مستقبلاً وإنما هو دائم ثابت.

٢ـ في سورة البقرة ست آيات كلها للمستقبل (الآيات: ١٢٩-٢٠٩-٢٢٠-٢٢٨-٢٤٠-٢٦٠).

٣ـ في آل عمران أربع آيات كلها للدائم (الآيات: ٦-١٨-٦٢-١٢٦) . نحو قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران:١٨]؛ لأنّ العزيز الحكيم قيامه بالقسط هو ليس للمستقبل وإنما هو ثابت دائم.

٤ـ في النساء (الآيات ٥٦-١٥٨-١٦٥) آية واحدة للمعنى الثابت .

٥ـ في المائدة مرة للمستقبل ومرة حكم عام (الآيات: ٣٨-١١٨).

٦ـ في الأنفال أربعة مواضع للدوام (الآيات: ١٠-٤٩-٦٣-٦٧) .

٧ـ وفي التوبة موضعان للمستقبل والدوام (الآيات: ٤٠-٧١) .

٨ـ في باقي السور: إبراهيم الآية ٤ ـ النحل آية ٦٠ ـ النمل الآية ٩ـ العنكبوت الآية ٢٦ و ٤٢ ـ الروم ٢٧ ـ لقمان ٩ و ٢٧ ـ سبأ ٢٧ ـ فاطر ٢ ـ الزمر ١ـ غافر ٨ ـ الشورى

٣ ـ الجاثية ٢ و ٢٧ ـ الأحقاف ٢ ـ الفتح ٧ و ١٩ ـ الحديد ١ ـ الحشر ١ و ٢٤ ـ الممتحنة ٥ ـ الصف ١ ـ الجمعة ١ و ٣ ـ التغابن آية ١٨.

٩ ـ حتى يكون الحكم عاماً ينبغي أنْ نمر بكل الآيات؛ لأنّ هذا كلام الله عز وجل، ولذلك ينبغي أنْ يكون هناك استقصاء وإحاطة بها في السور. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ و ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران:٧] في هذه الآية في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ ـ هذه الآيات لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد تكون متعلقة بالله تعالى أو بالقدَر أو بأمور أخرى لسنا مكلّفين بها ولا نعلمها، أمّا الآيات المحكمات فهي التي تكون متعلقة بالبشر،فعلينا اتّباع المحكمات والإيمان بالمتشابهات، وقيل: إنّ ثلثي القرآن فيه متشابه.

علماً بأن الأحكام تعدل ثلث القرآن، وهي تخص الآيات التي لا يوجد فيها تشابه، لكنّ التشابه في هذا الكتاب هو في الآيات المتشابهة.

وقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] هذه الآيات منها تستنبط الأحكام: الحلال والحرام، والمواعظ والنصائح، وكل شيء؛ لأنّ القرآن منهج حياة وكل ما يتعلق بمنهج الحياة يُستنبط من هذه الآيات، فهي أمٌّ للكتاب كله.

٢ـ وأما قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾[آل عمران:٧] فهي الآيات التي فيها مساحتان: مساحة للفهم العام شأنها شأن المحكمات، ومساحة لما اختصّ الله عز وجل ذاته بعلمه، ولذلك أتبع الله ذلك بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[آل عمران:٧] ولا يخوضون فيه؛ لأنهم يعلمون جيداً أنهم لن يصلوا فيه إلى نتيجة؛ لأنّ هذا مما اختص الله عز وجل به نفسه (الماهيّات)، لكنّ المعنى العام مفهوم.

في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء رجل تحققت فيه هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾[آل عمران:٧] يريد أنْ يحدث فتنة فبدأ يسأل عن الآية ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر:٤٩] وبدأ يثير بلبلة بين المسلمين عن الماهية و الكيفية فرُفِع الأمر إلى عمر فقال: هذا نحن نؤمن به فأخذ الدِرّة وصار يضربه بها.

٣ـ أين يكون الوقف السليم في الآية؟ بالطبع عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾[آل عمران:٧]، وهنا نقول إنّ قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لأنه ما الفائدة من مدحهم إذا

لم يكونوا مؤمنين هذا الإيمان؟ فإذا كان الراسخون في العلم يقولون هذا الكلام، فمن باب أولى يجب على الذين هم أقلّ علماً أنْ يقولوا هذا في المساحة الثانية من المتشابه مما سُمِّيَ متشابهاً. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما معنى (التأويل) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧] ؟

الجواب:

التأويل له معنيان: التفسير والبيان، ويشمل جميع القرآن أو حقيقة الشيء ومآله ويشمل القسم الثاني من المتشابه، وهذا مما اختص الله عز وجل به نفسه.

فإذن سيكون معنى الآية: أنّ كتاب الله عز وجل كل آياته محكمة والمتشابه منها فيه مساحة.

السؤال الثالث:

إذا كانت الوقفة على كلمة ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧] في هذه الآية فكيف يكون تفسير الآية؟

الجواب:

١ـ علامات الوقف ليست توقيفية، وإنما من خلال ما كتبه علماء الوقف والابتداء ومما أخذ، لكنْ هنا يوجد رواية وهي أنه هناك وقف على كلمة العلم ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، ونُسِب إلى ابن عباس أنه قال: والراسخون يعلمونه وأنا أعلمه وأنا من الراسخين الذين يعلمونه.

والكلام في هذه الآية وما ورد به رواية لا يُردّ، لكننا نختار ما عليه جمهور المسلمين وما يوافق سياق الآية.

٢ـ علامة الوقف في المصحف على كلمة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧] في الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧] وليس هناك علامة على كلمة العِلم، لكنْ في الروايات موجود هنا وقف، واللجان العلمية اختارت الوقف على لفظ الجلالة.

٣ـ وقسم رفض أنْ تكون الواو هنا عاطفة، وإنما قال: هي استئنافية حتى في الوقف: يعني وما يعلم تأويله إلا الله؛ لأنه حصر، ثم قال: استأنف كلاماً: والراسخون في العلم يعلمونه أيضاً ويقولون.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الاجتهاد والتأويل والتفسير والشرح والتفصيل؟

الجواب:

١ـ الاجتهاد: هو بذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح عن طريق القياس في رد الأمر إلى الكتاب والسنة، مثل قضية تعرض للفقيه الذي يفتي فيها فيردها عن طريق القياس إلى الكتاب والسنة، ولا يقول من رأيه ويقول بعدها: أنا اجتهدت، فللاجتهاد شروط.

٢ـ التأويل: من آل يؤول، وله معنيان:

آـ بيان ما يؤول إليه اللفظ من معنى، أي: نقل ظاهر اللفظ إلى دلالة أخرى، مثل سورة النصر، سميت سورة التوديع وتأويلها عند إبن عباس رضي الله عنه أنها نعي

لرسول الله ﷺ، فهذا أمر غير مصرح به في الآية، وإنما ينقله إلى معنى آخر لسبب من الأسباب.

ومن ذلك أيضاً تأويل الأحلام المُرمَّزةِ، ويسمى تأويلاً كما في سورة يوسف، سبع بقرات، أي: سبع سنين .

ب ـ بيان حقيقة الشيء أو ماهيته، وهذا لا يكون في كل موضع، فأحياناً بيان الماهية غير ممكن كما في موضوع عذاب القبر والآيات المتشابهات.

وتأويل الأحلام يسمى تأويلاً، نحو آية يوسف ١٠٠ .

٣ـ التفسير: هو كشف المراد من اللفظ أو المفردات، أي: تفسير عبارة غير واضحة لشخص تفسرها له .

٤ ـ إعمال العقل: أنْ يُعمِلَ الإنسان عقله في الاستنباط.

٥ ـ القول بالرأي: أنْ تبدي رأياً وفق ضوابط .

بالطبع هناك ضوابط لكل واحد من هذه التعبيراتِ، ومن أولها: التبحُّرُ في علم اللغة، وكذلك التبحر بالعلم الشرعي المتعلق بالحديث والسنة وأسباب النزول وغيرها، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[آل عمران:٧] وفي آيات أخرى يقول (يتذكر) فما الفرق بين ﴿يَذَّكَّرُ﴾ و ﴿يَتَذَكَّرُ﴾؟

الجواب:

بشكل عامٍّ عندما يحتاج الوضع إلى وقت طويل للمحاكمة العقلية والنظر الطويل والتدرج في المعرفة، يستعمل (يتذكر) وهي الصيغة الأطول، وعندما يحتاج الوضع إلى هزة نفسية قوية، وإلى يقظة قلبية وإلى شفاء يشفي ما في القلب يستعمل (يذّكر) التي فيها شدة وتضعيف.

والأمثلة التالية توضح الأمر:

١ـ في آية آل عمران (٧) ذكر القرآن فيها أناساً في قلوبهم زيغٌ يبتغون الفتنةَ ولا يريدون الوصول إلى الحقِّ، وهؤلاء نظيرُ مرضى القلوب يحتاجون إلى يقظةٍ قلبيةٍ وإلى شفاءٍ يشفي ما في قلوبهم مما ألمَّ بها من داءٍ وحاجتهم إلى إصلاحِ قلوبِهم أكثَرَ من إصلاحِ عقولهم؛ فاستعمل (يذّكر).

٢ـ آية فاطر (٣٧) معناها أنكم بقيتم في الدنيا مدة طويلة فيها كفاية للتذكر لكنكم لم تتذكروا، فجاء بصيغة الفك الطويلة ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[فاطر:٣٧].

٣ـ آية الرعد (١٩) ومعناها: أفمن يعلم كمن لا يعلم؟ وهو تذكر يقوم على المحاكمة العقلية، وهذا يحتاج إلى وقت طويل فاستعمل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾[الرعد:١٩].

٤ـ آية الزمر (٩) نظيرة الآية السابقة في المفاضلة بين الذي يعلم والذي لا يعلم، وهو أمر عقليٌّ يقوم على العلم الذي يحتاج إلى النظر الطويل والتدرُّجِ في المعرفة فجاء بـ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾[الرعد:١٩].

٥- آية ابراهيم (٢٥) هي للاستفادةِ من المَثَلِ إلى موطنِ الحكمةِ والاتعاظِ وعقد الصلة بين المثل والواقع، كل ذلك يحتاج إلى طول تذكر وتأمل ومحاكمة عقلية فاستعمل ﴿يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[إبراهيم:٢٥].

٦- آية الأنفال (٥٧) هم مرضى قلوب يعاهدون ثم ينقضون في كل مرة، فهم يحتاجون إلى هزة قلبية عنيفة، وإلى سوط يقرعهم، وإلى عمل يذكرهم، ويبالغ في تذكيرهم ليرتدعوا.

وهؤلاء لم ينتفعوا بالعقل؛ لأنهم أبطلوا عقولهم، ألا ترى أنه سماهم دواباً، بل سماهم شر الدواب؟ فاستعمل ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال:٥٧] الدال على المبالغة في التذكر والعمق فيه.

٧- وفي آية التوبة (١٢٦) نظيرة الآية السابقة هم مرضى قلوب ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[التوبة:١٢٥].

وذكر أنّ الآيات المنزلة تزيدهم رجساً إلى رجسهم، فهم محتاجون إلى هزة نفسية شديدة وإلى يقظة قلبية وإلى تذكر قلبي عميق يوقظهم، فاستعمل ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال:٥٧].

٨ـ في آية الإسراء (٤١) نظير ذلك: ألا ترى أنه ذكر أنّ القران ما يزيدهم إلا نفوراً كما زاد أولئك رجساً إلى رجسهم؟ وهذا أمر قلبي فاستعمل ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾[الإسراء:٤١].

٩- في آية الزمر (٢٧) نظيرة آية إبراهيم (٢٥) إذ إنّ فيه من المثل ما يحتاج إلى محاكمة عقلية وطول نظر، ولذا عقّب بعد ضرب المثل بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٧٥﴾ [النحل:٧٥] فنفى العلم عن أكثرهم، والعلم أمر عقلي يكون بالتعلم والنظر فاستعمل ﴿يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم:٢٥].

السؤال السادس:

لِمَ قال ربنا تعالى في الآية: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] ولم يقل: هُنّ أصل الكتاب أو أساسه علماً أنّ أمّ الشيء أصله؛ لأنّ الأم هي الوالدة وهي أصل المولود؟

الجواب:

في هذا التعبير القرآني ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] تصوير عميق لآيات القرآن، وهو أسمى معنى مما لو قلنا: هنّ أصل الكتاب، فقد جعل الله تعالى في هذا التعبير آيات القرآن كلاماً لا يمكن فصله، فلا يمكنك أن تتصور آيات الله جميعها بمعزل عن الآيات المحكمات، كما لا يمكن لذي عقل أنْ يتصور مولوداً دون والدة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران:٧] الرسوخ هو الثبات والتمكن في المكان، تقول: رسخت القدم، أي: لا تزلُّ، وجبلٌ راسخ، أي: لا يتزحزح، والراسخ في العلم هو الذي تمكن من علم كتاب الله، وقامت عنده الأدلة بحيث لا تزحزحه الشُّبَه.

فانظر لو جاء البيان القرآني بقوله: والعلماء، هل كان سيعطي القوة ذاتها التي جاءت بها هذه الاستعارة: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]؟ تأمل واعرف الجواب بنفسك.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى (لدن) في اللغة والاستعمال القرآني؟ وما الفرق بين (لدن) و(عند)؟

الجواب:

١ـ (لدن): ظرف بمعنى (من عند)، ولدن: هي لأول غاية الزمان أو المكان، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مجرورة بمن لملازمتها ابتداء الغايات.

٢ـ (لدن): أبلغ من (عند) قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾[الكهف:٢].

وإنّ لفظ (لدن) مشابه للفظ (اللدن) المأخوذ من اللدانة، واللدن هو اللين من كل شيء من عود أو حبل أو خلق ويقال: امرأة لدنة.

٣ـ وقد وردت كلمة (لدن) الظرفية في القرآن الكريم ١٧ مرة، كلها في الرحمة والحنان والخير واللين، وهو استعمال قريب لمعنى الليونة، وقد تأتي بمعنى التلبث، وهو استعمال طريف يكسب معنى (لدن) الظرفية معنى اللدونة.

٤ـ وقد تقول: ألم يرد قول الله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾[الكهف:٢] في سورة الكهف، وهذا ليس في اللين والرحمة ؟

والجواب: إنّ هذا هو الموطن الوحيد الذي اقترن به البأس والشدة بِـ (لدن)، ومع ذلك هو في الرحمة، والنص يوضح ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾[الكهف:١-٢-٣].

فهذا الكلام هو في القرآن الكريم الذي هو خير ورحمة.

٥ـ ثم إنه لمّا كانت (لدن) أخص من (عند)؛ لكونها أقرب مكاناً منها، كانت أبلغ من (عند)؛ لأنها مبدأ الزمان والمكان .

٦ـ ولم تستعمل ﴿لَّدُنْ﴾ في القرآن الكريم إلا مع الله، كقوله تعالى:

ـ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[هود:١] .

ـ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[النمل:٦].

ـ ﴿مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧﴾[النساء:٦٧] .

ـ ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾[القصص:٥٧] .

ـ ﴿مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾[الإسراء:٨٠] .

إلا في موطن واحد وهو قوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ۝٧٦﴾[الكهف:٧٦] .

لذلك فإن (لدن) أبلغ من (عند) لأنها ألصق بها، وقد استعملت في القرآن الكريم في خصوصيات الألطاف والتعليم والرحمة الإلهية .

❀❀❀❀

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية ٩: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾[آل عمران:٩] وقوله في نفس السورة في الآية ١٩٤ ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝١٩٤﴾[آل عمران:١٩٤] بدون ذكر لفظ الجلالة، فما الدلالة ؟

الجواب:

١ـ الآية ٩: جاءت في مقام الهيبة الإلهية في يوم القيامة حيث الحشر والنشر والحساب والعقاب وإنصاف المظلومين، فكان ذكره باسمه الأعظم وهو الله أولى في هذا المقام.

٢ـ أمّا قوله في آخر سورة آل عمران: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٤]، فذاك مقام طلب العبد من ربه أنْ يُنعم عليه بفضله، وأنْ يتجاوز عن سيئاته، فلم يكن المقام مقام هيبة وإنما مقام الدعاء والتضرع، فالمناسب أن يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٤].

السؤال الثاني:

الخلف في ميعاد الله محال، فكيف طلبوا من ربهم ألا يخلف الميعاد، مع يقينهم بأنه لن يخلفه؟

الجواب:

آـ أنه ليس المقصود من الدعاء طلب الفعل بل المقصود منه إظهار الخضوع والذلة والعبودية، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء:١١٢] وقوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾[غافر:٧].

ب ـ أنه تعالى وعد المؤمنين بأنْ ينصرهم في الدنيا ويقهر عدوهم فهم طلبوا تعجيل ذلك، والله أعلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما فائدة الضمير ﴿هُمْ﴾ [آل عمران:١٠] في قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٠] ؟

الجواب:

في هذه الجملة من الآية القرآنية لطائف عدة تجعلك تقف أمامها وقفة التأمل:

أولاً: قال تعالى ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران:١٠] فأتى بالضمير ﴿هُمْ﴾ بين المبتدأ والخبر، ولو حذف الضمير (هم) لتمّ المعنى: أولئك وقود النار. وفائدة الضمير هنا تأكيد وقصر العذاب عليهم.

ثانياً: جاءت الجملة بتعبير ﴿وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران:١٠]، وهذا تصوير وتمثيل للكافرين حيث آلوا إلى وقود للنار، وهذا التعبير جاء ليسلب الكافرين كل خصائص الإنسان ومميِّزاته ويصوِّرُهم في صورةِ الحطبِ والخشبِ الذي تُشعِلُ به النار، فانظر كيف شمل هذا التصوير القرآني شدة العذاب مع شدة الإهانة للكافرين.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيات ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾[آل عمران:١١] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾[الأنفال:٥٢] و ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال:٥٤]؟ أي ما الفرق بين (كذبوا بآياتنا) و(كفروا بآيات الله) و (كذّبوا بآيات ربهم)؟

الجواب:

١ـ لا شك أنّ الكفر أعمّ من التكذيب؛ لأنّ التكذيب حالة من حالات الكفر.

٢ـ ننظر كيف يكون التعبير مع (كذّبوا) وكيف يكون التعبير مع (كفروا) ولم اختار هنا (كذّبوا) وهناك (كفروا)؟

في آل عمران قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾[آل عمران:١١] وفي الأنفال قال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال:٥٢] أكّد بـ ﴿إِنَّ﴾

وأضاف كلمة ﴿قَوِيٌّ﴾؛ لأنه لمّا كان الكفر أعمّ وأشدّ، شدد وأكّد فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾[الأنفال:٥٢] وهناك قال: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾[آل عمران:١١].

فلمّا قال في الأنفال: ﴿كَفَرُواْ﴾ [الأنفال:٥٢]، و(كفروا) أعمُّ من (كذّبوا) في آل عمران عمَّمَ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾[الأنفال:٥٢] فأكّد قوته وشدّد عقابه، ولو أنه قال: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ في آل عمران، فإنها لا تدل على أنه قوي، فقد يكون شديد العقاب ولكنه غير قوي.

السؤال الثاني:

لماذا اختار في آية عمران ١١ قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[آل عمران:١١] ولم يقل مثلاً: كفروا بآياتنا ؟

الجواب:

ذكر في آية آل عمران رقم ١٠ حالة جزئية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[آل عمران:١٠] فذكر أمرين: الأموال والأولاد، ولكن هل الإغناء مقصور على الأموال والأولاد ؟بالطبع:لا، فهناك الأتباع، والآلهة، والسلطان، والله تعالى ذكر كثيراً من حالات الاستغناء كما في الآيات:

ـ ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[إبراهيم:٢١] هذا غير الأولاد.

ـ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾[الحاقة:٢٨-٢٩] فذكر السلطان.

ـ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [هود:١٠١] فذكر الآلهة .

ـ ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾[النجم:٢٦] فذكر الشفعاء .

إذن ذكَر حالة جزئية في الآية العاشرة، فلما ذكر حالة جزئية ذكر حالة جزئية من الكفر وهي التكذيب فقال في الآية ١١ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[آل عمران:١١].

السؤال الثالث:

ذكر الله تعالى دأبين في أول كلٍ من آيتي الأنفال ٥٢ و ٥٤، فلماذا اختار في آية الأنفال٥٢ قوله: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٥٢] وفي آية الأنفال ٥٤ قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾[الأنفال:٥٤] ؟

الجواب:

١ـ ذكرنا أنّ القاعدة العامة في ذلك هي أنّ الكفر أعم من التكذيب والتكذيب حالة جزئية من حالات الكفر.

٢ـ في سورة الأنفال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[الأنفال: ٥٠- ٥١ - ٥٢].

هنا في الآية ٥٢: حيث ذكر الله الدأب الأول، والدأب - بسكون الهمزة - العادة والشأن، فهذه حالة عامة ليس فيها ذكر حالة جزئية فناسب ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٥٢].

ولّما كان الكفر أعم وأشد شدَّده، وأكد بإنَّ وبكلمة (قوي) فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٥٢﴾[الأنفال:٥٢].

٣ـ وأمّا في الآية ٥٤ فذكر القرآن الدأب الثاني، وهو هنا حالة جزئية، فقد ذكر في الآية ٥٣ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ وذكر مثلاً من الذين فعلوا ذلك، فقال: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[الأنفال:٥٤].

فلمّا ذكر حالة جزئية ذكر حالة جزئية من الكفر، وهي التغيير في النفوس، قال: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنفال:٥٤] وذكر كلمة ﴿رَبِّهِمۡ﴾ [الأنفال:٥٤] أي: هو مربيهم المنعم عليهم، وجاءت بعد ذكر النعم في الآية ٥٣؛ لأنّ الرب هو المربي والمنعم

وختم هنا في الآية ٥٤، بقوله: ﴿وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝٥٤﴾ [الأنفال:٥٤] والظلم حالة خاصة من الكفر، والكفر أعم من الظلم.

٤ـ من دراسة الآيتين ٥٢ـ٥٤ نلاحظ ما يلي:

آ ـ الآيتان تتحدثان عن مشابهة مشركي مكة لآل فرعون .

ب ـ الدأب: هو المداومة والمواظبة على عملهم وعاداتهم.

ج ـ في الدأب الأول: المشابهة بين الطرفين هي في الكفر، فكلاهما كافر.

د ـ في الدأب الثاني: المشابهة بين الطرفين هي في تغيير النعم والأحوال حيث جاء كليهما رسلٌ فكذبوا الرسل فزادوا بها على كفرهم السابق، وجمعوا بين الكفر والتكذيب وتغيرت حالتهم من سخط إلى أسخط، فغيّر الله تعالى ما أنعم عليهم، وعاجلهم العقوبة بالإغراق .

وفي هذا رسالة قوية لمشركي مكة مفادها: إنْ لم يؤمنوا فسوف يصيبهم ما أصاب أقرانهم من آل فرعون .

هـ ـ ذكر لفظ الله في الآية ٥٢، وذكر لفظة (الرب) في الآية ٥٤، ليدلّ على أنّ الرب هو الله وليس غيره .

السؤال الرابع:

قال في آية الأنعام ٣٣ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[الأنعام:٣٣]، فهل التكذيب غير الجحود ؟

الجواب:

في قوله تعالى في آية الأنعام ٣٣ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

نجد أنّ الجحود غير التكذيب، فهناك جحود وهناك تكذيب وهناك كفر، فمثلاً شخص لا يكذّب ولكنْ يرى أن لله ولداً !.

فهناك فرق بين الكلمتين والحالتين، انظر قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾[النمل:١٤] فناسب: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[الأنعام:٣٣]، لأنّ التكذيب هو حالة جزئية من الكفر .

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[آل عمران:١١] فرعون واحد من جمهرة كبيرة من المكذبين والجاحدين المتألهين في التاريخ الذين ذكر بعضَهم القرآنُ، فهل من سبب في تخصيصه هنا دون غيره من أمثال عاد وثمود؟

الجواب:

نعم، هذا التخصيص يناسب ثقافة المخاطَبِ بهذه الآية، وهم اليهود والنصارى؛ لأنهم أعلم وألصق بأخبار فرعون كما أنّ العرب أعلم وألصق بأخبار عاد وثمود، وهلاك فرعون معلوم لليهود بخلاف هلاك عاد وثمود.

❁❁❁❁

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران:١٣]؟

الجواب:

عادة في القرآن الكريم يستعمل البصر وسيلة للاعتبار؛ لأنّ المرء يشاهد ويحاسب نفسه، أمّا السمع فهو وسيلة العقل والفهم والتعلم والتكلم .

وجاء قوله تعالى في هذه الآية وفي آية النور ٤٤ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ١٣﴾[آل عمران:١٣] ؛ لأنّ الآيتين تعرضان مشاهد يراها المرء بعينيه كفئتين تقتتلان يؤيد الله بنصره إحداهما كما في آية آل عمران، وكتعاقب الليل والنهار كما في آية النور، وهذا كله من آيات الله التي تستدعي التفكر والاعتبار .

السؤال الثاني:

ما أحوال تأنيث الفعل وتذكيره مع كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾؟

الجواب:

عندما تكون كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ بمعنى الدليل والبرهان تكون بمعنى مذكر، فيأتي الفعل بالتذكير كما هو في هذه الآية .

وأما إذا كانت كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ بمعنى الآية القرآنية فيؤنث الفعل، كما في آية الأنعام ١٢٤ ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ﴾[الأنعام:١٢٤].

❁❁❁❁

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ١٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة بناء الفعل ﴿زُيِّنَ﴾[آل عمران:١٤] للمجهول في الآية؟.

الجواب:

في القرآن خط تعبيري واضح يتمثل في أنّ ربنا سبحانه وتعالى لا يسند الشر لنفسه، وإنما ينسب له الخير، والأمثلة كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء:٨٣] ولم يقل: مسسناه بالشر، وإنْ كان الكل من عند الله سبحانه وتعالى لكن تأدباً، وكما في هذه الآية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:١٤] لم يقل: (زين لهم) بينما يذكر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجُرات:٧] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾[الصافات:٦] .

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم الأولاد على الأموال كما في هذه الآية ؟

الجواب:

في مواطن الحُبّ يقدّم الأولاد على غيرهم، وفي حُبّ الشهوات يقدّم النساء على باقي الشهوات، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:١٤] .

أمّا في مواطن الإلهاء كقوله تعالى فى سورة المنافقون: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [المنافقون:٩] فيقدّم الأموال على الأولاد مع أنّ حُبَّ الأولاد أكثر، لكنْ الالتهاء بالمال يكون أكثر، لذا قدّم الأموال على الأولاد للتحذير.

السؤال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾[آل عمران:١٤] لِمَ لم يقل: زُيّن للرجال، طالما ذكر في الآية ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[آل عمران:١٤] ؟.

الجواب:

١ـ عندما ذكر البنين معناه ألمح إلى رغبة النساء في ذلك، فالنساء يحملن البنين ويرغبن في ذلك، إذن (البنين) ليست خاصة بالرجال، وعندما ذكر البنينَ ألمح بذلك إلى رغبةِ النساء في هذا الأمر، لكنه لم يشأ أنْ يخدِشَ حياءهن، فلم يقل: (زُيِّنَ للنساء حب الشهوات من الرجال) .

٢ـ كلمة البنين فيها إشارةٌ إلى معاشرة الرجال وإلا كيف يأتي الأولادُ؟ فلما قال: البنينَ، دخل فيه النساء تضميناً لا تصريحاً.

٣ـ الناس يحبون شهوة النساء والبنين والذهب والفضة، و(البنين) يحبهم الرجال والنساء، إذن دخلت النساء في الآية تلميحاً وليس تصريحاً، ولكنْ لم يصرِّح حتى لا يخدش حياءهن، ولم يقل زُيّن للرجال حب الشهوات من النساء؛ لأنّ الرجال يسعون في ذلك وينفقون في ذلك.

٤ـ وكلمة (الناس) هذه أعم؛ لأنّ البنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ليست خاصة بالرجال، ولو قال: الرجال، فأين يذهب النساء؟ ألا يحبون القناطير المقنطرة؟! فعَمَّمَ، ليشمل النساء .

٥ـ وكلمة الناس تضم الجنسين الرجال والنساء، والآية شملت النساء أولاً ودخلت تحت العموم في كلمة الناس، وذكرالنساء تلميحاً بحبِّ البنين والقناطير المقنطرة لكن لم يخدش حياءهن.

السؤال الرابع:

ما من شك أنّ القناطير المقنطرة هنا يُراد بها المال والإتيان بهذا اللفظ ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾[آل عمران:١٤] يلقي ظلاً ترسمه هذه العبارة، فلِمَ عدل ربنا تعالى عن المال إلى هذه العبارة؟

الجواب:

إنه نَهَمُ المال، ولو كان ربُّنا يريد مجرَّدَ الميلِ إلى المالِ لعبَّرَ باللفظ الصريحِ لكنّ القناطير المقنطرة تدل أولاً على المال المضاعف والكثرة، وتضفي تصويراً لشره الإنسان الذي لا يكتفي بالدراهم التي تسدُّ حاجته بل يسعى إلى تكديس المال وتجميعه إرواءً لحبه لمال وشرهه.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[آل عمران:١٤] في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران:١٤] فبعد الإطناب السابق والإسهاب في ذكر الشهوات حتى كاد المرء يذهل من تصوير الله تعالى للشهوات الدنيوية ولأمور البذخ والنعيم، تأتي كلمة (المتاع) المؤذنة بالقِلّة وهو ما يُستمتع به مدة

ثم يزول، وما كان الله تعالى ليبيّن قيمة الحياة الدنيا الحقيقية لينتزع تعلق القلوب بها لو لا استعمال هذه الكلمة، فانظر واعتبر!.

السؤال السادس:

ما دلالة مفهوم المال في القرآن ؟

الجواب:

معلومات لغوية:

١ـ المال في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أُطلق على كل ما يُقتنى ويُملك من الأعيان .

وأكثر ما يُطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم .

٢ـ ورجلٌ مالٌ، أي: كثير المال، وتموّلَ الرجلُ صار ذا مال، وموّل غيره تمويلاً.

معلومات عددية:

وردت كلمة ـ مال ـ في القرآن الكريم بصيغ مختلفة نحو: مالاً ـ الأموال ـ أموالهم ـ أموالكم ـ أموالاً ـ ماليه ـ في حوالي ـ ٨٦ـ موضعاً.

كما وردت كلمة (دراهم) في موضع واحد، وكلمة ﴿الذهب) في ثمانية مواضع، وكلمة (الفضة) في ستة مواضع .

المال في القرآن:

١ـ الإسلام يعتبر المال قوة كبيرة وعنصراً فعالاً في كل جهد من جهود المجتمع سلماً أو حرباً، ولهذا قدّم المال على النفس في كل أنواع الجهاد .

٢ـ وكذلك في القرآن الكريم حيثما اجتمع ذكر المال والبنون قدّم المال على البنين؛ وذلك لأن:

آ ـ المال أظهر من الأولاد، فالمال يفخر به صاحبه، ولكن قد لا يفخر بأولاده إذا كانوا سيئين .

ب ـ المال هو الزينة أكثر من الأولاد، وزينة المال أوضح للناس من زينة الأولاد فهم يرون القصور والمراكب والمزارع والأنعام وغيرها أكثر مما يرون الأولاد.

ج ـ المال هو اللازم للزواج وتكاليفه، والزواج هو قبل الأولاد، فالمال أسبق.

٣ـ لكنْ في آية التوبة١١١، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة:١١١] قدّم الأنفس على المال؛ لأن بذل النفس أعز من بذل المال.

٤ـ وضع الإسلام الأسس الواضحة في طرق اكتساب المال وفي طرق إنفاقه، وطلب منا أنْ يكون الكسب حلالاً طيباً، وألا يدخله الخبث حتى يبارك الله لنا في الكسب الطيب المبارك.

كما طلب في الإنفاق البعد عن التبذير والإسراف وإتلاف المال، بل طلب وحث على استعمال المال في أمور الخير المختلفة والصدقة والإنفاق في سبيل الله ومساعدة الفقراء والمحتاجين.

وهناك محطة لكل فرد في الآخرة يُسأل فيها عن موضوع كسب المال وطرق إنفاقه، كما ورد في الحديث الشريف «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: ... وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**».

والتجارة إحدى الوسائل الرئيسة في اكتساب المال، لذلك مطلوب أنْ تجعلها نظيفة حرة بعيدة عن الشبهات، بعيدة عن الربا، والاحتكار والغش والغبن والتغرير والخداع، وجاء في الحديث «**أفضل الكسب كسب التجار، وهم الذين إذا قالوا صدقوا، وإذا وعدوا أوفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا**».

٥ـ ذكر الله تعالى في آية آل عمران سبعة من المشتهيات للناس وسماها زينة، وهذه الأمور السبعة قال الله عنها: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[آل عمران:١٤] أي: أنها مذمومة، لكنّ المطلوب الانتفاع بها على وجه يتوصل به إلى مصالح الآخرة، وذلك هو الممدوح، ولا ننسى أنّ الزينة تتصف بسرعة الزوال.

٦ـ المال مال الله: المال في القرآن الكريم وصف بأنه مال الله ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[النور:٣٣] وسمى الله المال الذي في أيدي الناس مال الله، وعندما يقول المرء ﴿مالي﴾ كأنه يقول: ليس لي.

٧ ـ المال أداة استخلافٍ، وسماه أيضاً أداة استخلاف للإنسان قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد:٧].

٨ـ سمي المال في القرآن الكريم خيراً، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾[البقرة:١٨٠].

وقد امتدح النبي المال فقال ﷺ: « **نعم المال الصالح للمرء الصالح**» .

وقد نُقل عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنّ أحدهم قال: حبذا المال أصون به عرضي، و أتقرب به إلى ربي .

٩ـ الشكر: هل من علاقة بين الرزق و الشكر؟ الجواب: نعم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾[إبراهيم:٧]

١٠ـ الصدقة: هل من علاقة بين الرزق والصدقة؟ نعم يقول الرسول ﷺ: «**استنزلوا الرزق بالصدقة**» .

١١ـ إتقان العمل: هل من علاقة بين الرزق وإتقان العمل؟ نعم، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه**» .[الجامع الصغير عن عائشة].

والملاحظ أنّ المتقنين من أصحاب الحرف هم وحدهم الذين يعملون في أيام الكساد، والأقل إتقاناً لا يجدون عملاً إطلاقاً، من أجل ذلك كان كل من الإتقان والأمانة والصدقة وصلة الرحم والشكر والاستغفار والصلاة والإيمان والتقوى أحد أسباب زيادة الرزق في القرآن و السنة.

١٢ـ من الأمثلة: الذين طبقوا هذا الكلام الصحابة رضوان الله عليهم ومن الذين طبقوه كذلك أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، الفقيه الكبير أكرم علمه و نفسه، وحزم أمره على أنْ يأكل من كسب يمينه، وهذه بطولة، أبو حنيفة النعمان الفقيه الكبير حزم

أمره على أن يأكل من كسبه الحلال، وأنْ تكون يده هي العليا دائماً، وقد أيقن أنه ما أكل امرؤ لقمة أزكى ولا أعز من لقمة ينالها من كسب يده، لهذا خصص شطراً من وقته الثمين لكسب رزقه فاتجر بالخَزِّ؛ أي: بالقماش، و كان له متجر معروف يقصده الناس، فيجدون فيه الصدق في المعاملة، والأمانة في الأخذ والعطاء، وكانوا يجدون فيه أيضاً الذوق الرفيع، وكان يأخذ المال من حلِّه، ويضعه في محله، وكان كلمّا حال عليه الحول أحصى أرباحه من تجارته، واستبقى منها ما يكفيه لنفقته، ثم يشتري بالباقي حوائج القُراء وحوائج المحدِّثين، وحوائج الفقهاء وطلاب العلم وأقواتهم وكسوتهم .

أبو حنيفة النعمان الفقيه الكبير الذي ضرب للناس مثلاً أعلى في كسب الرزق، لذلك كان الإسلام عظيماً؛ لأنه منهج واقعي، ومنهج يتماشى مع الفطرة، ومنهج فيه عزة وكرامة .

السؤال السابع:

ما أهم الوقفات في هذه الآية وخاصة حول المشتهيات السبعة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ﴾[آل عمران:١٤] من الزينة، أي: حُسِّنَ حُبُّ الشهوات والزينة عادة مؤقتة تزول بسرعة.

والمعنى بشكل عام أنّ الله تعالى زين للناس حب الشهوات الجسمانية واللذات الدنيوية، لكنّ الشهوات فانية منقضية تذهب لذاتها وتبقى تبعاتها.

والله سبحانه لم يُسمِّ فاعل ﴿زُيِّنَ﴾ [آل عمران:١٤] ليرشدنا أنه لم يحدد عُمُراً للزينة يموت بعده الإنسان، وإنما لكل إنسان عمره الخاص به وهو مبهم، وإبهام الموت هو البيان الكافي، ولذلك علينا ألا ننخدع بالدنيا .

من جهة أخرى علينا أنْ نعلم أنّ منهج الله يريد أنْ يُصعّد الخير لكل مؤمن، وإمكانات الإنسان في النعيم الدنيوي محدودة على قدر الإنسان، أمّا إمكانات النعيم في الآخرة فهي على قدر قدرة الخالق، لذلك من المنطقي أنْ يقول لنا: ﴿ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:١٤].

٢ـ قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤] هو لفظ عام معرف يفيد الاستغراق؛ لذلك هو حاصل لكل الناس.

٣ـ المشتهيات سبعة؛ وهي:

آ ـ ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾: وبدأ بهن لأنّ الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم، وأخفى فتنةَ النساء بالرجال ستراً لهن، كما أخفى أمر حواء في ذكر المعصية لآدم فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[طه:١٢١].

ب ـ حب الولد: وخص الذكور ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ لأن التمتع بهم ظاهر.

ج ـ ﴿ٱلذَّهَبِ﴾.

د ـ ﴿وَٱلْفِضَّةِ﴾.

والثالث والرابع محبوبان؛ لأنهما جعلا ثمن جميع الأشياء، فمالكهما كمالك جميع الأشياء، والقنطار كان في القديم علامة الثراء، وهو ملء جلد الثور ذهباً حجماً، وبعد ذلك جعلوه وزناً.

وقول ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ أي: المضاعفة، وهي أيضاً للتأكيد كقولك: ألف مؤلفة، وظل ظليل.

هـ ـ ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ أي: المعلمة المدربة ذات الهيئة الحسنة، والخيل لفظ لا مفرد له، وسميت الخيل لخيلائها .

و ـ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: وهي جمع نَعَم، وهي الإبل والبقر والغنم.

ز ـ ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾: الزرع وأرض الزرع لأنها أصل.

وهذه الأمور السبعة قال الله عنها: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أنها مذمومة، لكنّ المطلوب الانتفاع بها على وجه يتوصل به إلى مصالح الآخرة وذلك هو الممدوح.

٤ـ قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ المآب هو المرجع، وقيل هو قسمان: الجنة وهي غاية في الحُسن، والنار وهي خالية من الحُسن .

السؤال الثامن:

ما الارتباط بين هذه الآية وما سبقها من آيات تتحدث عن الجهاد في سبيل الله؟

الجواب:

هذه الآية جاءت بعد الآية التي تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران:١٣].

وذلك ليرشدنا إلى أنّ الإنسان المؤمن لا يصح أنْ يضحي بشهوته الحقيقية، وهي إدراك الشهادة في سبيل الله أو النصر على العدو بسبب شهوات زائلة مثل المذكورة أعلاه.

والذين يدخلون على الناس ليُزينوا لهم غير منهج الله يأتون لهم بالمفتاح المناسب لشخصيتهم، فهذا تغريه امرأة، وهذا يغريه المال أو الذهب، وذاك يغلبه حب الأولاد، وهكذا لكل هوى مفتاح.

السؤال التاسع:

كيف وصف الله تعالى في هذه الآية المآب المطلق بالحسن؟

الجواب:

المآب المقصود هنا بالذات الجنة، وأمّا النار فهي المقصود بالغرض؛ لأنه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب.

والجنة مراتب ارتقائية على قدر موقف الإنسان من منهج ربه، تقول رابعة العدوية:

كلهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة حظاً جزيلا

إنني لست مثلهم ولهذا لستُ أبغي بمن أُحِبُّ بديلا

والله سبحانه يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠] ولم يقل: (جنة ربه) حتى لا تشغلنا النعمة (الجنة) عن المنعم وهو الله سبحانه .

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ في الآية، ما دلالة الاستفهام بالهمزة ؟

الجواب:

آ ـ الهمزة أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً، فهي تستعمل للتصور والتصديق .

والتصور هو ما يُجاب عليه بالتعيين نحو: أمحمد عندك أم خالد؟ فتجيب: محمد.

والتصديق هو ما يجاب عنه بـ: نعم أو لا، نحو: أحضر القاضي؟ فتقول مثلاً: نعم.

ب ـ وقد تخرج الهمزة إلى معانٍ بلاغية؛ من أهمِّها:

١ ـ التسوية: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾[الأعراف:١٩٣].

٢ ـ الإنكار: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ﴾[الإسراء:٤٠] .

٣ ـ التقرير: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[الزُّمر:٣٦].

٤ ـ التهكم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[هود:٨٧].

٥ ـ الأمر: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ﴾[آل عمران:٢٠] أي: أسلموا.

٦ ـ الاستبطاء: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:١٦].

٧ ـ الاستبعاد: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾[البقرة:٧٥].

٨ـ التعجب: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾[ص:٥].

٩ـ التحذير: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤] .

١٠ـ التنفير: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[الحُجُرات:١٢].

١١ـ التشكيك: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[ص:٨].

١٢ـ التشويق: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾[آل عمران:١٥].

١٣ـ النفي: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق:١٥]، والنفي هنا مشوب بالإنكار والتعجب.

ج ـ قد تحذف همزة الاستفهام إذا دلّ عليها دليل .

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما محل إعراب جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

إعراب جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ فيها وجوه:

آـ صفة لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ في الآية السابقة.

ب ـ صفة للعباد في آخر الآية السابقة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾.

ج ـ نصب على المدح.

السؤال الثاني:

ما دلالة ارتباط قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ مع قوله في نفس الآية ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ؟

الجواب:

اعلم أنّ الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران:١٦]، ثم إنهم قالوا بعد ذلك: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فدلّ على أنّ العبد بمجرد الإيمان يستوجب الرحمة والمغفرة من الله سبحانه.

❋❋❋❋

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا نصب الصفات الخمسة في الآية ؟

الجواب:

١ـ ذكر سبحانه في الآية "١٧" صفاتٍ خمسة كلها منصوبة على المدح، بتقدير: أعني أو أمدح، وهذه الصفات هي:

آـ كونهم صابرين في أداء الواجبات وفي ترك المحظورات وفي كل ما ينزل بهم من المحن.

ب ـ كونهم صادقين في القول والعمل والنية.

ج ـ كونهم قانتين مداومين على العبادة.

د ـ كونهم منفقين في الزكاة والجهاد وسائر وجوه الخير، ويدخل فيه إنفاق المرء على نفسه وأهله وأقاربه وأرحامه.

هـ ـ كونهم مستغفرين بالأسحار، والمقصود من يصلي بالليل ثم يتبعه بالاستغفار.

٢ـ هذه الصفات الخمسة إشارة إلى تعدد الصفة لموصوف واحد، فكان الواجب حذف واو العطف عنها، إلا أنّ الله سبحانه ذكرها هنا بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها، وكل من كان معه واحدة من هذه الخصال دخل تحت المدح العظيم واستوجب الثواب الجزيل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ تُرى ألا يستقيم المعنى إذا أغفلنا حرف العطف (و) بين الصفات؟

الجواب:

الأصل في تعدد الأخبار ترك العطف، فنقول مثلاً: هذا هو المسلم الصدوق الأمين المخلص، فلِمَ ورد حرف العطف بين الصفات؟ لقد اختاره الله سبحانه وتعالى لبيانه الجليل إيذاناً بمعنى خاص ما كان ليتحصّل لو حُذِف حرف العطف، وهذا القصد هو الإشارة إلى كمال الموصوف، وهو قوله ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾، فهذا في كل صفة بحيث تنزل كل صفة منزلة مستقلة، وما ذاك إلا لقوة الموصوف في تلك الصفة، وكأنه يقول: والله بصير بالعباد الصابرين، والله بصير بالعباد الصادقين، والله بصير بالعباد

القانتين، وهكذا. هذا هو المعنى الذي نستفيده من تكرار حرف العطف بين هذه الصفات.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ لِمَ خصّ الله سبحانه وتعالى الاستغفار بوقت معين ولم يخص الصفات الأخرى بقيد أو صفة؟ فلِمَ لم يقل مثلاً: الصابرين في الأسحار؟

الجواب:

١ـ إنّ تخصيص وقت الاستغفار بالسَّحَر لأمر أراده الله تعالى لك أيها المؤمن، وهو أنّ هذا الوقت فيه من الهدوء ما يجعل العابد أشد إخلاصاً وخشوعاً لله تعالى، وفيه بُعدٌ عن الرياء أمام الناس، فلا يراك في هذا الوقت إلا من تقصده وهو الله عز وجل.

٢ـ إنّ الصبر يُحمد في كل وقت، وليس للصبر وقت يفضّل فيه عن غيره وكذلكم الصدق .

السؤال الرابع:

ما دلالة الصيغة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ ولم يقل هنا: (أنفق) أو (ينفق)؟

الجواب:

١ـ استعمل القرآن الفعل (أنفق) و(ينفق) بصيغه المختلفة حوالي ٧٠ مرة جميعها بالصيغة الفعلية؛ لأنّ الإنفاق أمر يتكرر ويتجدد ويحدث باستمرار؛ ولأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث .

٢ ـ لم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة في آل عمران ١٧، وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات، أي: أصحاب هذه الصفات .

❁❁❁❁

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ ؟

الجواب:

١ـ القسط لغة: هو العدل، وقائماً بالقسط، أي: قائماً بالعدل، والفعل (قَسَطَ): جار وظلم، والقاسطون هم الظالمون، وأقسط: أزال الجور والظلم، وتسمى همزة السلب.

٢ـ قوله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ معناه: قائماً بالعدل، وهو منصوب على الحال اللازمة، أو الصفة لإله، ولقد شهد الله سبحانه أنه هو (قائماً بالقسط) والملائكة شهدوا هذه القضية، والعلماء شهدوا هذه القضية، لماذا ؟

لأنّ الله لو قال: (قائمين بالقسط) لكان الله مشهوداً عليه من هؤلاء، والشهادة هي له وحده أنه قائم بالقسط .

السؤال الثاني:

ما إعراب ﴿قَآئِمَۢا﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ أشهر إعراب لكلمة ﴿قَآيِمًا﴾ في أشهر الأعاريب أنها حال لازمة . وصاحب الحال هو الله سبحانه وتعالى .

٢ـ الأصل في الحال التحول والانتقال؛ وسميت حالاً لأنها تتحول: أقبل راكباً، أقبل ضاحكاً، فالأصل فيها التحول، وقد تأتي الحال لازمة ثابتة في مواطن.

٣ـ الحال تتعلق بالفعل أو ما يشبه الفعل أو فيه معنى الفعل، والأصل فيها أنْ تكون منتقلة، وقد تكون ثابتة لازمة كما في الآيات التالية:

ـ قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦] أنثى حال ثابتة؛ لأنّ الأنثى لن تتحول إلى ذكر .

ـ قوله تعالى ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨] لن يقوى، وهذه لازمة لا تتحول.

ـ قوله تعالى ﴿وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٢٦] فهو لن يعوجّ .

ـ ويقولون: خلق الله الزرافة يديها أطولَ من رجليها، (أطولَ) هذه حال لن تتحول .

أما قولك: جاء مبتسماً، سيتحول الآن مبتسم وسيتغير.

إذن هنالك حال لازمة وحال ثابتة، ومسألة اللزوم والانتقال في الحال مخصوصة بالحال نفسها.

٤ـ في آية آل عمران (١٨) قوله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي: لا ينفك، وهذه حال ثابتة، وتدل هذه الشهادة (أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط) في هذه الحال اللازمة على لزوم التوحيد والقيام بالقسط، فشهدوا على أمرين:

آ ـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

ب ـ مع القيام بالقسط على وجه الدوام .

٥ـ وإنْ كان بعضهم يجوّز إعراب ﴿قَآئِمَۢا﴾ صفة لكلمة (إله) التي هي مبنية ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ مبنية اسم لا النافية للجنس، لكنّ على الإعراب المشهور أنّ ﴿قَآئِمَۢا﴾ حال، وصاحب الحال الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثالث:

ما دلالة تكرار قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية مرتين ؟

الجواب:

١ـ تكرر قول الله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [في الآية مرتين، فالأول هو قول الله عز وجل، وهو شهادة الذات للذات، والثاني حكاية قول الملائكة وأولي العلم.

٢ ـ قال جعفر الصادق رحمه الله تعالى: الأول وصف، والثاني تعليم . أي: يا أمة محمد كونوا أنتم على وفق شهادة الله وشهادة الملائكة وأولي العلم وخذوها مسلمة وقولوا: لا إله إلا الله .

٣ـ الشاهد الحقيقي ليس إلا الله؛ لأنه خلق الأشياء وجعلها دلائل على توحيده، ولأنه هو الموجود أزلاً وأبداً، وهذا وإنْ كان في صورة الشهادة إلا أنه في معنى الإقرار.

٤ـ ومادام (لا إله إلا الله) فليكن اعتمادك عليه وحده؛ لأنه العزيز الحكيم.

قال ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولواجتمعوا على أنْ يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» . رواه الترمذي.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ بالتعريف الذي يفيد الكمال والحصر لهاتين الصفتين، وإشارة إلى كمال القدرة والعلم، وهما الصفتان اللتان يمتنع حصول القدرة الإلهية إلا معهما.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين القسط والعدل؟

الجواب:

١ـ القسط له معنيان: العدل، والحِصّة والنصيب،وكلمة (القسط) تستعمل في القرآن في الوزن وفي غيره، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾[المائدة:٤٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾[النساء:١٣٥] .

٢ـ ولم يستعمل سبحانه (العدل) مع الميزان مطلقاً في القرآن كله، ولم يستعمل مع الميزان إلا (القسط) لأنَّ القسط هو الحصة والنصيب، والغرض من الميزان أنْ يأخذ الإنسان نصيبه؛ ولذلك لم ترد في القرآن كلمة العدل مع الوزن كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[الأنعام:١٥٢].

٣ـ ومن أسماء الميزان: القسطاس ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)﴾[الإسراء:٣٥] .

٤ـ علماً بأن كلمة (يقوم) لم ترد في القرآن مع العدل، وإنما جاءت مع القسط فقط، كما في الآيات ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[النساء:١٣٥] ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥] ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾[النساء:١٢٧] ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)﴾ [الرحمن:٩] ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[هود:٨٥].

❁❁❁❁

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

هذه الآيةعلى قِلَّتها استطاعت أنْ تأتي ببيانٍ عظيمٍ للدين الإسلامي وفضيلته بأجمع عبارة وأوجزها، فلقد جاءت الآية على صفة الحصر، حصر الدين في الإسلام دون غيره؛ وذلك لتعريف اسم (إنّ) أي: الدين، وخبره أي: الإسلام، وكأنّ الله تعالى يقول: لا دين إلا الإسلام، ألا ترى أنك تقول: أحمد الناجح، فتحصر النجاح بأحمد، بخلاف أحمد ناجحٌ، أي: هو ناجح من بين الناجحين، ثم أكّد الله تعالى انحصار الدين بالإسلام بصورة أكثر باستعمال حرف التوكيد (إنّ).

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الدين والملة والشريعة ؟

الجواب:

١ـ الملة: اسم لجملة الشريعة، وأصل الملة في اللغة (الملُّ) وهو التكرار من قولك: طريق مليل، إذا تكرر سلوكه، لذلك (الملة) تفيد استمرار أهلها عليها.

٢ـ الدين: اسم لما عليه كل واحد من أهله، لذلك يقال: فلان حسن الدِّين، ولا يقال: حسنُ المِلَّةِ.

وإذا أُطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩] وإذا قُيد اختلفت دلالته، وقد يسمى الدين والملة باسم الآخر في بعض المواقع لتقارب معنييهما، والدين ما يُطاع فيه المعبود، ولكل واحد منا دين.

٣ـ الشريعة: هي الطريقة المأخوذ فيها إلى الشيء، وسمي الطريق إلى الماء (الشريعة)، وقيل: (الشارع)لكثرة الأخذ فيه .

❁❁❁❁

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما السلوك التركيبي للفعل (يُسلم) من حيث التعدّي واللزوم؟ هنا جاء الفعل يُسلم متعدياً بـحرف الجر (اللام)، وكما في الآيات: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾[الحج:٣٤] ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾[آل عمران:٢٠] وفي مواطن أخرى في القرآن جاء متعدياً بحرف الجر إلى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[لقمان:٢٢] فما الفرق بين تعدِّيه بـ (اللام) وتعديه بـ (إلى)؟

الجواب:

أكثر ما ورد في القرآن متعدياً بـ (اللام)، ولم يرد بـ (إلى) إلا فقط في سورة لقمان ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢]، أمّا البقية فكان التعدي باللام أو من دون حرف جر، كما في الآيات التالية:

- ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل:٤٤] مع اللام .
- ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[البقرة:١٣١] مع اللام.

ـ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[غافر:٦٦] مع اللام.

ـ ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾[الحُجُرات:١٤] بدون لام.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين أسلم إلى، وأسلم لـ؟ وما الفرق بينهما في الدلالة؟

الجواب:

أـ (أسلم إليه) معناه: دفعه إليه، أو فوّض أمره إليه، هذا المشهور، وهو من التوكل، و(أسلم) بمعنى انقاد وخضع، ومنها (الإسلام) بمعنى الانقياد، وأسلم الشيء إليه، أي: دفعه إليه، أعطاه إليه بانقياد، أو فوض أمره إليه، وهذا أشهر معنى لأسلم إليه.

ب ـ أسلم لله، معناه: انقاد له وجعل نفسه سالماً له، أي: خالصاً له، جعل نفسه لله خالصاً وأخلص إليه.

* شواهد قرآنية:

أسلم لـ:

ـ قالت ملكة سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل:٤٤] أي: انقدت له وخضعت له وجعلت نفسي سالمة له خالصة ليس لأحد فيه شيء.

ـ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[البقرة:١٣١] أسلم له أي: انقاد له وجعل نفسه خالصة له.

أسلم إلى:

أمّا (أسلم إليه) فمعناه: دفعه إليه، و(أسلم إليه)، أي: فوّض أمره إليه يعني في الشدائد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[غافر:٤٤] أي: في الانقياد، أمّا (أسلم لله) فجعل نفسه خالصاً له ليس لأحد شيء.

ج ـ لذلك قال القدامى: (أسلم له) أعلى من (أسلم إليه) ؛ لأنه إذا دفعه إليه قد يكون لم يصل، لكن (سلّم له) فيه اختصاص واللام للملك، و(أسلم لله) ملّك نفسه لله، ولذلك قالوا: هي أعلى.

السؤال الثالث:

متى تثبت الياء ومتى تحذف كما في قوله (واخشوني، واخشون) بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ هذا التعبير له نظائر في القرآن (اتّبعني، اتبعنِ، كيدوني، كيدونِ، أخّرتني، أخرتنِ).

أمّا [اخشوني واخشونِ] فوردت الأولى في آية البقرة ١٥٠ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[البقرة:١٥٠] والثانية وردت في آية المائدة ٣ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾[المائدة:٣].

٢ـ عندما يُظهِر الياء يكون التحذير أشد في جميع القرآن، أي عندما يُظهِر الياء يكون الأمر أكبر.

فمثلاً عندما تحذّر أحدهم فإنّ التحذير يكون بحسب الفِعلة، مثلاً لو أحدهم اغتاب آخر تقول له: اتقِ ربك، وقد يريد أنْ يقتل شخصاً فتقول له: اتق الله، فالتحذير يختلف بحسب الفعل، إذا كان الفعل كبيراً يكون التحذير أشد.

٣ـ وقد يكون لسبب آخر غير التحذير، كما في السؤال التالي .

السؤال الرابع:

في آية آل عمران ٢٠ لم يذكر الياء فقال: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:٢٠] بينما ذكر الياء في آية يوسف ١٠٨ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨] فلماذا ؟

الجواب:

١ـ ننظر أي الذي يحتاج إلى اتّباع أكثر؟ الذي يدعو إلى الله على بصيرة أو مجرد أنْ يكون مسلماً فقط؟ لا شك أنّ الداعية ينبغي أنْ يكون متّبعاً أكثر في سلوكه وعمله لأنه داعية إلى الله فينبغي أنْ يكون مثلاً في سلوكه ومعرفته، وهذا يحتاج للياء ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران:٣١] بالياء .

٢ـ آية آل عمران هي في الدخول في الإسلام، وآية يوسف في الدعوة إلى الله، وهي خصوصية تتم بعد الدخول في الإسلام .

٣ـ الدعوة إلى الله تتطلب علماً وبصراً في أحكام الإسلام أكثر من مجرد الدخول في الإسلام؛ لأنها مقام تبليغ، وهذا لا يكون إلا عن علم وبصيرة، ولذلك قال: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف:١٠٨].

٤ـ كذلك تتطلب الدعوة إلى الله اتباعاً أكثر للرسول في القول والعمل والتزاماً أكبر بتعاليم الإسلام، حتى يكون مقبولا مجاباً .

٥ ـ المذكورون في سورة يوسف داخلون في آية آل عمران، وأمّا المذكورون في سورة آل عمران فلا يشترط أنْ يكونوا داخلين في آية يوسف؛ إذ ليس كل مسلم داعية، وبذلك يكون اتباع الرسول في سورة يوسف أكثر، فهو يشمل الاتّباع الأول وزيادة، أي مسلمين ودعاة، فكان ذكر الياء فيها أولى من الاجتزاء؛ لأنّ الياء عبارة عن الكسرة وزيادة، فلما زاد الاتباع زاد بذكر الياء فوضع كل تعبير في مكانه المناسب، والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ ما دلالة الاستفهام بالهمزة ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران رقم ١٥ .

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾[البقرة:٦١] وقوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾[آل عمران:٢١] ؟

الجواب:

للوهلة الأولى يظن الغافل عن بيان الله تعالى وقصده أنه يجوز قتل الأنبياء بحق ويحرم قتلهم بغير حق، وهذا ضعف في فهم الحكم، فالقيد (بغير حق) جاء في الجملة ليوضح زيادة وتشويه قبح فعل بني إسرائيل بقتل الأنبياء، فتأمل!.

لزيادة الإيضاح انظر الجواب في السؤال الرابع في آية البقرة ٦١.

❁❁❁❁

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما المعنى الذي أضافته عبارة ﴿نَصِيبًا﴾؟

الجواب:

إنّ النصيب هو القسط والحظ، وقد جاءت نكرة للدلالة على التهاون بهم والتقليل من شأنهم، وجاءت ﴿مِّنَ﴾ بمعنى التبعيض زيادة في ذلك التهاون والتقليل، تعريضاً بأنهم لا يعلمون من كتابهم إلا حظاً يسيراً.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين دلالة الجمع في معدودة ومعدودات؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ٨٠.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿وَغَرَّهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران:٢٤] وليس (طمَعَهم)؟

الجواب:

جلّ جلال الله في إحكام بيانه، فلو قال: (طمّعَهم في دينهم) لَما عبّرت كلمة (طمّعَهم) عما أراده الله تعالى من معنى كما عبّرت عنه لفظة (غرّهم).

إنّ السياق التعبيري يعلمك أنّ المخالفة إذا لم تكن عن غرور فالإقلاع عنها مرجو، أمّا المغرور فلا يُترقّب منه إقلاع أبداً.

❁❁❁❁

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ و ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آيتي البقرة ٢٢٥ و٢٨١ وآية آل عمران ١٦١ وآية النحل ١١١.

❊❊❊❊

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾

السؤال الأول:

لو تأملت السياق في الآية لرأيت أنه يقتضي أنْ يقول: تؤتي الملك من تشاء وتأخذه ممن تشاء، للمقابلة بين الإتيان والأخذ، كما قابل بين العزة والذل ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ فلِمَ خصّ المُلك بالنزع دون الأخذ؟

الجواب:

إنّ لفظ النزع يفيد تمسك المالك بملكه وعدم خروجه عنه بسهولة، كما يفيد اقتلاع الملك من مقرّه بشدّة؛ لأنّ المالك لا يتخلى عنه لو كان الأمر بيده.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين مِلك - بكسر الميم- ومُلك - بضم الميم-؟

الجواب:

هناك فرق بين مُلك ومِلك.

١ـ المُلك هو الحُكم: كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾[الزُّخرُف:٥١] يعني الحكم ،فليست مملوكة له .

٢ـ والمِلك من التملّك، فصاحب المُلك: مَلِك، وصاحب المِلك: مالك، وفي الفاتحة نقول (ملك يوم الدين) و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة:٤] لأنه تعالى الملك والمالك.

علماً بأن في الفاتحة قراءتين متواترين (ملك يوم الدين) و(مالك يوم الدين)، والآية نزلت مرتين مرة (ملك يوم الدين) ومرة (مالك يوم الدين) وهي قراءات نزل بها جبريل وأقرها رسول الله ﷺ بأمر من ربه، وهناك عشر قراءات متواترة عن الرسول ﷺ أقرها الرسول بأمر من ربه.

وعندما يقول: ﴿مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾[البقرة:١٠٧] يعني هو، ولمّا يقول: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة:١١٦] هذا من التملك فهي مملوكة له، فإذن في مجموع هذه الآيات هو المالك وهو المَلِك، وكل آية لا تدل على الأخرى، وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة:١١٦] من التملك فهو ملكها ومالكها كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [آل عمران:٢٦] .

وقوله تعالى: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] أي: بيده التصرف، فهي ملكه.

السؤال الثالث:

ما الوضع اللغوي لكلمة ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ عند البصريين أنّ الأصل: يا الله، والميم بدل من (يا) بدليل أنك لو أسقطت الميم لوجب ذكر (يا)، فتقول (يا الله) وكأنّ حذف حرف النداء يُعلِمُنا أنّ الله هو وحده المُستَدعى بدون حرفِ نداءٍ، وشُددت الميم لكونها عوضاً عن حرفين (يا) .

٢ـ في اللغة العربية لا ينادى ما فيه أداة التعريف بـ (يا) فلا يُقال: يا الرجل، لكنْ لفظ الجلالة تميز حتى في نطقه، وكأنّ الله يُرغم حتى الكافرين بأنْ يُجعل للفظ الجلالة تميزاً، حتى في أفواه الكافرين، فيقولوا مع المؤمنين (يا الله). أمّا بقية الأسماء التي تسبقها أداة التعريف فلا بدّ أنْ تقول فيها: يا أيها الرجل، يا أيها العباس . ولا تقول حتى في نداء النبي (يا النبي)، ولكن تقول: يا أيها النبي .

٣ـ ما رأينا في لغة العرب عَلَماً دخلت عليه (تاء) القسم سوى لفظ الجلالة، فإننا نقول: (تالله)، ولم نجد من يقول: تزيد أو: تعمرو، فتاء القسم مختصة بلفظ الجلالة فقط.

٤ـ دخول اللام في القَسَم التعجبي أو في الأمور العظام نحو: لله لتبعثن.

إنها خصوصيات لاسم صاحب الخصوصية الأعلى سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع:

كيف قال الله: (بيدك الخير) فخصّ الخير بالذكر، وبيده تعالى الخير والشر والنفع والضر ؟

الجواب:

هذه الآية ردٌّ على المشركين بما وعد الله تعالى به نبيه ﷺ على لسان جبريل عليه السلام من فتح بلاد الروم وفارس ووعد النبي الصحابة بذلك.

فلمّا كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال ولأنه المرغوب، واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل:٨١].

السؤال الخامس:

لماذا جاءت أفعال الله في الآية بالصيغ الفعلية الدالة على التجدد والحدوث نحو: ﴿تُؤْتِي﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿وَتَنزِعُ﴾ [آل عمران:٢٦]﴿وَتُعِزُّ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿وَتُذِلُّ﴾ [آل عمران:٢٦] ؟

الجواب:

السبب أنّ سياق آيات آل عمران هو في التغير والحدوث والتجدد عموماً، فالله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء أو ينزعه منه، ويعزّ من يشاء أو يذله، ويغيّر الليل والنهار، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وغير ذلك من الأحداث، فالسياق كله حركة وتغيير وتبديل، فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والتغيير .

❋❋❋❋

﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام فعل ﴿وَتُخْرِجُ﴾ كما في هذه الآية، وليس الصيغة الاسمية كما في آية سورة الأنعام رقم ٩٥ ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ ؟

الجواب:

١ـ القاعدة النحوية: الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد. وهذه الآية تدخل في هذه القاعدة.

٢ـ في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام:٩٥] و ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام:٩٦] وأبرز صفات الحيّ الحركة والتجدد (من الحياة)، وقد قال تعالى مع الحيّ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام:٩٥] فجاء بالصيغة الفعلية التي تدل على الحركة، ومن صفات الميّت السكون؛ لذا جاء بالصيغة الاسمية مع ما تقتضيه من السكون.

٣ـ وكلمة ﴿يُخْرِجُ﴾ تأتي حسب سياق الآيات كما في سورة آل عمران ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٧]؛ لأنّ سياق الآيات كلها في التغييرات والتبديلات والأحداث التي تتجدد ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦] (إيتاء الملك ونزعه، تعز من تشاء وتذل من تشاء، تولج الليل وتولج النهار) كلها في التغيرات وليست في الثبات، وهذا ما يُعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

على من يعود الضمير في ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ وفي ﴿نَفْسَهُۥ﴾ في الآية ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ؟

الجواب:

الضمير يعود على الله تعالى، والمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى يحذر العباد نفسه.

السؤال الثاني:

لِمَ لم يقل سبحانه في الآية مثلاً: ويحذركم الله غضبه أو سطوته؟

الجواب:

أيُ رادع لك أشد من هذا اللفظ؟ والله تعالى يحذرك من نفسه، أي: يحذرك من ذاته، فبهذا اللفظ كان المعنى أعم في الأحوال؛ لأنه لو قيل: ويحذركم الله غضبه، لتُوُهِّم أنَّ رضى الله لا يضر معه مخالفة أوامره.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ في الآية ؟وما معنى الولي ؟

الجواب:

١ـ كلمة (ولي) لها معنى معين، وهو الذي يعينك ويحميك وينصرك ويليك مباشرة بحيث لو طلبته أو ناديته لبى حاجتك .

وكلمة الولي تضاف إلى الله على إطلاقها، بينها تضاف بالنسبية والمحدودية لخلق الله.

٢ـ إنّ من يتخذ غير الله أولياء له فليس له نصيب من نصرة الله، والله حذرنا من اتخاذ الكافرين أولياء وأنْ نغتر بقوة الكافرين، ولا تقل أيها المؤمن: ماذا أفعل ؟ لأنّ الله لا يريد منك إلا أنْ تبذل ما تستطيع من جهد وأنْ تدع الباقي لله، والله يطمئننا على ذلك قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] وقال: ﴿سَأُلْقِى فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾[الأنفال:١٢].

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله ﴿تُقَىٰةً﴾ مأخوذة من الوقاية، وللتقية أحكام:

آ ـ التقية تكون إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله، فيداريهم باللسان بشرط أنْ يضمر خلافه؛ لأنّ التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

ب ـ التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة وعزيمة .

ج ـ إنها تجوز التقية بإظهار الموالاة والمعاداة، وأمّا ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال وشهادة الزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز البتة.

د ـ ظاهر الآية يدل أنّ التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين .

هـ ـ التقية جائزة لصون النفس، وربما جائزة لصون المال .

و ـ هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المسلمين، فأمّا بعد قوة دولة الإسلام فلا، وبعضهم قال: التقية جائزة إلى يوم القيامة ضمن الشروط أعلاه.

ز ـ إياك أنْ تُقبِل على سلوك الكفار بانشراح صدر وتقول: أقوم بالتقية، يجب عليك أنْ تعرف لماذا فعلت التقية، هل فعلتها لتبقي منهج الخير في الوجود أو غير ذلك؟ إنْ فعلت التقية بوعي واستبقيت نفسك لمهمة استبقاء المنهج الإيماني فأنت من أهل الإيمان.

ح ـ لقد جاء الحق بالأمرين: أمر الوقوف في وجه الباطل بالاستشهاد في سبيل الحق، وأمر التقية حماية لبعض الخلق حتى لا يضيع المنهج، بحيث لو جاء جبار يريد استئصال المؤمنين جميعاً، فشرّع الحق ما يبقي للفداء قوماً، وهم الفدائية في العقيدة، ويبقي للبقاء قوماً ليحملوا منهج الله ويورثوه للأجيال المتتالية.

ط ـ لا تظن أيها الإنسان أنك تقوم بالتقية كظاهرة شكلية؛ لأنّ المؤمن لا يفعل ذلك، لماذا؟ لأنّ التحذير واضح في الآيات التي تلي هذه الآية، والتي تبين أنّ الله لا يحجبه مكان عن مكان أو زمان عن زمان، فإياك أنْ تعتقد أنّ الله غيب فلا يعرف إلا غيباً؛ لأنّ الله يعلم الغيب ويعلم ما برز إلى الوجود، فالله أَتْبَعَ استثناءه للتقية بالوعيد إنْ صار الباطن موافقاً للظاهر في وقت التقية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[آل عمران:٢٩-٣٠]

٢ـ قال الحسن: أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب النبي ﷺ فقال لأحدهما: أتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم، نعم، نعم . فقال: أتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم. فتركه ودعا الآخر فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال: نعم. فقال: أتشهد أني رسول الله ؟ قال: إني أصمُّ، ثلاثاً، فقدّمه وقتله، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **أمّا هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئاً له، وأمّا الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه.**

السؤال الخامس:

ما فائدة تكرار التحذير في آيتي آل عمران ٢٨و٣٠؟

الجواب:

الآية الأولى في سياق الوعيد لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[آل عمران:٢٨].

وأمّا الآية الثانية فهي في سياق حذر تفويت الخير، ولذلك خصّه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠﴾[آل عمران:٣٠] .

❀❀❀❀

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٩ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير كلمة ﴿تُخْفُوهُ﴾ في آية سورة البقرة ٢٨٤، وآية سورة آل عمران ٢٩؟

الجواب:

المحاسبة في آية سورة البقرة هي على ما يُبدي الإنسان وليس على ما يُخفي، ففي سياق المحاسبة قدّم الإبداء،وأمّا في آية سورة آل عمران فالآية في سياق العلم، لذا قدّم الإخفاء؛ لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى.

❁❁❁❁

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

هل أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن؟

الجواب:

فقط في موطنين في القرآن كله: آية البقرة ٢٠٧، وآية آل عمران ٣٠.

انظر الجواب في السؤال الثاني في آية البقرة ٢٠٧.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ ما دلالة تعريف العباد بأل؟

الجواب:

لاحظ لو قلت: والله رؤوف بعباده، ألا تجد أنّ المعنى سيكون مقصوراًعلى فئة من العباد دون غيرها.

إنّ التعريف في كلمة ﴿بِٱلۡعِبَادِ﴾ بـ (أل) أفاد الاستغراق، فرأفة الله تعالى شاملة لكل الناس مسلمهم وكافرهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿كُلُّ نَفۡسٍ﴾ ما الفرق بين الروح والنفس ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨١.

السؤال الرابع:

ما فائدة تكرار التحذير في آيتي آل عمران ٢٨ و ٣٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٢٨.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ وتعني الزمن، فما كلمات منظومة الزمن في القرآن الكريم ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الزمن، وهي مكونة في القرآن الكريم من إحدى عشرة كلمة؛ وهي:

١ـ **الزمن**: هو سر الخلود وهو أعظم وأكرم ما يملكه الإنسان على هذه الأرض، ودقائق معدودة بالتوبة قبل الموت ستسبب له الخلود في الجنة، والزمن تعني البداية والنهاية.

٢ـ **الأبد**: كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾[النساء:٥٧] أي: زمن ممتد طويل آلاف السنين بدون فترة استراحة.

٣ـ **الأمد**: هو بداية النهاية، والمدى آخر المطاف.

٤ـ **السرمد**: الزمن الذي يختص بنوع واحد مثل ليل دائم أو نهار دائم، كما في آية القصص ٧١ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾.

فالسرمد هو المستقبل المطلق، والأزل هو الماضي المطلق الذي لا بداية له، فالله سرمدي أزلي.

٥ـ **الدهر**: الدهر هو زمن الدنيا منذ خلقها الله تعالى إلى قيام الساعة،والآخرة ليس فيها زمن وكذلك البرزخ، لذلك الذي مات قبل مليون سنة والذي سيموت قبل القيامة بدقائق لهما نفس الشعور كما في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ [المؤمنون:١١٢].

٦ـ **الوقت**: هو الزمن المخصص لفعل معين،ولكل حدث زمنه نحو وقت الصلاة أو وقت العمل أو وقت الحج [الحجر ٣٧ـ٣٨، النساء ١٠٣].

ويقسم اليوم إلى الأقسام التالية:

آـ الفجر: أول بداية النهار: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾[الفجر: ١-٢].

ب ـ الصبح: أول احمرار الشفق بعد الفجر بحوالي نصف ساعة ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ [هود:٨١].

ج ـ البكور: قبل طلوع الشمس ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤٢] .

د ـ الغداة: الضوء القوي مع طلوع الشمس.

هـ ـ الضحى: ارتفاع الشمس بمقدار رمح، ربع ساعة بعد طلوع الشمس.

و ـ الزوال: وقت الاستواء.

ز ـ الظهيرة: بعد الاستواء إلى العصر (الهاجرة) ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الروم:١٨] .

ح ـ الأصيل: قبل غروب الشمس.

ط ـ العصر: أول برد النهار ويمتد حتى الغروب.

ي ـ الغروب: وقت غروب الشمس.

ك ـ المساء: وهو وعاء يشتمل عدة أوقات، فهو من الزوال إلى الفجر.

ل ـ العَشِيّ: آخر ساعة في النهار.

م ـ العشاء: من صلاة المغرب إلى أول العتمة.

ن ـ السَّحَر: بعد منتصف الليل وحتى الفجر.

٧ـ **الحِقبة**: - بضم الحاء أو كسرها- وتجمع على أحقاب ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ:٢٣] والحِقبة تعني سنة واحدة، والحُقبة تعني ثمانين سنة.

٨ـ **القرن**: القرن مائة عام، وقد تطلق القرون على الأجيال.

والسنة اثنا عشر شهراً، والعقد عشر سنوات، وكل عشرة عقود تصير قرناً، وكل عشرة قرون تصير دهراً، والعرب كانوا يسمون ألف سنة بالدهر.

٩ـ **الأُمة**: الأمة هي مجموعة السنين الحاوية لحدث معين، مثل حدث الحرب العالمية أو عام الفيل .

١٠ـ **العمر**: العمر إذا أطلق فهو مرحلة الشباب من خمسة عشر سنة وحتى الأربعين، نحو قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس ١٦].

١١ـ **الحين**: هو وقت حصول الشيء ولا مضمون زمنياً محدداً لها، لكنها تضاف للفعل لبيان الدقة، فتقول: حين أضع قلمي أفعل .

❋❋❋❋

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿قُلْ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ دليل على أنّ ما سيأتي بعدها هو بلاغ من الرسول ﷺ عن ربه، بلاغ للآمر وللمأمور به .

والذين في قلوبهم زيغ يقولون: يمكن حذف كلمة (قل) من القرآن كما في أول سورة الكافرون والإخلاص وفي هذه الآية؛ لأنه لا فائدة منها، ونقول لهؤلاء: إنكم تريدون أنْ يكون الرسول قد أدى المأمور به ولم يؤد الأمر .

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾، هل موقع الحب في القلب ؟

الجواب:

١ـ الحُبُّ موقعه في القلب، ولأنّ القلب في الصدر فجاز إقامة الصدر مقام القلب كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:٥] وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج:٤٦].

٢ـ إنك قد تحب الله لنعمه عليك، ولكنّ الله أيضاً يحب العبد الذي يعرف قيمة النعمة في التكليف؛ لأنّ نعمة التكليف تعود عليك بكل الخير عندما تؤديها، والله لا يكلف شططاً أو فوق الوسع.

٣ـ لا بدّ أنْ نفرق بين الحب العقلي والحب العاطفي، فالعاطفي لا يقنن ولا قانون له، والإنسان يحب ابنه ولو كان صاحب عاهة أو قليل الذكاء وهو يحبه أكثر من ابن جاره ولو كان الأخير متفوقاً .

والمطلوب هو الحب العقلي وليس الحب العاطفي، وقد يتسامى الحب فيصير بالعاطفة.

٤ـ انظر إلى ما رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»** وقف سيدنا عمر عند هذه النقطة فقال: أمعقول أنْ يكون الحب لك أكثر من النفس؟ إنني أحبك أكثر من مالي وولدي، إنما من نفسي؟ ففي النفس منها شيء .

وهكذا نرى صدق الأداء الإيماني من سيدنا عمر، فكررها النبي ثانياً وثالثاً فعرف سيدنا عمر أنه قد أصبح تكليفاً، وعرف أنه لا بدّ أنْ يكون من الحب المقدور عليه، وهو حب العقل وليس حب العاطفة .

وهنا قال عمر: الآن يا رسول الله . فقال الرسول ﷺ: «**الآن يا عمر**» أي: كمل إيمانك الآن .

٥ـ الحب في الاتباع والسلوك وصدق مدعي الحب الاتباع، وكما قيل:إنّ المحب لمن يحب مطيع.

٦ـ وهكذا نجد أنّ نعم الله هي: نعم الإيجاد ـ ونعم الإمداد ـ ونعم التكليف ـ ودليل صدق الحب هو قيام العبد بالتكليف .

٧ ـ واعلم أخي المؤمن: أنّ حبك لله لا يقدم له ولا يؤخر، بينما حب الله لك يقدم ويؤخر.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمات منظومة الحب القلبي في القرآن الكريم هي: الشهوة ـ الهوى ـ الحب ـ الشغف ـ الغرام ـ الهيام ـ الود، إضافة إلى كلمتي: الشوق والعشق، ولكنهما لم يردا في القرآن.

١ـ الشهوة:

هي ميل النفس إلى ما تتلذذ به حسياً أو نفسياً، مثل النساء والبنين والذهب والفضة والأنعام والحرث، وكذلك السلطان والجنة والقهر، والشهوة يجب أنْ تكون في محلها.

٢ـ **الهوى**: إذا كانت الشهوة في غير محلها كانت (هوى)، كأنْ تشتهي امرأة لا تحل لك، ولم ترد كلمة (الهوى) في القرآن إلا من باب الذم، وهناك فرق بين ما تشتهيه الأنفس وما تهواه، فما تشتهيه قد يكون حلالاً أو حراماً، و ما تهواه لا بدّ أنْ يكون حراماً [النازعات ٤٠].

٣ـ **الحب**: هو تعلق القلب بما هو كريم ومطلوب، وهو ليس مذموماً، وقد ذكر الله في كتابه صفات الذين يحبهم والذين لا يحبهم: [البقرة ١٩٥ـ ٢٢٢، آل عمران ٧٦ـ ١٣٤ـ ١٤٨ـ ٣١ـ ٩٢ـ ١٥٢، النور ٢٢ـ الصف ١٤ـ القيامة ٢٠].

٤ـ **الشغف**: عندما ينفذ الحب إلى القلب ويستقر به ويملك على الإنسان حواسه وتفكيره يُسمى شغفاً، فكل شغف حب وليس كل حب شغفاً. [يوسف ٣٠].

٥ـ **الغرام**: بعد أنْ يصل الحب إلى مرحلة الشغف، فإذا كان الحب قاهراً استولى المحبوب على من يحب وتحول الحب إلى فناء في المحبوب فيُسمى غراماً، فالغرام هو حب انقلب إلى أسر .

ولذلك عندما ذكر القرآن عن عذاب جهنم (إنّ عذابها كان غراماً) فيه دليل على أنّ عذاب جهنم قاهر مذل. [الفرقان ٦٥ـ الواقعة ٦٦].

٦ـ **الهيام**: هذا الغرام إذا تطور، والمحبوب تدلل على الحبيب ولم يستجب له واضطرمت النار في أحشاء المحب أدى هذا إلى الهيام.

والهيام لغة مأخوذة من الهِيم، أي: الإبل الشاردة الهائمة على وجهها في الصحراء، كما في قصة قيس وليلى. [الشعراء ٢٢٥ـ الواقعة ٥٥].

٧ـ **الوُّد**: الود هو أعلى وأسمى أنواع الحب.

كل الذي ذُكر إذا كان موجوداً بين يديك وتطيقه مع الوصل يسمى حباً وشغفاً وهياماً، أمّا إذا كان مع الهجر فهو الود، فالود هو أمنية؛ تحب بعيداً أو شيئاً تتمناه، والود هو من جهة ميل الطباع فقط، فتقول: أود أنْ ذاك كان لي، وأود الرجل، ولا تقول: أود الصلاة، بل تقول: أحب الصلاة.

انظر: [البقرة ٩٦ـ ١٠٥ـ ١٠٩، آل عمران ١١٨ـ النساء ١١٨ـ المعارج ١١ـ القلم ٩ـ الحجر ٢].

٨ـ **الشوق**: يكون لحبيب مسافر أو غائب.

٩ـ **العشق**: هو الحب الذي شاع صيته بين الناس.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[الأحقاف:٣١] و﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [ال عمران:٣١]؟

الجواب:

١ـ (من) تبعيضية، أي: بعض الذنوب، وبدونها يغفر لكم الذنوب جميعاً .

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[الصف:١٢] إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته .

أمّا التعبير: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[نوح:٤] فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون (من) ثلاث مرات في القرآن: [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ٧١ـ الصف ١٢].

و ورد التعبير مع وجود (من) ثلاث مرات أيضاً: [إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤]. والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ ﴾ كيف جاءت مسألة الطاعة في القرآن ؟

الجواب:

جاءت مسألة الأمر بالطاعة في القرآن الكريم على ثلاثة نماذج:

١ـ أطيعوا الله والرسول .

٢ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول .

٣ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .

فما مسألة هذه الأوامر بالطاعة ؟

إنّ الأحكام الشرعية المطلوب من المؤمنين إطاعتها مرةً يكون الأمر قد جاء بها من الله، و يكون الرسول قد أكدها بقوله وسلوكه، وبهذا حين يطيع المؤمن في هذا الأمر فهو يطيع الله ورسوله معاً.

ومرة يأتي الحكم من الله إجمالاً، ويأتي الرسول ﷺ ليفصّله، مثل: الصلاة، فتفاصيلها من النبي ﷺ وأصل الحكم من الله تعالى، وكذلك الزكاة جاء الأمر من الله بأداء الزكاة، لكن القرآن لم يحدد النصاب، وقد بينه الرسول ﷺ، إذن لله فيها أمر وللرسول أمر، والنبي ﷺ مفوّض من الله تعالى بهذا، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر:٧].

لذلك تكون مسألة الطاعة في القرآن حسب التالي:

١ـ إذا لم يتكرر لفظ الطاعة، فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة، ولا يجري ذكر للرسول ﷺ في السياق أو الإشارة إليه .

أو بمعنى آخر، إن اتحد الُمطاع ـ الله والرسول ـ عطف الرسول على لفظ الجلالة فتأتي: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[آل عمران:٣٢] .

* شواهد قرآنية:

ـ آية آل عمران ٣٢ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

ـ آية آل عمران ١٣٢ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

وهذه الآية جاءت بعد آية تحريم الربا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[آل عمران:١٢٩-١٣٠-١٣١] .

٢ـ وإذا تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر الرسول ﷺ في السياق، أو بمعنى آخر: إنْ كان الأمر طاعة الله في الأمر الإجمالي وطاعة الرسول في تفصيل ذلك الأمر تأتي: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور:٥٤] .

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤] .

ـ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢].

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد:٣٣] .

ـ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن:١٢].

٣ـ إنْ كان الأمر طاعة الرسول بتفويض الله له كما في آية الحشر٧ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ يأتي الموضوع كما في طاعة أولي الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩] .

فالحق عز وجل لم يورد طاعة أولي الأمر مندمجة في طاعة الله ورسوله لتكون طاعة واحدة، لا، وإنما أورد طاعة أولي الأمر في الآية التي يفرق فيها بين طاعة الله وطاعة الرسول، ثم من بطن طاعة الرسول تكون طاعة أولي الأمر، لماذا؟ لأنه لا توجد طاعة ذاتية لأولي الأمر،

فالرسول ﷺ له الطاعة الذاتية، أمّا طاعة أولي الأمر فهي مستمدة من طاعة أولي الأمر لله ورسوله، ولا طاعة لأولي الأمر فيما لم يكن فيه طاعة لله ورسوله ﷺ.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية آل عمران ٣٢ـ والآية ١٣٢ ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ لماذا لم يكرر لفظ الطاعة فيهما، فيقول: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ؟ بينما كررها في الآيات:[النساء ٥٩ـ المائدة ٩٢ـ النور ٥٤ـ محمد ٣٣ـ التغابن ١٢] ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

١ـ يكرر القرآن الكريم لفظاً معيناً بقصد التوكيد، كما تقول محذراً: حذار حذار.

٢ـ هنا في آيتي آل عمران لم يكرر لفظ الطاعة، لكنه كررها في الآيات: [النساء ٥٩ـ المائدة ٩٢ـ النور ٥٤ـ محمد ٣٣ـ التغابن ١٢].

والملاحظ أنّ ما لم يتكرر فيه لفظ الطاعة مع الرسول، فالسياق فيه لله وحده، ولم يذكر فيه لفظ الرسول ولا أية إشارة إليه.

آـ في آية آل عمران ٣٢ ذكر فيها أنّ الأمر كله لله وبيده قال تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٧] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران:٢٨] وكرر هذا المعنى فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران:٣٠] إلى أنْ ذكر

الآية ٣٢ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران:٣٢] فأنت ترى أنّ المقام مختص بالله وحده، فذكر طاعة الله وجعل طاعة الرسول تبعاً لها .

ب ـ وكذلك الأمر في آية آل عمران ١٣٢ ، فلم يكرر لفظ الطاعة،إذ قال قبلها:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٨] في حين كرر لفظ الطاعة في الآيات الأخرى؛ لأنّ السياق يقتضيها .

٣ـ في آية النساء ٥٩ جعل طاعة الله وطاعة الرسول أصلية؛ ليفصل بين طاعة الرسول وطاعة أولي الأمر، فهما ليستا بنفس المنزلة، ثم قال: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] فالرسول مرجع للفصل، بخلاف أولي الأمر، ثم قال بعدها: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء:٦١] فقد جعل الرسول مرتجعاً كالقرآن، ثم قرّر حكماً ثابتاً فيما بعد، فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤] فأنت ترى أنّ المقام ههنا مقام تبيان طاعة الرسول فكررها.

٤ ـ في آية سورة النور ٥٤، قد تكرر ذكر الرسول، وذلك في قوله: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور:٥٠-٥١-٥٢] ثم قال بعدها: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور:٥٦] فجعل طاعة الرسول مقترنة بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ترى أن السياق يؤكد لفظ طاعة الرسول.

٥ ـ وكذلك ما جاء في سورة محمد ﷺ في الآية ٣٢، فقد ورد لفظ الرسول وطاعته وعدم مشاقته فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾[محمد:٣٢].

٦ـ وكذلك ما جاء في آية التغابن ١٢ فقد ختمها بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾[التغابن:١٢]. هذا، والله أعلم.

فهرس المحتويات